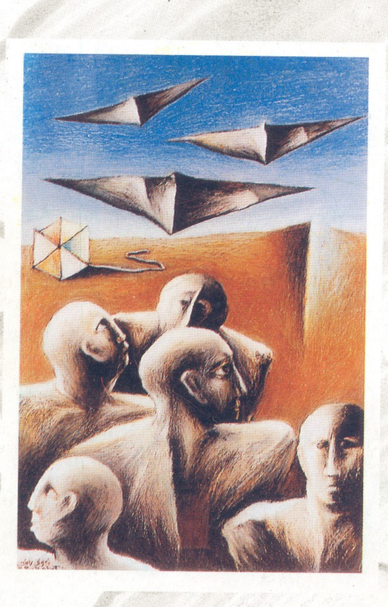
# الدراسة النفسية للأدب

مارتن ليندآور

18

ترجمة: د. شاكر عبد الحميد





أفاق الترجمة



الهيئة العامة لقصور الثقافة

آفاق الترجمة
اكتوبر ١٩٩٦
١٨
الهيئة العامة
لقصور الثقافة

# الدراسة النفسية للأدب

## (النقائص ـ الاحتمالات ـ الإنجازات)

تأليف : مارتن لينداور

ترجمة : د. شاكر عبد الحميد

لوحة الغلاف
**للفنان رؤوف رأفت**

---

تصميم الغلاف
**عمر جهان**



# آفاق الترجمة

شهرية

الهيئة العامة لقصور الثقافة




**المراسلات**

باسم مدير التحرير
على العنوان التالى
١٦ شارع أمين سامى
القصر العينى ـ القاهرة
رقم بريدى ١١٥٦١

العنوان الأصلي للكتاب

*The Psychological Study of Literature (Limitations, Possibilities, and Accomplishments)*

*by*

*Lindauer, M.*

*Chicago, Nelson - Hall, 1974.*

الطبعة الثانية



---

الطبعة الأولى

مؤسسة عكاظ ـ جدة ، ١٩٩٣

«فيم تهم تلك العقد النفسية الموجودة لديّ. إن عملي فقط هو الجدير بالاهتمام، احكم عليه فحسب، فلست أنا بذي أهمية. إن لم أكتب عن نفسي، فإن شخصاً آخر ـ حتماً ـ سيقوم بذلك».

وليم فوكنر

## مقدمة المترجم

هناك علاقات وثيقة بين علم النفس والادب ، حيث انهما يشتركان ـ رغم اختلاف مناهجهما ـ في الاهتمام بالخبرة والسلوك والشخصية الانسانية .

لكن يمكننا أن نلاحظ أن معظم الدراسات المبكرة التي حاولت الاهتمام بالادب من وجهة نظر سيكولوجية ، كانت دراسات ذات طابع تحليلي او ذات طابع تأملي ذاتي حدسي ، اما الدراسات الموضوعية المنهجية المتقنة التي تعطي اهتماما كبيرا للعمليات الخاصة بصياغة الفروض واختيار العينات واستخدام أدوات تتسم بالدقة ، فقد كانت دراسات نادرة الى حد كبير .

وعلى سبيل المثال ، وفي المجال التحليلي النفسي قام « فرويد » و « يونج » و « جونز » وغيرهم من المحللين النفسيين بدراسات كثيرة على « شكسبير » و « ديستوفسكي » و « هايني » و « جوتة » و « هوميروس » و « بلزاك » و « جويس » وغيرهم . وقد اعترف « فرويد » نفسه أن افكاره كانت موجودة في كتابات شعراء كثيرين سابقين لكن علماء النفس لم يأخذوها على محمل الجد . ويشير بعض الباحثين الى ان الكثير من افكار « فرويد » و « يونج » كانت موجودة لدى الشاعر والرسام « وليم بليك » . والذي اشتملت كتاباته ورسوماته على الكثير من افكار « فرويد » و « يونج » كانت موجودة لدى الشاعر والرسام « وليم بليك » . والذي اشتملت كتاباته ورسوماته على الكثير من عمليات النفاذ الى اعماق التجربة الانسانية وعلى الكثير من حالات الاحاطة بالشخصية الانسانية في حالاتها المختلفة . كما تشتمل النزعة الرومانتيكية نحو الذات ـ وكما تمثلها النصوص الشعرية للشاعر « وردزورث » مثلا ـ على العديد من عمليات التصوير للخبرات والمشاعر الانسانية ، بما في ذلك خبرات الطفولة المبكرة .

كذلك تحدث « كولريدج » عن العديد من القضايا والموضوعات النفسية خاصة مايتعلق منها بالأحلام والخيال . ولابد أيضا من الاعتراف بإسهامات « كيتس » في الفهم السيكولوجي الخاص بموضوعات مثل تاكيده على دور الهوية Identity كعامل حاسم في تكوين الشخصية وكذلك افكاره حول العملية الابداعية ،

بما في ذلك حديثه حول القدرة أو الامكانية السالبة negative capability والتي تتمثل في الابتعاد عن مواصلة التركيز والتفكير خلال العمل الابداعي واللجوء ـ بدلا من ذلك ـ الى الاسترخاء والراحة مما ييسر مجيىء الأفكار الابداعية ، وقد كان لهذه الأفكار وغيرها تاثيرها الواضح على نظرية « فرويد » عن الأحلام وكذلك العديد من النظريات النفسية التي جاءت بعد ذلك حول الإبداع .

ومع ذلك ، ورغم الجهود التحليلية النفسية الكثيرة والمتواصلة في مجال دراسة الأدب والأدباء من الوجهة النفسية ، فإن هذه الجهود تظل رغم ذلك مفتقرة للكثير من جوانب المنهج العلمي مما ادى بباحث مثل « ماكوردي » ( عام ١٩٧١ ) إلى ان يقول مثلا : « ان سبعين عاما من الفحص التحليلي النفسي « لشكسبير » لم يتولد عنه لا أسلوب منظم متميز في البحث يمكن السير على هديه ، ولا نتائج جديدة جوهريا » . وقد ترتب على هيمنة التحليل النفسي على مجال دراسة الأدب ، اضافة الى عوامل اخرى ، اهمال او تجاهل واضح في اهتمام علماء النفس بالأدب .

ويضع الكتاب الحالي على عاتقه مهمة تشجيع علماء النفس على المزيد من الاهتمام بالأدب ، لما في ذلك من مزايا وفوائد جمة لعلم النفس وللنقد الأدبي وللابداع الأدبي ايضا . كما يؤكد ذلك مؤلف هذا الكتاب . وفي سبيل ذلك قام هذا المؤلف بفحص العلاقة بين علم النفس والأدب من خلال فحصه للمادة الأدبية ذاتها من حيث أنواعها وخصائصها ، وكذلك من خلال اشارته الى الدراسات المختلفة التي أجريت من منظور سيكولوجي حول قارىء الأدب ، وحول مبدعه . كما قدم المؤلف في نهاية الكتاب العديد من التوجيهات والاقتراحات من اجل مزيد من التواصل والتفاعل بين مجالي علم النفس والأدب ، بل انه قدم فكرة يعتبرها مترجم هذا الكتاب شديدة الأهمية وقادرة على حل الكثير من المشكلات في مجال علم النفس الأدبي ( حيث يفتقر العاملون فيه ـ على قلتهم ـ للخبرة المناسبة بالمادة الأدبية ) وفي مجال النقد الأدبي ( حيث يفتقر العاملون فيه في كثير من الحالات الى الخبرة المناسبة بالأبعاد النفسية ) وتتمثل هذه الفكرة في قيام تعاون مشترك بين العاملين في هذين المجالين للبدء والتنفيذ لمشروعات بحثية علمية مشتركة في علم النفس الأدبي وفي النقد الأدبي من منظور سيكولوجي ، ويمكننا ـ بالطبع ـ ان نجد مثالا واضحا على هذا التعاون ـ ولو في مجال آخر ـ غير علم النفس فيما حدث من تعاون علمي مشترك بين عالم الانثروبولوجيا « كلود ليفي شتراوس » وبين عالم اللغويات « رومان ياكبسون » حين قاما بدراسة مهمة على قصيدة « القطط » للشاعر الفرنسي « بودلير » .

وسيظل الادب ، كما قال « تشومسكى » ذات مرة ، قادرا إلى الأبد ، على اعطائنا استبصارات عميقة بما نسميه « الشخصية الانسانية الكاملة » اكثر مما يامل اى شكل من أشكال الاستقصاء العلمي في تقديمه .

ويحاول العلم دائما أن يقترب وأن يعطي شكلا جديدا مقبولا وموضوعيا وقابلا للتوصيل والفهم والدراسة لمثل هذه الاستبصارات العميقة .

قال لنا البروفيسور « مارتن لندور » حين طلبنا منه الإذن بترجمة هذا الكتاب إلى العربية انه يرحب بذلك ، لكنه يسترعي انتباهنا في نفس الوقت إلى انه منذ صدور هذا الكتاب ( عام ١٩٧٤م ) وحتى تاريخ طلب إذن الترجمة ( عام ١٩٩٠م ) ظهرت دراسات واتجاهات عديدة في المجال يحسن وضعها في الاعتبار ، وأن هذا الكتاب يحسن النظر إليه الآن باعتباره مقدمة عامة ومدخل ضروري للمجال أكثر من اعتباره شاملا ومحيطا بكل ما في مجال الدراسة النفسية للأدب من موضوعات .

ونحن إذ نتفق مع البروفيسور « لندور » في كل ماقال ، نؤكد أيضا حاجة المكتبة العربية والقاريء العربي والمتخصص العربي إلى مثل هذا الكتاب ، باعتباره خطوة أولى على الطريق .

د . شاكر عبدالحميد

**توطئـــــة :**

يضع هذا الكتاب على عاتقه مهمة فحص العلاقة بين علم النفس والأدب ، وتشتمل هذه المهمة على فحص المادة الأدبية ذاتها ، وكذلك فحص قارئها ، ومؤلفها ، وذلك من خلال وجهة نظر علمية . بطبيعة الحال هناك مناهج أخرى ، غير المنهج النفسي ، تمكننا من القيام بدراسة الأدب ، ومن هذه المناهج مثلا : المنهج التاريخي والمنهج الفلسفي ، والمنهج الاجتماعي ، وكذلك المنهج الأدبي . وداخل مجال علم النفس نفسه قد يكون التوجه غير علمي : كأن يكون مثلا : قصصيا* Aneadotal وتوضيحا ـ أو شارحا بالمثال ـ وتأويليا واكلينيكيا** وتحليليا نفسيا . على كل حال ، فإنه حيث أن هذه المقاربات ( أو المناحي ) Approaches تتسم بكونها غير علمية ، وتوضيحية ( أى تقوم بالعرض للمادة فقط ) ومنطقية ، فإنه لن يتم عرضها بشكل شامل في هذا الكتاب إلا بالقدر الذي تؤيد عنده القضية القائلة بأن الدراسة النفسية للأدب هي أمر ممكن وذو معنى وله فائدته . وسيكون التركيز الأساس في هذا الكتاب موجها نحو التحليل العلمي للأدب : أى نحو عملية الجمع المنظمة والموضوعية للبيانات الامبيريقية*** وسيكون اتكاؤنا الجوهري هنا على الحقائق

---

* وهو ذلك التوجه المعتمد على الشواهد او الادلة التي تمت ملاحظتها بطريقة عابرة ثم تم الربط بينها بطريقة سردية قصصية . ورغم ان مثل هذه الشواهد لا يمكن النظر اليها باعتبارها شواهد علمية ، حيث يصعب اعادة انتاجها او التحقق منها بشكل مناسب ، فإنها من الممكن ان تشكل الأساس الذي تعتمد عليه عمليات تجريب او دراسات ميدانية تالية ( المترجم ) .

** يعود الجذر الخاص بهذه الكلمة في اللغة اليونانية القديمة الى مصطلح « سرير » . ورغم ان هذا المعنى لم يعد هو الشائع وحده الآن ، فإن الكلمة تشير في جوهرها الى كل ماهو مرتبط بالعيادة ومايحدث فيها من عمليات والتشخيص والعلاج ، سواء كانت هذه العمليات مستخدمة في اى فرع من فروع الطب او متعلقة بالفروع التشخيصية والعلاجية من الطب النفسي وعلم النفس الاكلينيكي الحديث . ويستخدم المصطلح في علم النفس ايضا كي يشير الى الاتجاه الطبي او العلاجي المعتمد بدرجة كبيرة على الأحكام الحدسية والذاتية الخاصة لمعالج النفسي في مقابل الاتجاه التجريبي المضبوط ( المترجم ) .

*** تستخدم كلمة « امبيريقية » في علم النفس بشكل خاص كي تشير الى :

١ ـ كل ماهو مرتبط بالحقائق بشكل عام .
٢ ـ كل ماهو متعلق بالخبرة بشكل عام .
٣ ـ الاجراءات العملية التي تتم دون الارتباط بنظرية معينة دون غيرها .
٤ ـ كل ماهو مترادف مع التجريب .
٥ ـ الاجراءات التي تقوم على اساس التقييمات الخاصة بالحقائق الواقعية .
٦ ـ مايرتبط بالنزعة الفلسفية الامبيريقية التي تؤكد ان كل مصادر المعرفة تاتي من الخبرة ومن ابرزها انصارها من الفلاسفة : لوك ، وهيوم ، وبيركلي ، وهارتلي .

وبشكل عام يشير هذا المصطلح الى كل الاجراءات المتعلقة بالبيانات الواقعية وعمليات جمعها وتحليلها او تقييمها ( المترجم ) .

التي يمكن قياسها ، وحسابها ، ووصفها ، وتحليلها ، بالقدر الذي يمكننا من اعلانها على رؤوس الأشهاد ، إن تركيزنا هنا سيكون موجها نحو القضايا التي تتوفر فيها دلائل خاصة تمكننا من إثباتها أو دحضها .

لقد تم تجاهل الدراسة النفسية للمادة الأدبية أو تم الاستهزاء بها من قبل العاملين في مجال علم النفس ، وفي مجال الأدب ، وفي مجال الجماليات عموما . فالعديد من علماء النفس ينظرون الى علم نفس الأدب باعتباره مجالا تسوده التأملات ، وهي تلك التأملات التي تأخذ عادة شكل التحليل النفسي . بينما يعتقد معظم علماء الجماليات ونقاد الأدب أن التحليل العلمي للأدب عملية تحيط بها تلك الروح المتعالمة Scientism التي تكتسب اهميتها من خلال فحصها لعمليات العدو لدى الجرذان ، والتي تكون أيضا فاقدة البريق والمعنى من خلال تركيزها المكثف ـ بغرض تأمين نتائجها ـ على الجداول ـ الاحصائية .

يقصد هذا الكتاب إلى إظهار عدم كفاءة كل عمليات التقييم هذه التي قدمها علماء النفس وعلماء الجماليات لمجال الدراسة النفسية للأدب . حيث يغطى القسم الأول الحالة الحالية من الإهمال للمنحى الموضوعي في دراسة الأدب ، مع التنويه ببعض تلك المبررات المسئولة عن عدم الاهتمام الكافي بهذا الموضوع .

اما القسم الثاني فيلخص الأمثلة الملموسة من البحوث النفسية التي أجريت على المادة الأدبية وينتهي الى بعض الاقتراحات الخاصة التي يمكن أن ترتكز عليها البحوث في المستقبل . ومن أجل تدعيم وتوضيح الموضوعات الأساسية في هذا الكتاب ، ومن أجل تقديم تغطية ممثلة وكاملة للمجال بقدر الامكان ، فقد وضعت كل المراجع المتاحة في نهاية الكتاب[١] .

لم يبذل صاحب هذا الكتاب ، خلاله ، اية محاولة لتطوير نظرية خاصة حول علم نفس الأدب ، وحول أصوله ، أو متلقيه ، كما أنه لم يناقش العديد من القضايا المثيرة للاهتمام بشكل عام في مجال الجماليات مثل : أوجه التشابه والاختلاف فيما بين الفنون وداخل الشكل الفني الواحد ( على سبيل المثال : المأساة في مقابل الملهاة ) . وكذلك دور الشكل والمضمون والوسيط في التعبير الفني ، أو التمييزات الخاصة بين قيمة الصدق في الفن وبين الواقع والمحاكاة ، والمظهر Appearance ، وأيضا العلاقة بين الفن كلغة والفن كرمز ، وكذلك أوجه التفاعل بين الاستجابات المعيارية والاستجابات الفعلية للفن ( أى بين ماينبغي أن يشعر به المرء ، في مقابل مايشعر به فعلا في مواجهة الفن ) ، والفروق بين النزعة النفعية ، وبين الفن الخالص . وبينما قد تثبت الدراسات الامبيريقية لهذه المشكلات وماعلى شاكلتها ، أنها دراسات مفيدة ، فإن هذه الدراسات في واقع الأمر دراسات غير موجودة ، فالمعالجات الموضوعية لمثل هذه القضايا ، وكذلك البيانات المدعمة

التي يمكن أن تبنى النظرية على أساسها هي أمور مفتقدة حتى الآن . وعند هذه المرحلة البدائية من المعرفة الامبيريقية ، فإن التأملات والتعميمات الخاصة حول دافعية وشخصية مؤلف معين ، وحول الابداع وسياقه ، وكذلك حول اتجاهات القارىء ، والموضوعات الكبيرة المماثلة ، هي تأملات وتعميمات محدودة بسبب عدم يقينية الحقائق المتاحة ، وإذا تعرفنا على ذلك فعلا ، فإنه قد يؤدي الى التأثير الجدير بالاعتبار في الحالة الراهنة من المعرفة .

إن تجاهل أوجه النقص والندرة الواضحة في الحقائق الثابتة الخاصة بالمنحى النفسي في دراسة الأدب ، عندما يكون في امكاننا الوصول الى تلك الحقائق ، انما يؤدي الى محدودية وخفض قيمة المناهج والاستنتاجات الخاصة حول الأدب بحيث تصبح مجرد تأمل ، أو رأى ، أو اقتناع شخصي ، أو مسألة ذاتية ، أو حدس ، أو أمثلة خاصة ، او منطق من الاتساق الداخلي فقط . ومثل هذه الأنماط من التحليل أمور مقبولة ومحكات مشروعة ومصادر للمعرفة . كما انها احرزت قدرا من النجاح في تلك المجموعة الكبيرة من الكتابات التي حاولت الربط بين علم النفس والأدب . لكن هذه الطرائق نحو المعرفة ، عندما يتم الحاق الأساليب الامبيريقية بها ، وعندما يتم توسيع مداها ، تصبح طرائق غير متسمة بالكفاءة .

من أجل هذه المبررات ، فإن هذا الكتاب ، لا يحاول أن يقوم بتغطية كل ذلك القدر الهائل من المضمون السيكولوجي الذي يمكن أن نجده في الأدب ، أو في المناقشات الخاصة بهذا الأدب ادبيا وجماليا وفلسفيا ، رغم أنها قامت احيانا بذكر العلاقة العامة للتحليل الأدبي مع علم النفس . فرغم أن النظريات الجمالية والأدبية تتكيء وتشير بشكل مكثف إلى الأبعاد النفسية ، فإن تأملاتها تصبح غير ناضجة خاصة عندما نجد أن الحقائق التي يمكن أن تثبت صلاحيتها أو فائدتها ، هي حقائق غائبة ، أو هي موضع للشك داخل هذه التاملات . ومن ثم فإن هذا الكتاب سيتكيء غالبا على القضايا النفسية الخلافية ، اكثر من اتكائه على القضايا ونقاط الجدل الجمالية أو الأدبية . وهناك مبرر أخر ربما لم يكن دفاعي عنه يمثل قوة دفاعي عن المبررات السابقة الخاصة بتحيزي ضد المناقشات التأملية ، حيث ، ولسوء الحظ ، يمنعني تدريبي السابق في مجال علم النفس ، وكذلك خلفيتي الأدبية المتواضعة غير المتخصصة ، من الحكم بشكل متسم بالاقتدار على المواد المأخوذة من مصادر وتحليلات أدبية . ومثل هذا القصور يقابله مانجده لدى معظم نقاد الأدب من قصور في المعرفة الدقيقة بالموضوعات النفسية .

يتمثل الهدف من هذا الكتاب في أنه يحاول أن يقدم منطقا معقولا وأدلة مناسبة تؤيد صدق الدراسة « الامبيريقية » للأدب ، مع وجود أمل ما بأن ينتج عن ذلك في النهاية

الوصول الى مزيد من الاثراء للتحليل الأدبي ، والنظرية الجمالية والبحوث النفسية وكذلك ، بشكل أكثر اتساعا ، تحقيق المزيد من التعاون والتبادل بين العلم والانسانيات .
ولم تتم متابعة مثل هذه النشاطات بشكل قوي من قبل داخل مجال علم النفس الامبيريقي ، لأنه لم يتم النظر اليها باعتبارها احتمالات جادة . لقد كان الاهمال العلمي للأدب ( وكذلك ميادين وموضوعات جمالية اخرى في مجال الانسانيات ) مسئولا عن ذلك العدد الهزيل ، وكذلك النوعية المنخفضة من الجهود الموضوعية في دراسة الأدب . وكما استنتج « سميث S. Smith مستاء » لقد كان هناك ميل إلى النظر إلى كل أشكال الفن ، بما فيها الأدب ، على أنها خارج ميدان العلم ،[٢] ان الدراسة « الامبيريقية » للأدب لم يكن لها من قبل ماض فسيح ولا مستقبل واعد . وتعديل هذا الموقف السكوني هو هدف هذا الكتاب . وتوحي الاستنتاجات التي توصلنا اليها آنفا باتجاهات بحثية خاصة ، ومن خلال وسائل يمكن بواسطتها ، التنبيه « الأمبيريقي » لمجال الدراسة العلمية للأدب .

لم يصمم الاطار « الامبيريقي » من أجل أن يحل محل أو أن يغتصب مكانة الأساليب التقليدية أو أن يأخذ موقع التحليلات الأدبية والفلسفية والجمالية . ان هذا المنحى العلمي هو مجرد مصدر واحد من المصادر والمناحي العديدة للمعرفة . انه مناسب فقط لدراسة بعض الجوانب المختارة من الأدب ، أى تلك الجوانب التي يمكنها اظهار انها تخضع للفحص « الامبيريقي » . وكما قيل بوجود فن لعلم النفس ( كما في العلاج النفسي مثلا ) فكذلك يمكننا القول بوجود علم للفن .

إن الهدف الأشمل لهذا الكتاب يتمثل في تشجيع عملية التبادل بين الجهود المختلفة في مجالي علم النفس والأدب « فبسبب كون علم النفس غض الاهاب ، قد يكون مناسبا بالنسبة له ان يتعلم حقائق اساسية قليلة من مجال الأدب »[٣] . مع ذلك فإن هذا الكتاب يعرف بأن هناك حدودا ستعمل على الحد من امكانيات التبادل بين المجالين : « فعلم النفس لن يحل عنوة محل الأدب .. كما أن الفنان لن يوقف نمو علم النفس »[٤] ورغم انني أتفق مع « بارون Baron » في أنه يوجد لدى علماء النفس شيء ما يمكنهم ان يساهموا به في « الفهم » ، والتعرف والتشجيع للفن والفنانين ، وللاهتمامات الفنية والقيم الجمالية عموما »[٥] فانني أعتقد ان الفنون يمكنها المساهمة ايضا في مجال علم النفس . ومن بين هذين النمطين من التبادل يقوم هذا الكتاب بالنظر اكثر فيما اسهم من خلاله الأدب في ميدان علم النفس أكثر مما يهتم بالنظر إلى ما أسهم به علم النفس في ميدان الأدب ، رغم أن هذين المجالين متلازمان بشكل جوهري .

❊❊❊

## هوامــش :

(١) من أجل الحفاظ على محك الاكتمال هذا فإن المقالات المناسبة التي ظهرت بعد انجاز مخطوطة هذا الكتاب ( ويقع حوالي ثلاثة أرباعها مابين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٣ ) قد تمت فهرستها باعتبارها مراجع اضافية في نهاية الكتاب ، وحيث ان الدراسة « الامبريقية » للمواد الادبية هي أمر ممكن ، فإن نصف هذه الاسهامات الحديثة تقريبا هي بحوث « امبيريقية » .

2. S. Smith, Review of Psychoanalysis and literary process, edited by F. C. Crews, Contemporary Psychology 16 (1971) : 208.

3. G. W. Allport in R. N. Wilson, «Literature, society, and personality, «Journal of Aesthetics and Art Criticism 10 (1952) : 299.

4. Allport in Psychology in action, edited by F. McKinney (New York : Macmillan, 1967), P. 348.

5. F. Barron, Artists in the making (New York : Seminar Press, 1972) . P. xv.

# القسم الأول

## المكانة الخاصة للدراسة الموضوعية للأدب

تتعامل الدراسة النفسية للأدب مع الخبرة ومع الاستجابة لموضوعات الجمال . وكذلك مع ابداع وتذوق هذه الموضوعات . فالاهتمام الخاص بعلم الجمال متعلق أساسا بالفنون ، تلك التي يمكن تصنيفها ( وفقا لتحليل بارنيت Barnett عام ١٩٥٩م ) إلى فنون جميلة Fine Arts : كالفنون البصرية* والموسيقى والأدب والعمارة والنحت ، وإلى فنون مركبة أو ممتزجة Combined Arts : كالرقص ، والمسرح ، والأوبرا ، وإلى فنون تطبيقية Applied Arts : كالسيراميك ، وتصميم المنسوجات ، وإلى فنون شعبية أو جماهيرية Popu-lar Arts : كأفلام السينما ، والموسيقى الشعبية ، وقصص المجلات وتمثيليات ومسرحيات الاذاعة والتليفزيون . ان الجماليات بأقسامها المختلفة ذات جاذبية خاصة بالنسبة لعلم النفس ، وذلك لأن كلا منهما ، بطريقة أو بأخرى ، يهتم بالخبرة والسلوك الانساني . فالجماليات هي مصدر للمعرفة الخاصة حول الانسان ، سواء كان ذلك من خلال عرضها وتوضيحها وتفسيرها الدراميّ للموضوعات النفسية ، وتنميتها للأفكار البحثية الخاصة حول هذه الموضوعات ، أو كان ذلك من خلال تزويدها لنا بمصدر من مصادر البيانات التي يمكن إخضاعها بعد ذلك مباشرة لعمليات التحليل .

من أجل هذا قد يبدو ضروريا وجود علاقة حميمة وثيقة بين الأنظمة المعرفية الخاصة بعلم النفس ، والخاصة بالجماليات . على كل حال ، فإنه رغم تلك الروابط المتبادلة وتلك العلاقة الوثيقة الممكنة ، فإن مجال الجماليات هو مجرد جانب فرعي من جوانب علم النفس . وعلاوة على ذلك ، فإنه من بين المجالات المتعددة من مجالات الجماليات يلقى الأدب أقل اهتمام ممكن مقارنة بمجالات أخرى كالفن والموسيقى . ومع التسليم بوجود علاقات متبادلة ممكنة بين الموضوعات الرئيسية للأدب والموضوعات الرئيسية لعلم النفس ، وكذلك الاسهامات الممكنة لكل منهما في الآخر ، فإن ذلك التحدي الخاص الذي كان من المفترض أن يحث على الاهتمام بهذه الجوانب كان غالبا مايقابل باللا مبالاة ، أو بالإنكار الصريح لوجود أية علاقة ، وبعدم القيام بأي جهد مناسب لاستكشاف الاحتمالات الممكنة .

لقد تم التعامل مع علاقة علم النفس بالجماليات عامة وبالأدب خاصة في الفصل الأول من هذا الكتاب ، وقد تم خلال هذا الفصل أيضا مراجعة المبررات المختلفة لتلك المكانة المنخفضة للفنون في علم النفس العلمي . وقد تمت المناقشة المنفصلة للعاملين الكبيرين المسئولين عن ذلك الموضع الصغير للأدب داخل مجال علم النفس ، في فصلين مختلفين ، وذلك بسبب الأهمية البارزة لهذين العاملين . فالفصل الثاني يلخص الخطوط العريضة لمنحى التحليل النفسي – أو مقاربته – لميدان الأدب ، وكذلك جوانب قصور هذه المقاربة .

* المقصود هنا الرسم والتصوير الزيتي والنحت بشكل خاص ( المترجم ) .

وفي الفصل الثالث وضع في الاعتبار ذلك التثمين المنخفض داخل مجال الأدب لدور علم النفس في التحليل .

وقد تمت مناقشة الطرائق التي يمكن ان يقوم الأدب من خلالها بإكمال وإثراء الدراسة النفسية للأدب بشكل أكثر تفصيلا في الفصل الخامس . وفي الفصل الرابع قمنا بتلخيص أوجه التناظر والتشابه بين الفنون والعلوم ، موضحين ان التوجهات النظرية والأساليب البحثية في مجال علم النفس « الامبيريقي » ، هي أمور قابلة للتطبيق على المواد الأدبية . أما الفصل السادس فيعرض الطرائق التي تم من خلالها انجاز التحليل « الامبيريقي » للمادة الأدبية في العلوم الاجتماعية وفي مجال علم النفس بشكل خاص .

٭٭٭

# الفصل الأول

## اهمال علم النفس للجماليات والأدب

وجه علم النفس في الماضي والحاضر اهتماما قليلا فقط للمشكلات الجمالية عموما ، ولمجال الأدب بشكل خاص . ونقوم في هذا الفصل بمراجعة الشواهد الخاصة على هذا الاهمال ، وكذلك المبررات الخاصة التي تقف وراءه . لقد نشأ الأمر بدرجة كبيرة عن ذلك النمو الخاص الذي حدث لعلم النفس كعلم ، وهو ذلك النمو الذي أيد النظر إلى الجماليات والموضوعات الذاتية المماثلة على أنها غير قابلة للاقتحام الامبيريقي . وهناك مبرر هام آخر لإهمال الأدب ويرجع هذا المبرر بدوره الى تلك الرهافة الخاصة للأدب كموضوع منبه ، بحيث تجعل هذه الرهافة من المادة الأدبية مادة يصعب التعامل معها بشكل موضوعي ، أكثر مما هو الحال بالنسبة للفنون الأخرى ، وتشتمل المبررات الأخرى المسئولة عن لا مبالاة علم النفس ازاء الجماليات والأدب ، على ذلك الاتجاه السلبي تجاه التحليل النفسي ، وكذلك على رفض الأدب ذاته ، ومن يمثله ، للمعاونة العلمية من قبل علم النفس ، وهي مبررات تمت مراجعتها في الفصلين الثاني والثالث .

## علم النفس كعلم :

قد يساعدنا التحليل المختصر للأحداث التاريخية الحاسمة في نمو علم النفس على تفسير السبب الكامن وراء ذلك الفحص العلمي المحدود من جانب علم النفس لمجال الجماليات .

إن علم النفس المعاصر -كما قام « بورنج Boring » بتمثيل عمليات ارتقائه -يضرب بجذوره الكبيرة في أعماق علم وظائف الاعضاء ، وكذلك في أعماق فلسفة القرن الثامن عشر « الامبيريقية » والترابطية البريطانية . لقد شجعت مقاربتهم لبنية العقل على الوصول الى تصور مختزل للانسان : فالمركب من الأمور كان يفسر من خلال تبسيط مكوناته ، فالنظر اليها في أبسط وحداتها ، ثم ان هذه الوحدات كانت تضاف بعد ذلك إلى بعضها من أجل الوصول إلى الكل الذي يجمعها .

لقد تأيد النموذج الذري* Atomistic الخاص بمناهج البحث في علم النفس ، وكذلك موضوعات هذا العلم من خلال ذلك الظهور الخاص لعلم النفس كعلم تجريبي . فقد وجه الاهتمام الأساسي إلى تطوير المناهج المناسبة . وتم الاعتقاد بأن الأساليب البحثية المناسبة ،لها أهمية مماثلة ، وربما أكبر من المصادر الأخرى الخاصة بالمعرفة النفسية .

---

* يرتبط هذا المصطلح ببعض المقولات الفلسفية القائلة بان الظواهر المختلفة تكون قابلة للفهم بدرجة جيدة عندما يتم تحليلها الى مكوناتها الفرعية الصغيرة ، فالجماعة تتكون من افراد ولا يمكن فهم الجماعة دون الفهم المناسب لافرادها والفرد يشتمل على عديد من المكونات العقلية والوجدانية والجسمية .. وهكذا ... وبالطبع لا يتبنى العديد من العلماء الآن مثل هذه النظرة التجزيئية ، بل يؤكدون ، بدلا من ذلك ، على اهمية التكامل والإطار الكلي ( المترجم ) .

لقد شعر علماء النفس ، حقيقة ، بأن المضمون والصدق غالبا ماسيجيئان بشكل تلقائي إذا تم استخدام أدوات العلم بشكل سليم . لقد لاحظ المؤرخ « بيترز Peters » مثل هذا الانشغال الزائد بالمناهج ، كما لاحظه أيضا بعض العلماء المستنيرين في الماضي أمثال « وليم جيمس W. James » وكذلك بعض العلماء الأكثر معاصرة أمثال « جورج ميللر G. A. Miller » في كتابه « علم النفس : علم الحياة العقلية »

Psychology : The Science of Mental life (1)

نتيجة لهذه الاتجاهات « صعبة المراس » في تاريخ علم النفس ، لم يجد علم النفس صاحب العلامة المنهجية القوية صعوبة تذكر في الالتحاق بركب علوم الأحياء والرياضيات ، كما أنه أصبح جزءا من العلوم الطبيعية وكذلك جزءا من العلوم الاجتماعية والسلوكية . وفي مقابل ذلك ، أصبحت الروابط الخاصة لعلم النفس مع الفنون والانسانيات ، وخاصة الأدب ، روابط واهنة ، من الناحية التاريخية .

فرغم ان الجماليات كانت مجال الاهتمام الأساسي لدى « فجنر Fechner » ، وهو واحد من أوائل علماء النفس في حقبته العلمية ، فإن معالجته الكمية للتفضيلات الجمالية الخاصة للأشكال غير ذات المعنى وكذلك للأشكال البسيطة ـ وذلك عندما حاول أن يشتق منها معادلة خاصة حول الجمال ـ انما تمثل تلك المعالجة ـ مقاربة ووجهة من النظر تظل موجودة داخل التراث الاختزالي التجزيئي(٢) .

لقد جاءت العملية الخاصة بتطبيق إطار أكثر مرونة داخل مجال علم النفس ، بالرغم من أنه ظل إطارا موضوعيا و « امبيريقيا » ، جاءت من مصادر مختلفة عن التيار الرئيسي الذي لخصناه سابقا . فمن بعض الجذور الخاصة ، مثل فلسفة « كانت » والظاهراتية ( الفينومينولوجيا ) ظهر علماء النفس الأوروبيون الذين حددوا موضوعهم على أنه الوصف في مقابل التفسير ، وكان هدفهم هو الوصول الى علم نفس قائم على أساس الفهم ، ولم تكن هذه وجهة سلوكية جامدة الأفق ، بل وجهة من النظر منفتحة على البيانات الذاتية ، ومتفهمة ومتذوقة للمعرفة ، التي تصل اليها من خلال الحدس . على كل حال ، فإن تلك المقاربات الخاصة لعلم النفس والتي تضمنت بيانات انطباعية ومنهجيات غير تجريبية كانت أمورا محرمة أو بغيضة بالنسبة للتوجه القوي الذي كان سائدا في علم النفس ، خاصة في الولايات المتحدة ، ولم يتم تمثل هذه المقاربات داخل علم النفس العلمي إلا حديثا فقط .

ربما نستطيع أن نجد أفضل المناقشات الفلسفية لهذه القضايا المنهجية في النقد الحديث الذي وجهه « جيورجي Georgi » الى علم النفس . لقد لاحظ هذا الباحث أن

الارتقاء التاريخي لعلم النفس قد تأثر اكثر بالمعمل الاستبطاني* لدى « فونت Wundt » أكثر من تأثره بنظريات الشخصيات لدى « ديلتاى Diethey » و « سبرانجر Spranger » و « ستيرن Stern و « مكدوجل Mc Dougal » ، وقد أدى هذا إلى اختيار نموذج واحد فقط من النماذج العديدة الممكنة أمام العلم ، الا وهو نموذج العلم الطبيعي . « ان علم النفس ينبغي عليه أن يكون أكثر اهتماما بما يحدث بين العلوم الاجتماعية ، بدرجة أكبر من اهتمامه بما يحدث بين العلوم الطبيعية »(٤) » . وجادل « جيورجي » قائلا : بأن هذا القرار الخاص بالمحاكاة والاستعارة من أحد المناحي الخاصة من مناحي المعرفة ، قد أدى إلى جعل دراسة علم النفس للانسان متسمة بالمحدودة ، وإلى تجريدها من صفة الدراسات الانسانية . لقد تم خلال ذلك تجاهل الدراسات التاريخية ، والثقافية ، والفلسفية ، الأكثر كيفية والأقل اختزالية وتجزيئية . لقد أدى النموذج الخاص بالعلوم الطبيعية ، في مجال علم النفس ، كما يقول « جيورجي » ، إلى تبني وجهة من النظر تقول بأسبقية القياس على المحتوى : « فالقياسات تسبق الوجود [ بالنسبة لعلم النفس الأكاديمي ] ، بحيث توجد الظاهرة بالمدى الذي تكون عنده قابلة للقياس »(٥) . لقد أدى هذا التوجه محدود الأفق الى استبعاد موضوعات مناسبة ومثيرة للاهتمام داخل مجال الخبرة الانسانية ، ومن هذه الموضوعات مثلا : الوعي ، والتأمل ، والشخص ، وذلك لأن هذه الموضوعات لا يمكن قياسها بشكل ناجح .

ومن أجل التغلب على هذا التوتر ، والتفكك ، والافتقار الى الاتجاه ، والذي نجم عن هذا الانقسام بين المحتوى واسلوب البحث في مجال علم النفس ، ومن اجل بحث المشكلات ذات المعنى ، بطريقة ذات معنى اقترح « جيورجي » مقاربة انسانية ـ فينومينولوجية في هذا المجال . وتقوم هذه المقاربة بوضع دراسة الشخص في المقام الأول ، ثم تأتي الوسائل العلمية المناسبة لانجاز هذه الدراسة بعد ذلك بطريقة وثيقة الصلة ومناسبة لهذا الهدف .(٦)

رغم أن محاولة « جيورجي » هذه لتنقيح وتعديل مقاربة علم النفس من موضوعه ، لم تتعامل مع المواد الأدبية في حد ذاتها ، فإنه يبدو ان هذه المحاولة تتعاطف مع ادخال المواد الأدبية داخل مجال الدراسات النفسية . فالادب يشير ، بشكل اجمالي ، الى « الظواهر الانسانية الفريدة » والتي تشتمل بدورها على « الجوانب الشخصية والذاتية والمتعلقة بالخبرة » . [ فالأدب يتعامل ] مع الظواهر الانسانية من خلال معنى انساني وبطريقة انسانية ، ويقوم بتبيان ظواهر الوعي والشعور »(٧) .

* يشير مصطلح الاستبطان بشكل عام الى النشاط الخاص بالنظر الى الداخل ، اى قيام الانسان بفحص خبراته الداخلية بنفسه (المترجم) .

على كل حال ، فإن « جيورجي » يتخطى كل اللوائح والقوانين البحثية ، التي يلتزم بها معظم علماء النفس العلميين ، من خلال رغبته في الاقلاع عن القياس والتجريب ، أو القيام باعطائهما اهمية ثانوية ، اذا ترتب عنهما اى ضرر بالنسبة لدراسة الخبرة الانسانية . وهناك بديل آخر يطرحه هذا الكتاب ، ومن خلاله يتم دمج انواع جديدة من المواد القابلة للدراسة في مجال علم النفس ، ويتمثل هذا البديل في تبني وتعديل - لكن مع المحافظة على - الأساليب والتقنيات البحثية ( بما فيها العمليات الكمية ) الموجودة في علم النفس التقليدي .

لقد أدى التقليل من شأن وجهة النظر الذاتية في علم النفس الى منهجية محضة تتجاهل ، ولا تثق ، في الجوانب الحدسية من المعرفة ، وهو اتجاه قام « باكان Bakan » بنقده بشكل رائع متهما إياه بالتفاهة . وإحدى النتائج المترتبة على هذا الاتجاه كانت هي اهمال دراسة الجماليات ( وتتيجة لازمة لذلك اهمال الأدب ) في مجال البحوث النفسية . ان عدم التعاطف الذي ينظر من خلاله العالم الى الفنان ، باعتبار ان وجهة النظر الموضوعية هي وجهة معادية لوجهة النظر الذاتية ، انما يتمثل في هذا المقتطف الذي ننقله عن « ويلسون » :

« لقد تم الاعتقاد بأن الطريقة الفظة ، والتعبير الذي تعوزه الرشاقة ، هما من العلامات الخارجية الملموسة الدالة على الاحترام العلمي ، وأن معطف الصباح الخاص بالانسانيات ينبغي ان يحل محله القميص الأكاديمي ذو الاكمام الذي يرتديه عالم الطبيعة في معمله .. لقد اقتلع العلماء [ الفنون ] من مجال الدراسة الاميريقية الخاصة بينابيع السلوك الانساني . لقد تم النظر إلى الفنون على أنها سطحية ، وأنها تتعلق بشكل غامض بحافة المجتمع غير المتحضر »(٨) .

في حقيقة الأمر ، كما يحاجج « لوفينثال Lowenthal » ، فإن هناك نوع من عدم الثقة المتبادلة بين الدارسين في مجال الانسانيات وبين زملائهم في العلوم الاجتماعية(٩) . ان المكانة المنخفضة الخاصة بالفنون في المجتمع عموما ، مقارنة بالمكانة العالية للفنون ، هي أمر قابل للمضاهاة مع تلك الاتجاهات الخاصة الموجودة لدى المتخصصين في هذه المجالات .

الدور الثانوي للجماليات :

عندما نضع ذلك السياق المنهجي المحافظ السابق في الاعتبار ، لن يكون مثيرا لدهشتنا أن نجد ان علماء النفس أصحاب الاتجاه العلمي قد قاوموا دراسة الجماليات . فمن الصعب معالجة المواد كبيانات اذا اعتقد المرء ان المحكات العلمية الخاصة بالموضوعية ، والصلابة او الصرامة ، ودقة القياس ، وكفاءة التحكم والتفسير ، هي أمور

لا يمكن تطبيقها بشكل مقنع او حتى بشكل مناسب . لقد ترتب على ذلك أن أصبح علم النفس العلمي غير مهتم حقيقة بدراسة الفنون والانسانيات .

ان اهمال علم النفس للجماليات ، رغم الجوانب الانسانية المتميزة المتضمنة فيها ، يكون أمرا واضحا ، عندما تتم مقارنة المعالجة الخاصة للجماليات ، بتلك المعالجات الخاصة للموضوعات الأخرى التي يكشف عنها التنوع الكبير لموضوعات علم النفس . ان حذف الموضوعات الجمالية هو أمر دائم ومستمر ، أيًّا كان المنتج السيكولوجي الذي يقوم المرء بفحصه ، ويظهر هذا سواء كنا نقوم بفحص الكتب أو المداخل المتقدمة ، أو المراجعات ، أو التحليلات الخاصة ، حول تاريخ علم النفس وأسلوبه .

فلم يكرس ولا فصل في كتاب « كوخ Koch » الكبير المشتمل على ستة مجلدات ، راجع فيها مجال علم النفس تحت عنوان « علم النفس ، دراسة في العلم Psychology: A study of Science » ، للتعامل مع الفنون والانسانيات ، هذا رغم وجود فصول عديدة تتعامل بشكل مكثف مع علم النفس في علاقته بالعلوم الاجتماعية والسلوكية . وإلى حد ما تعتبر مقالة « زينر وجافرون Zener & Gaffron حول « ادراك المكان » في المجلد الرابع من مجلدات « كوخ » هذا ، هو الاستثناء الوحيد الذي يشير الى الفنون بدرجة كبيرة ، وفي المعالجة الخاصة لتاريخ علم النفس ونظرياته في كتاب مهم مثل كتاب « الاتساق والنظريات على علم النفس » « Systems and Theories in Psychology » تأليف « ماركس وهايلكس » Marx & Hillux كان الأمر واضحا بدرجة نموذجية . فقد قام هذان المؤلفان بالترتيب المتدرج. هيراركيا ( هرميا ) للأنظمة المعرفية التي تقوم بدراسة الانسان ، والتي من بينها علم النفس ، ولم توجد هناك أية إشارة ، أيًّا كانت ، للفنون ، أو الانسانيات . ويعد أحد الكتب النموذجية في تصميم البحوث ، الا وهو كتاب « علم النفس التجريبي « experimental psychology لمؤلفه « مكجوجان Mc Guigan » استثناء في هذا التيار العام ، وذلك لأنه قام بتضمين الموسيقى ، والفن ، والأدب ، بين تلك الموضوعات التي يعتقد بأنها ترتبط بعلم النفس . وعلى كل ، فان هذه الموضوعات قد وضعت عند طرف المركز الخاص الذي اشتمل على عشرة من الأنظمة المعرفية الأخرى ( وقرب الأنظمة الميتافيزيقية منها ) ومما يشير بشكل واضح إلى أن الفنون قد تم ابعادها كثيرا عن تلك الموضوعات التي اعتقد « مكجوجان » أنها وثيقة العلاقة بعلم النفس بدرجة أكبر .

**المبررات وراء إهمال الجماليات :**

اضافة لتلك المبررات الخاصة بمقاومة علم النفس ذاته لدراسة الظواهر الذاتية ـ وهي المقاومة التي تمتد بجذورها في أعماق تاريخ هذا العلم ـ هناك دوافع أخرى تقبع وراء عملية الإهمال للجماليات هذه . فهناك عاملان كبيران مرتبطان ببعضهما يقفان وراء هذه

العملية ، أحدهما يتعلق بذلك العدد الكبير من المجالات التي يمكن تصنيف الفنون وفقا لها ( وهي حوالي ١٢ مجالا على الأقل ) ويتعلق الآخر بذلك المدى الكبير من الفروع العلمية من الأنظمة المعرفية التي تشترك معا في اهتمامها العميق بالجماليات مثل : علم النفس ، وعلم الاجتماع ( والعلوم الاجتماعية الأخرى ) والفلسفة ، و ، بطبيعة الحال ، الفنون المختلفة . ان ماينتج عن ذلك من تنوع كبير في الاهتمامات والأهداف الخاصة بالجماليات هو أمر يثير الارتباك حقا . وربما كان هذا مفسرا لتذمر « برات Pratt » حين قال « ان الجماليات ليس لها حدود أو اتجاهات واضحة [ ولا يوجد بها موضوعات رئيسية أونماذج يمكنها أن تقدم ] رابطة أو هدفا مشتركا »(١٢) .

وأضاف « برلين Berlyne » عددا من العوامل الأخرى ، الخاصة بعلم النفس ، والتي نجم عنها ذلك الإهمال للجماليات . وتشتمل هذه العوامل على : الاتكاء الكبير على البيانات البيولوجية والسلوكية الى الدرجة التي يتم عندها استبعاد البيانات العقلية والرمزية وغير السلوكية ، وأيضا اهمال النظر في البحوث المبكرة في مجال الجماليات ، وقد أدى هذا بدوره إلى إعاقة العملية الخاصة بتطوير اساس قوي للعمل المعاصر في المجال ، وكذلك الاهتمام الزائد بالأبعاد المعيارية ( حسن ـ سيىء ) في الفنون ، وإلى الدرجة التي استبعدت عندها الجوانب الأخرى منها »(١٣) ، وفي سياق آخر ، لكنه يظل مناسبا لكلامنا ، أشار « برلين » أيضا الى ان انشغالات علم النفس المحدودة قد أدت الى اهمال موضوعات اخرى مثل الضحك والفكاهة واللعب ، وذلك لأن هذه الموضوعات ، مثلها مثل الجماليات ، « هي أشكال من السلوك » تبدو على أنها تفتقر إلى « الجدية » كما أن علماء النفس ـ اجمالا ـ لم يأخذوها بشكل جاد » ونتيجة لذلك كما يستنتج « برلين » فان النظريات الحالية في علم النفس تواجه صعوبة واضحة في تمثل هذه الظواهر ، ولابد من أن نستدل من ذلك على أن هذه النظريات تعاني من مظاهر نقص متسمة بالخطورة »(١٤) .

**مكانة الأدب في « علم نفس الجماليات » :**

وجه اهتمام قليل إلى علم نفس الأدب ، مقارنة بغيره من الموضوعات الخاصة بالجماليات ، خاصة اذا استبعدنا المقاربة التحليلية النفسية للأدب ، والتي تقوم ، إلى حد كبير ، بالتفسير الشارح للنثر الأدبي . ومن بين العديد من الباحثين الذين ناقشوا العلاقة بين علم النفس والجماليات في أشكالها العامة ، أي هؤلاء الباحثين أمثال « مونرو Munro » و « سبارشوت Sparshat الذين بحثوا عن الاحتمالات العلمية للتعاون بين المجالين ، قام هؤلاء الباحثون باختيار أمثلتهم الموضحة التي قاموا بمناقشتها اساسا من مجال الفنون التشكيلية ، وبدرجة أقل من مجال الموسيقى . ان معظم النظريات الجمالية تهمل الأدب أو تقوم ، بدلا من ذلك ، باعطائه نزرا يسيرا من الانتباه .

وقد تم الاعتراف بإهمال الفلسفة ايضا للأدب خلال قيامها بمناقشة الجماليات في مقالة حديثة كتبها « سميث B. H. Smith ، كما أن ذلك تضمن أيضا في تلك التغطية السريعة الموجودة في الـ Weitz Reader حول الجماليات ، والتي نجد فيها قسما صغيرا فقط حول الشعر والتراجيديا ( أو المأساة ) . لقد قدم « جرينوود Greenwood » ، حديثا ، دفاعا مثيرا للاهتمام حول مناسبة وفائدة التحليل الفلسفي للأدب . فالعديد من المبررات الخاصة المقدمة حول أهمية انشغال الفلسفة بالأدب هي مبررات صحيحة بالنسبة لعلم النفس ايضا : ان بعض الأعمال الفلسفية هي أعمال أدبية أيضا ( كما هو الحال لدى نيتشه مثلا ) ، كما أن بعض الأعمال الأدبية تجسد أفكارا فلسفية رئيسية ( كما في رواية « الحرب والسلام » لتولستوى مثلا ) . ويساعدنا التحليل الفلسفي للأدب كذلك في فهم الأدب ذاته ، فالتحليل الفلسفي مماثل للتحليل الأدبي بدرجة ما . ويمكننا ان نجد في احد كتب « فايتز Weitz » مثالا ملموسا على التحليل المنطقي للتفسيرات المختلفة لشخصية « هاملت » .. كما يظهر التطبيق الخاص للمنهج الفينومينولوجي في التحليل بشكل واضح من مراجعة « هاينز Hynes » لأحد كتب « جوزيف كونراد »* . وهناك مدخل ممتاز حول المقاربة الفلسفية للأدب ، والتي تظل أيضا مناسبة بالنسبة لعديد من الأفكار والموضوعات النفسية الرئيسية ، رغم انها ليست امبيريقية ، ونجدّ هذا المدخل في كتاب « روس Rass » المسمى « الأدب والفلسفة : تحليل للرواية الفلسفية » .

« Literature and Philosophy: An Analysis of the Philosophical novel.

ان انشغال مجال الجماليات الاستثنائي بالمواد غير الأدبية ـ باستثناء الكتابات القليلة التي ذكرناها أنفا ـ قد ترتب عليه بالضرورة أن أصبح مصطلح « الجماليات » يعني الفن ، وأصبح المقصود بالفن هو الفنون التشكيلية فقط . وقد اصبحت المناقشات العامة حول الجماليات ، نتيجة لذلك ، موجهة فعلا نحو طرح الأسئلة حول الفن التشكيلي كما أن هذه المناقشات غالبا مايتم توضيحها من خلال المجال الخاص بالفن التشكيلي . إن البحوث في مجال الجماليات ، في معظم حالاتها ، غالبا مايقصد بها ، في واقع الأمر ، تلك البحوث التي أجريت في مجال الفن ، وحدث نفس الشيء بالنسبة للبحوث في مجال الابداع ، والجماليات التجريبية والتربية الفنية . وعلى سبيل المثال فإن المعالجة الكمية الكلاسيكية للجماليات والموجودة في كتاب « بيركوف Birkhoff » « المقياس الجمالي Aesthetic Measure » قد كرست فصلاً واحدا فقط للمواد الأدبية ، وكرست هذا الفصل بدوره للشعر فقط . أما الفصول الأخرى فتشير إلى المواد البصرية . وقد تجاهل نقاد الجماليات بشكل

---

* جوزيف كونراد ( ١٨٥٧ ـ ١٩٢٤ ) . روائي انجليزي ، بولندي المولد ، اتخذ من البحر موضوعا للكثير من رواياته ، ومن أشهر هذه الروايات « قلب الظلام » ( المترجم ) .

يدعو للدهشة هذا التحديد الضيق ، وهذه المعالجة المحدودة للجماليات واللذين تم خلالهما تجاهل الأدب ، ومن أمثلة هؤلاء النقاد نجد « بلوم Bloom » و « موراي E. Murray » اللذين قاما بالتركيز فقط على جوانب قصور هذا التحديد وهذه المعالجة في ميدان الفن .

في إشارة نادرة للمواد الأدبية ، موجودة في إحدى المراجعات القليلة للجماليات في مجلة سيكولوجية ، لاحظ « برات » معالجة علم النفس السريعة للأدب . وليس مستغربا أن نجد ان ملاحظته التالية قد وضعت في هامش « فالكثير من الاهتمام الزائد يعطى للفنون ، التي يكون الشكل فيها بارزا أكثر من الاهتمام الذي يعطى لتلك الفنون التي تكون الكلمات فيها بمثابة المعينات سريعة الزوال fleeting clues ، إلى المعنى والأفكار »(١٥) .

وتعكس المراجعات والدراسات المسحية العديدة ، الحديثة والشاملة ، حول الجماليات ، بما فيها تلك المراجعات والدراسات ، التي قام بها « فارنزورث Farnsworth » و « لانجفيلد Langfeld » و « ماكويني McWhinnie » و « فالانتين Valentine » أيضا ، تلك المكانة الثانوية المعطاة للأدب وذلك من خلال ذلك الاهتمام العابر الموجه إلى هذا المجال .

وعلى سبيل المثال ، فإن واحدا من أكثر القائمين بالمراجعات في المجال ( والعاملين فيه ايضا ) غزارة ، وهو « تشايلد Child » قد قام في مراجعته للمجال عام ١٩٦٨م بمجرد الذكر العابر للأدب ، وذلك في سياق مراجعته الشاملة التي قام خلالها بالتغطية لموضوعات الفن ، والفنان ، والمتلقي للفن . كما أن مناقشته لعلم نفس الأدب عام ١٩٦٩ قد استغرقت منه ماهو أقل من ١٠٪ من الصفحات السبعين تقريبا المكرسة لمراجعة مجال علم نفس الفن . كذلك فإن مراجعته الأكثر قربا في تاريخها والتي ظهرت عام ١٩٧٢م تشتمل ايضا على صفحات قليلة خاصة للأدب وهي مكرسة اساسا للاسهامات التحليلية النفسية ، كما أن هناك أيضا مناقشة ما للجوانب العامة من اللغة التي يمكن لها بعض الأهمية بالنسبة للأدب .

لقد لاحظ « ماكوردي McCurdy » ، بحق ، خلال مراجعته « لعلم نفس الأدب أنه قد أهمل ، لكنه موضوع طبيعي من موضوعات علم النفس »(١٦) . كذلك فإن « برلين » في نظريته النفسية الحديثة ، والأكثر شمولا ، حول الجماليات والتي عرضها في كتابه « الجماليات والبيولوجيا النفسية » « Aesthetics and Psychology » لم يوجه « برلين » اهتماما خاصا للأدب ، ووجه معظم اهتماماته للمادة البصرية . ان افتقار علم النفس للاهتمام بمجال الأدب يثبت صدقه أيضا بالنسبة للأعمال القديمة في مجال الجماليات النفسية : فمن بين القائمة التي تشتمل على أكثر من ألفي مرجع ( ٢٠٠٠ مرجع ) والتي قام بفهرستها « تشاندلر وبارنهارت Chandler & Barnhart والتي تغطي الفترة التي تمتد من ١٨٦٤ حتى عام ١٩٣٧ نجد أن أقل من نسبة ١٠٪ فقط من هذه المراجع هو المكرس للأدب ، كما أن نصف هذا القدر يتعامل مع الشعر فقط .

رغم وجود بعض الاستثناءات القليلة لهذه الندرة الخاصة بالتحليل الأدبي في مجال علم النفس ، فإن هذه الاستثناءات تعد محدودة من جوانب عديدة . فمراجعة نيكسون Nixon المبكرة مثلاً للأدب في علم النفس هي مراجعة مقصورة على تلك الدراسات التي يمكنها أن تساعد وتزود الكاتب بالمهارات العلمية المطلوبة للكتابة . أما « هولستي Holsti » فقد قدم أكثر المراجعات المسحية اتساعا لهذا المجال ، لكنها مع ذلك تظل مراجعة متفرقة للدراسات الامبيريقية الخاصة بالأدب . أما الاستثناء الجدير بالتنويه الخاص بهذا الانشغال الزائد بالفن فيتمثل في كتاب « فيجوتسكى Vygotsky » المعنون « علم نفس الفن » The Psychology of Art والذي قام بتضمين الأمثلة الأدبية بدلا من الأمثلة الفنية . وعلى كل حال ، فإن نظريته لم تتم مواصلتها والحفاظ عليها من خلال الجهود البحثية النشطة .

من الواضح ، رغم تعريفات « أوجدن » و« ريتشارد » Ogden & Richards للجمال والتي وصل عددها الى عشرين تعريفا أو نحو ذلك ، أن معظم المناقشات حول الجماليات لم تكن قادرة بشكل واضح على تطبيق هذه التعريفات على الأدب . كذلك فان حجج سارتر المحبذة لأهمية الكاتب لم يتم الالتفات اليها بشكل واضح . فبشكل يختلف عما يقوم به المساهمون الآخرون في مجال الجماليات ، يقوم الكاتب كما يلاحظ سارتر ـ باستخدام اللغة في التخاطب Communication ، ومن ثم يجب أن يتوفر لدى هذا الكاتب ، وفقا لما يقوله سارتر تأثر دال أكبر في توجيه إدراكاتنا ، أكثر من الفنان التشكيلي أو الموسيقار . ورغم ذلك ، فإن العلاقة الخصبة بين علم النفس والأدب قد تم حرمانها من كل مصادر خصوبتها . وقد لاحظ « مالمود Malmud » أن علم النفس والأدب انما يتحدثان عن نفس الأشياء ، كما عبر عن شعوره بالفزع بسبب هذه الفجوة الموجودة بينهما .

المبررات الكامنة وراء إهمال الأدب :

رغم أن بعض علماء علم النفس الانساني ، أمثال « رويس Rayce » و « بوجنتال Bugental » لم يرفضوا امكانية تطبيق الأدب في مجال علم النفس ، فانهم قد عبروا عن عدم شعور بالراحة ازاء تلك العلاقة الموجودة بينهما . ورغم تعاطفهم مع الفن والعلم ، فإنهم اعتقدوا ان معظم علماء النفس ينظرون الى هذين المجالين ، على انهما منفصلان ومتميزان . وقد طرح « شوبن Shoben » مثل هذه النقطة من خلال قوله أن العلماء ، على عكس الشعراء ؛ لا يستطيعون ( ولا يجب أن يقوموا بذلك ) استحضار ثراء الحياة الانسانية ، أو مايتم الشعور به انسانيا . وقد جادل قائلا بأن تعبيرات علم النفس لا يمكنها أن تعكس نفس النوع من الدفء الذي يمكن ان تعكسه التعبيرات التي كتبها أحد الكتاب . كما لا تستطيع النظرية النفسية أن تشير إلى تذوق الأطعمة الحريفة ، أو الأحزان والمباهج

الانسانية ، وكذلك الشعور بالكرامة في الحياة الانسانية » ان طرح هذا ، معناه ، كما يواصل « شوبين » قوله ، أن نطلب الشيء الكثير ، وربما الشيء الخاطيء ، من علم النفس « إن وصف الأحداث بتلك الطريقة التي تستحضر فيها الحالة الخاصة بالمشاركة في هذه الأحداث ، وبالشعور بالخبرات وليس تفسيرها ، هي المهمة الخاصة بالشاعر وليس العالم »(١٧) .

لقد قام « سكاجز Skaggs » بتضخيم هذه الوجهة من النظرة المثبطة للهمم حول العلاقة المناسبة بين الأدب والعلم من خلال مجادلته القائلة بأنه من المفترض إبعاد العلم عن خبرة الحياة اليومية ، ومن ثم لا يستطيع هذا العلم أن يصور او يفهم الطبيعة كما يصورها ويفهمها الروائي . وأحد المبررات لذلك ، كما يؤكد « ويات F. Wyatt » هو أن الأساليب البحثية المتاحة في علم النفس لا يمكنها ان تقوم بالتقدير المناسب للحالة الفريدة ، خاصة عندما تكون هذه الحالة مأخوذة من الماضي . ان هذه الحالة الفريدة هي التي تحدد بشكل جوهري الخصائص المميزة لمضمون الأدب . وقد كان «لانا» أكثر تشاؤما حين قال : « ان القول بأن التحليل الأدبي للمواقف الاجتماعية ، سيكون قابلا للاختزال في النهاية في شكل مصطلحات نفسية ، هو أمر لا طائل تحته ، بالنسبة لفهمنا الحالي للنشاط الاجتماعي ، وكذلك بالنسبة للجانب الذي يبشر به هذا القول والخاص بارتقاء العلم في المستقبل »(١٨) . وفي أحسن الأحوال ، فإن العديد من علماء النفس قد اتفقوا مع ماكتبه « أوسجود Osgood » حول اللغويات النفسية Psycholinguistics بشكل عام ، وحول أنه بينما توجد امكانات عظيمة في الأدب ، فإن ما تم إنجازه بالنسبة له ، هو قدر قليل جدا مقارنة بما سبق طرحه من وعود .

## طبيعة المواد الأدبية :

قد تساعدنا النظرة القريبة الى الطبيعة الاساسية للأدب كموضوع ـ منبه ، في مقابل المادة الخاصة بالفنون الأخرى ، في تفسير ذلك التفاوت الخاص في اهتمامات علماء النفس بين هذين المجالين المختلفين من الجماليات .

ان معظم الفنون تعتمد على حادثة ادراكية معينة ، تكون خصائصها المنبهة نوعية ومحسوسة نسبيا . فالمصادر البصرية والسمعية للفن التشكيلي والموسيقى ، رغم أنها تظل مصادر مركبة ؛ فإنه يمكن اعتبارها أسهل في تحديدها وقياسها ، ومعالجتها ، أو التكامل معها ، من المادة اللفظية الخاصة بالأدب ولذلك فإنه من الممكن وصف بنية الأحداث الجمالية غير الأدبية بسهولة أكبر نسبيا ، كما يسهل أيضا تمثل هذه الأحداث ، ثم أخيرا القيام بربطها وظيفيا بعمليات الابداع لدى الفنان ، وبالآثار الملموسة للجهود

الخاصة بهذه العمليات ، وكذلك باستجابة التذوق لدى المتلقي لهذه الأحداث او الوقائع الجمالية . ان الرفاهة الكبيرة الخاصة بحرفة الكاتب تتم الاشارة اليها من خلال مقارنة التدريب الرسمي الموجز نسبيا ، هذا إن وجد ، لدى الكاتب ، بتلك التكنولوجيا الهائلة والتدريب الرسمي المكثف ، الضروريان في الفن والموسيقى .

من ناحية أخرى ، فإن الأدب كمنبه ، انما يظهر بشكل غير مباشر ، ورمزيا من خلال اللغة ، فيعتمد المصدر الخاص بالاستجابة الأدبية بشكل كبير على استثارة التداعيات والصور المرهفة والضمنية . وتشير هذه التداعيات والصور الى العناصر الاشارية او الظاهرة denotable من الإدراك، بشكل أقل من تلك الاشارات الموجودة في الفن التشكيلي والموسيقى ، لكنها تشير اكثر ايضا الى المعرفة والفكر ( رغم ان هذه الجوانب تشكل ، بالطبع ، جانبا من كل الفنون ايضا ) . قارن ، على سبيل المثال ، بين الصعوبات التي تواجهنا عند قياس الكلمات ، وتلك السهولة النسبية الموجودة عند التحديد الدقيق للأشكال والألوان والأصوات . لقد ناقش « ايزنك Eysenck » هذا التمييز بين الفنون والأدب من خلال مصطلحات تميز بين الاحتمالات الامبيريقية لكل منهما .

فالفنون في مقابل [ الروايات والدراما ] هي مثار اهتمام كبير من قبل علماء النفس وذلك لأنها فقط التي تخضع نفسها بسهولة لعمليات القياس ، ومن ثم لصياغة القوانين وتراكم الشواهد الامبيريقية وهي الأمور المرغوبة تماما حينما تكون التعبيرات الدقيقة عن العلاقات هي الأمور المطلوبة .

إن النتيجة المترتبة على ذلك وفقا « لايزنك » ، هي أن أصبح الأدب مشتملا على درجة منخفضة من القابلية للتكميم ( أو التعبير الكمي ) .

[ تتعامل الرواية ] مع المضمون وليس مع الشكل ، إنها ذاتية بدلا من أن تكون موضوعية ، إنها لا تقدم تعبيرات دقيقة في شكل رقمي ، لكنها بدلا من ذلك تحاول أن تنقل الانطباعات من خلال الوسائط الخاصة بالكلمات .. وهذه الخصائص .. جعلتها موضعا لتشكك العالم بدرجة ما[19] .

لقد جادل « برات » ، طارحا تمييزا بين الفنون والأدب ، يقوم على أسس مماثلة : « فالفنون الشكلية أو الجملية تخضع بذاتها للتحليل العلمي .. وبشكل أكثر مناسبة من الفنون اللفظية [ والتي هي ] ميدان كبير للخبرة النفسية ، والتي يصعب الوصول إليها من خلال النظرة الفلسفية القديمة الثابتة »[20] وقد نظر « مكدوجل » الى الأمر بطريقة مختلفة ، فاعتبر الصعوبة كامنة في الاستخدام الخاص للغة في ميدان الأدب ، أى كأداة للتخاطب وهي التي يمكن أن تكون ، حتى في المحادثة العادية ، مصدرا للخلط والتشوش . وقد أضاف « ماكوردي » إلى هذه القائمة من المشكلات الخاصة باللغة

والتعبير الكمي ، تلك الجوانب الخاصة بالانفعالات المتفرقة التي تستثار لدى القاريء والتي تساهم باعتبارها مصادر اضافية للصعوبات التي يواجهها القاريء ، في كشف القناع عن النوايا الكامنة التي يضمنها الكاتب في عمله .

باختصار ، فإن الفارق الأساسي بين قابلية الفنون وقابلة الأدب للفحص « الامبيريقي » ، انما يكمن في تلك السهولة ـ أو الصعوبة ـ التي يقوم من خلالها المرء بدراسة المسببات والآثار الخاصة بكل منهما . فالفنون تقوم على اساس الخبرة والرسالة الادراكية ـ او الانطباع الادراكي البصري ، أو السمعي ، المباشر ، والتلقائي . اما المواد النثرية فتعتمد على احكام معرفية ، مؤجلة ووسيطة وأقل وضوحا . لقد أدت هذه الاعتبارات العملية ، الخاصة بالبحوث ، إلى إهمال الدراسة الامبيريقية للأدب ، وايضا إلى مقاومة التعامل مع الأدب داخل الحدود النظرية لعلم النفس العام .

## العواقب المترتبة على ماسبق :

نجم عن عدم اهتمام علم النفس بالأدب ، العديد من العواقب الخطيرة . ففي المقام الأول أصبح من النادر ربط الأدب بالنظريات النفسية ، بعكس ماحدث من ربط للفنون ، مع نظرية الجشطلت مثلا[٢٢] . وقد تمثل ربط الفن بنظرية الجشطلت لدى « ارنهايم » في كتابه « الفن والإدراك البصري » « Art and Visual Perception » وكتابه « الانثروبيا والفن » . ورغم أن « أرنهايم » قد تعامل مع الأدب في كتابه « التفكير البصري » « Visual Thinking » فإن ذلك قد تم في ضوء الصور البصرية التي تهتم استثارتها في الأدب . وتعتبر مناقشة « كوفكا Koffka » لتكنيكات الممثل استثناء للقاعدة الخاصة بتعامل علم النفس لدى أصحاب نظرية الجشطلت مع الفنون وليس مع الأدب . وقد ناقش « جبسون Gibson » في نظريته المجالية* حول الادراك ، الكتابة واللغة ولكنه لم يستخدم أمثلة أدبية لتوضيح مناقشته . لقد كانت هذه نظريات جمالية مرتبطة بالانتباه والدافعية ، وليس بالادراك ، كما كانت نظرية « بيكخام Peckham » ، لكن هذه النظريات قد استبعدت بشكل واضح التعامل مع الأمثلة الأدبية . ونجد واحدا من الاستثناءات القليلة لعملية تجاهل الأدب هذه في النظرية النفسية ، لدى « مولز Males » ، حيث تشتمل نظريته على مناقشة

* في هذه النظرية ـ التي قام « جيمس جبسون » بتطويرها ـ هناك اهتمام كبير بالمجال البصري وهي نظرية عن كيفية تنظيم الضوء وانعكاساته على عملية الادراك البصري ، وفيها اهتمام واضح بالخصائص الثابتة والمتغيرة في عملية الادراك البصري هذه ، وقد طبق « جبيسون » هذه النظرية اولا من اجل حل بعض المشكلات المرتبطة بإقلاع الطيارين وتحليقهم وهبوطهم وذلك خلال الحرب العالمية الثانية ، ثم امتد بهذه النظرية لمجالات الفنون والكتابة والادراك بشكل عام ( المترجم ) .

موجزة لمناسبة نظرية المعلومات في التعامل مع الشعر ، ومع المسرح . كذلك فإن التعاون المشترك بين عالم النفس والناقد الأدبي ، وكما ظهر مثلا في الجهد المشترك الذي قدمه « ماير ورينـنجر Maier & Reninger » في كتابهما « مقاربة سيكولوجية للنقد الأدبي A Psychological Approach to Literary Criticism » هو أمر نادر الوجود .

لم يتم ربط الأدب بالموضوعات البحثية في علم النفس التجريبي العام ، كما حدث بالنسبة للفن والموسيقى . وتوضح مراجعة « دويتش وولاش Deutsch & Wallach » والتي تؤكد حدوث الاستخدام للمواد الموسيقية في عديد من السياقات البحثية ، توضح هذه المراجعة أن الأدب قد تم حذفه ، أو استبعاده . وعلاوة على ذلك ، فإنه لم يتم استخدام الأدب في داخل سياق تطبيقي ، مقارنة بالاستخدام الذي حدث للفنون كما أشار « ماير » إلى ذلك ( في العلاج بالفن مثلا ) ، أو في التربية الفنية كما أشار إلى ذلك « سميث » .

لابد أن يوضح لنا التقابل النهائي بين هذا الموضوع المحدود الخاص بالأدب داخل مجال علم النفس ، وذلك الاهتمام الكبير المعطي للفن ، تلك المكانة المنخفضة الخاصة المعطاة للأدب . فلم يتم اعتبار المواد الأدبية ، عادة ، مناسبة في فهم الحضارة وارتقائها ، وكما يوحي لنا بذلك هذا المقتطف ، والذي يعطي اعتبارا كبيرا للفن « لقد كان الفن » ، ومازال ، الأداة الجوهرية لارتقاء الوعي الانساني ، انه ليس نشاطا قائما على اساس الصدقة ، وليس نشاطا ثانويا او غير ضروري ، لكنه نشاط جوهري تماما ، هذا إذا كان العقل الانساني يريد ألا يشل أو يعطل ذاته . ( فالفن يمكن الانسان ) من فهم طبيعة الأشياء »[٣٣] . أما الدعاوى المماثلة حول مناسبة الأدب وفائدته ، في الأمور النفسية ، فهي دعاوى غير موجودة فعلا .

٭٭٭

## هوامش الفصل الأول


1. W. James, *The principles of psychology* (New York: Dover, 1950), chap. 7.

2. M. S. Lindauer, "Toward a liberalization of aesthetics," *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 31 (1973): 459-465.

3. B.B. Wolman, *Contemporary theories and systems in psychology* (New York: Harper, 1960), chaps. 10–12.

4. A. Giorgi, *Psychology as a human science: A phenomenologically based approach* (New York: Harper & Row, 1970), p. 21.

5. Ibid., p. 65.

6. Ibid., p. 185.

7. Ibid., 205.

8. R. N. Wilson, "Samuel Beckett: The social psychology of emptiness," *Journal of Social Issues* 20 (1964): 62.

9. L. Lowenthal, "Literature and sociology," in *Relations of literry study: Essays in interdisciplinary contributions*, edited by J. Thorpe (New York: Modern Language Association, 1967), pp. 89-110.

10. M. H. Marx & W. A. Hillix, *Systems and theories in psychology* (New York: McGraw-Hill, 1963), table 3, p. 34.

11. F. J. McGuigan, *Experimental psychology: A methodological approach*, 2nd ed. (Englewood Cliffs, N. J.: Prentice Hall, 1968), figure 1.1, p.2.

12. C. C. Pratt, "Aesthetics," *Annual Review of Psychology* 12 (1961): 71.

13. D. E. Berlyne, "The psychology of aesthetic behavior." Talk given to the Department of Art Education, Pennsylvania State University, 1968, Penn State Papers in Art Education, no. 5.

14. Berlyne, "Laughter, humor, and play," in *The handbook of social psychology, 2nd ed., edited by G. Lindzey & E. Aronson (Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1969), vol. 3, pp. 795-796.*

15. *Pratt, 1961, p. 74.*

16. *H. G. McCurdy, "The psychology of literature,"* in *International encyclopedia of social sciences*, edited by D. L.Sills (New York: Macmillan & Free Press, 1968), vol. 9, p. 425.

17. E. J. Shoben, "Psychological theory construction and the psychologist," *Journal of General Psychology* 52 (1955): 187.

18. R. E. Lana, *Assumptions of social psychology* (New York: Appleton-Century-Crofts, 1969), p. 158.

19. H. J. Eysenck, *Sense and nonsense in psychology*, rev. ed. (Baltimore: Pelican, 1958). Both quotes are from pp. 331-332.

20. Pratt, 1961, p. 85.

21. McCurdy, in Sills, 1968.

22. Pratt, Introduction to *The task of Gestalt psychology* by W. Kohler (Princeton: Princeton University, 1969), pp. 3-29.

23. H. Read, *Icon and idea: The function of art in the development of human consiousness* (New York: Schocken, 1965), pp. 17-18.

# الفصـل الثانـي

## هيمنة التحليل النفسي على مجال علم نفس الأدب

## مراجعة عامة :

جاء أكبر الاهتمام السيكولوجي بالأدب من جانب التحليل النفسي في شكليه الكلاسيكي والحديث ، ويترادف هذا الاهتمام بالنسبة لعديد ، من المؤلفين أمثال « كريس Kris » و « روباك Roback » مع التعبير « علم نفس الأدب » . ويشير فحص العناوين والمجلات التي ذكرها « كايل Kiell » في دراسته البيليوجرافية لهذا الموضوع إلى أن حوالي ٩٠٪ ، من بين أربعة آلاف وخمسمائة مرجعا سيكولوجيا حول الأدب ، هي مراجع تحليلية نفسية ، أو ذات توجهات طبية نفسية . ( والجانب الأكبر من هذه الدراسات هو دراسات غير امبيريقية ، ومن ثم كان هذا الفصل مختصرا ) . ووفقا لـ « كروز Crews » فإن « التحليل النفسي هو علم النفس الوحيد الذي قام بتغيير طريقتنا في قراءة الأدب . ( وليست هناك ) تضمينات أدبية ممكنة في علم النفس الفسيولوجي ، أو علم نفس الإدراك والمعرفة ، أو في نظرية التعلم ، أو علم نفس الجشطلت » .

والمبرر في هذا ، كما يواصل « كروز » حديثه ، بطريقة متشامخة مماثلة ، هو « أن الأدب هو شكل مكتوب وحول الدوافع ، والتحليل النفسي هو النظرية العميقة الوحيدة التي ابتكرها الجنس البشري حول الدوافع »(١) .

إضافة إلى الدوافع ، يقول « كروز » أيضا ، أن الفرويدية قد كُرست للتعامل مع موضوعات ـ مثل الصراعات الانفعالية ، والموضوعات أو « الثيمات » الكامنة Latent themes والتأثيرات التي تحدث عند عتبة الوعي ، ومن أجل العرض لأفكار الكاتب الخبيئة في نفسه ، وكذلك من أجل تفسير الأسباب التي تقف وراء تلقي الأدب والحكم عليه . وقد جادل « هولاند Holland » بشكل مماثل قائلا أن التحليل النفسي « هو علم النفس الوحيد الذي أعرفه ، والذي يمكنه الحديث عن خبرة داخلية بنفس التفصيل والدقة التي يتمكن من خلالهما « ناقد جديد » من الحديث عن نص أدبي .. إن علم النفس التحليلي النفسي يقدم لنا نظرية أكثر صدقا وشمولا حول الحالات الداخلية ، أكثر من أية نظرية أخرى »(٢) .

رغم الاهتمام الواسع من قبل التحليل النفسي بالأدب ، فإن مراجعة « روباك وباسكن » للمادة التحليلية النفسية المنشورة حول هذا الموضوع تنتهي باستياء معين يتعلق بالدور الثانوي المعطى للأدب داخل التحليل النفسي :

« فمن الأمور الغريبة غير القابلة للتفسير ، أنه رغم أن [ الاستخدامات اللفظية المختلفة ] لعلم النفس والأدب ، قد تعاملت مع نفس الموضوع ، أي ، مع الصور الذهنية ، والأفكار والانفعالات ، والمشاعر ، وماشابه ذلك ، فإن هناك معالجة سريعة فقط قد وجهت إلى علم

نفس الأدب ، فليس هنالك من كتاب منظم واحد ، أو رسالة علمية منظمة قد كرست من أجل تغطية هذه الحدود النامية »[٣] .

تعتمد مقاربة « فرويد » التحليلية النفسية للأعمال الفنية ومبدعيها ومستقبليها ، والتي تتمثل في عديد من أعماله المختصرة ( على سبيل المثال عمله الخاص « عن الشاعر وأحلام اليقظة » ) ، تعتمد على العديد من الآليات ( أو الميكانيزمات اللا شعورية ) . وتكشف هذه الآليات بشكل مباشر عن العديد من عمليات الابدال والتعويض الخاصة بالمشكلات شديدة العمق ، والمتعلقة بنمو الشخصية . وقضية « فرويد » الأساسية مفادها أن الخيال الأدبي مماثل لاي منتج آخر من منتجات الخيال ، وبصفة خاصة الأحلام . فالنواتج الابداعية هي تجليات واشباعات رمزية للرغبات والتخييلات Fantasies اللا شعورية . ويقال ان قراء الأدب والمتلقين بشكل عام يستجيبون لا شعوريا للمضمون الخفي المتنكر في شكل منتجات ابداعية . انهم يستجيبون للاشباعات وعناصر السرور التي يستثيرها الأدب ، والتي يحدث أيضا أن تكون هي وسائل المؤلف في شق طريقه للعودة إلى الواقع*[٤] . ولقد ناقش « فرويد » ، من خلال هذه المصطلحات الدينامية ، حياة وأعمال العديد من المؤلفين والفنانين : أمثال : « شكسبير » ، و « ديستوفسكي » ، و « ابسن » ، و « ليوناردو دافنشي » ، و « ميكل انجلو » ، و « هايني » ، و « جوته » ، و « هوميروس » ، و « بلزاك » ، كما انه استخدم ايضا المسرحيات والشخصيات الاغريقية ( أوديب مثلا . ) ، وكذلك حكايات الجن ، والملاحم ، والأساطير ، من أجل التوضيح بالأمثلة لمناقشاته . ويختلف علم نفس الأنا Ego Psychology ( وهو امتداد معاصر نشأ عن علم النفس الفرويدي الكلاسيكي وقام به مؤلفون أمثال « رابابورت Rapaport » ، و « سلوكور Slochamer » ، و « ويثم Withism » عن التحليل النفسي التقليدي ، في أنه يوجد اهتماما أكبر للدور الذي تلعبه القوى الشعورية في عملية الابداع .

هناك دراسات عمق** نفسية معاصرة أخرى حول الأدب ، وتمثلها مجلة « الأدب وعلم النفس » والتي تخصصت في هذا الاتجاه ، وتمثلها كذلك المجموعة المختارة التي قدمها « مانهايم » و « مانهايم » من المقالات المنشورة في هذه المجلة . وكلها يبدو انها تعتمد على افكار « يونج » بنفس القدر الذي تعتمد فيه على افكار « فرويد »[٥] . وقد استخدم « يونج » ، ربما أكثر من « فرويد » ، الأساطير والملاحم ، كمصادر لعديد من مفاهيمه الأساسية ، كما استخدم « يونج » أيضا رغم ذلك ، الأعمال الأدبية المعاصرة

---

* المقصود هنا العودة من عوالم الخيال والتهويمات الى عالم الواقع والحياة الاجتماعية ( المترجم )
** اى دراسات تحليلية نفسية تهتم بدراسة اعماق النفس البشرية ( المترجم ) .

( مثل رواية « يوليسيس » لجيمس جويس ) كمادة للفحص السيكولوجي كذلك . وتتعارض مقاربة « يونج » مع مقاربة « فرويد » في أنه ينظر إلى الإبداع باعتباره مجموعة من القوى الأكثر ايجابية . فبدلا من ان يكون الابداع مشتقا من ، مصادر غريزية أخرى ، ومعتمدا على صراعاتها وعلى حلول هذه الصراعات ، كما كان « فرويد » ينظر إليه ، فالابداع لدى « يونج » يوجد باعتباره قوة فريدة ومستقلة في حد ذاتها .

لقد استقبل عدد قليل من علماء النفس امثال « ماكوردي » و « روزنزوايج Rozenzweig هذه الوجهات التحليلية النفسية من النظر حول شخصية المؤلف وإبداعه ، والتي قام « هولاند » بتلخيصها بشكل شامل والمعنى ، استقبلوها بشكل طيب . لكن العدد الأكبر من الناس الذين رحبوا بهذه الوجهات من النظر كانوا من نقاد الأدب ، أمثال « آودن Auden » و « ايدل Edel » و « رانسوم Ransom » وبشكل خاص ، لأنهم اعتبروا أن مثل هذه التحليلات انما تكشف عن معان جديدة في أعمال المؤلف .

## تقييم الأدب الخاص للتحليل النفسي

رغم شعبية التحليل النفسي ، فإنه لم يتم تقبل لا وجهة النظر الفرويدية ، ولا وجهة النظر اليونجية ( نسبة إلى يونج ) بشكل غير نقدي داخل التيار الأساسي الخاص بالنقد الأدبي . ونقدم فيما يلي تلخيصا لردود الأفعال النموذجية التي ظهرت تجاه هاتين الوجهتين من النظر . فقد أصر « جولدشتين Goldstein » على أن معظم النقاد إما أنهم ينكرون وجود النقد التحليلي النفسي ، أو أنهم يحددون له دورا ثانويا ، وأن ذلك نابع أساسا في رأى « جولدشتين » من تلك المقاومة التي يستثيرها الجهل . وحتى هؤلاء النقاد الذين يحددون دورا كبيرا للتحليل النفسي ، كما يستمر « جولدشتين » قائلا ، انما يظهرون ايضا درجة معينة من ضيق الأفق ، ونقصا في الانفتاح على المجهودات المختلفة ، والمشتركة ، بين فروع المعرفة الانسانية . ومن بين اكثر نقاد التحليل النفسي مرارة في نقدهم نجد « كارميل Carmichael » الذي عارض تلك التبسيطات الزائدة للأمور الموجودة في التحليل النفسي ، والتي تنتقص من قدر الجهد الأدبي ، بتفسيره باعتباره شيئا آخر غير ماهو عليه . فتقييم العمل الأدبي باعتباره تخييلا ، او باعتباره شيئا غير واقعي ، او عقلانية متنكرة ، معناه إنكار الامكانية الخاصة بالأدب والتي تمكنه من التوضيح الصادق للعالم ، ومن الإدراك الواقعي لهذا العالم . وينظر « روزنزبرج » أيضا إلى التحليل النفسي باعتباره محدودا ، ومتكلفا ، وجامدا ، بسبب اهماله النظر في الخصائص الأدبية .

« فالتأكيد الخاص على الصراع الأوديبي فقط هو فعلا مجرد « اكليشيه Cliche » نفسي أدبي ، كما أن الصراع غالبا مايتم اعتباره الطريق والهدف الكلي المفسر لكل شيء في العمل الأدبي . كما يتم اغراء القاريء والناقد بالذهاب بعيدا عن تلك التفاصيل المرهفة والخصبة وكذلك عن العمليات المعرفية داخل العمل الأدبي »[٦] .

ويعبر التعليقان التاليان والمأخوذان من « سمث » و « لوكاس » على التوالي ، عن مثل هذه الوجهة من النظر :

« النقد القائم على المباديء التحليلية يكون عرضة للتشكك ، وذلك لأن هدفه لا يكون هو الكشف عن الطبيعة الرفيعة الشامخة للأدب ، ولكنه يكون هو القيام بفحص احشائه ... ان هناك اشياء اخرى في الحياة ، غير الصراعات الطفولية ، وأشياء أخرى في العمل الأدبي أكثر من المحصلة الخاصة لصراعات المؤلف »[٧] .

« قد يكون اللا شعور هو العالم السفلي المظلم الذي تنشأ فيه الهامات العبقرية ، لكنني لا أرى كتابة المسرحية ولا عملية النزول الشهيرة إلى اللا شعور في تسلية مابعد الظهر[٨] .

هناك نقاد آخرون أكثر اعتدالا وتمثلا للتحليل النفسي . فمثلا يؤيد « مازليش Mazlish » الاسهام الفرويدي عندما يقوم بأى تحليل من النمط التاريخي للأحداث ، وقد لاحظ أن التحليل النفسي ، عندما يقوم باختزال أى موضوع ، بحيث يصبح موضوعا من موضوعات علم النفس فقط ، فإنه لا يقدم تفسيرا أو يعطي اسبابا ، فإنه رغم ذلك قد يساعد على الفهم . وقد وافق « أريل » على طريقة التحليل النفسي في تناول الأعمال الأدبية ، لكنه -رغم ذلك- حدد قيمته بأنها تكمن في التحليل البيوجرافي ( أى تحليل السير والتراجم الذاتية ) أكثر من غيره من التحليلات . وأصر « فيربرج Fairberg » على أن التحليل النفسي إنما هو عنصر مكمل أو متمم للتحليل الأدبي المعتاد : فهو يساعد في توضيح وتفهم الخبرة الأدبية . وقد علق « روباك » و « باسكن » أيضا على الحاجة إلى إحداث التوازن بين التحليل النفسي وبين التحليل الادبي ، خاصة عندما يكون ممكنا عزل المعالجة الأدبية عن تحليل شخصية المؤلف :

« ان علم نفس الأدب هو شيء مستقل عن المنتجين للأدب ، كما يجب تصوره من حيث علاقته بالحياة ( وبالتفسير للأدب ذاته )[٩] .

يشير « أيسلر Eissler » إلى ضرورة التمييز بين تحليل العمل الفني ذاته ، ( أى من داخله ) وتحليله من خارجه ( أى في ضوء حياة المؤلف ) . وقام « ايسلر » بتمييز مناسب آخر بين التحليل النفسي كتفسير ( كما في استخدام عقدة أوديب لتفسير شخصية هاملت مثلا ) والتحليل النفسي باعتباره معاونة ald شخصية وليست أدبية في الفهم . وقام « ايسلر » بتذكيرنا ، أيضا ، بأنه بينما استخدم « فرويد » الأدب للتوضيح ولتطبيق

الافتراضات النظرية ، والاكلينيكية ، التي تم ترسيخها من قبل ، فإن التحليل النفسي للأدب كان قوة دافعة نحو بحوث وأفكار جديدة . وبناء على ذلك فإن النقد التحليلي النفسي هو نقد قابل للتعديل والتغير .

جاءت اكثر مظاهر الدفاع ( وأكثرها تطرفا ) ضد الانتقادات الموجهة للتحليل النفسي للأدب من جانب الباحث « كروز » ، وقد وجد « كروز » أن المبرر الذي ينتقص من قدر التحليل النفسي للأدب هو مبرر ضعيف ، كما أنه أنكر معظم جوانب النقص الكامنة في هذا التحليل ، ووجد أن التأملات الخاصة به قد تم عرضها بعناية ، كما أنه رأى أن معظم المشكلات المتعلقة به هي مشكلات ثانوية الأهمية . ويؤكد « كروز » أن المناقشات الخاصة بالتحليل النفسي في أشكالها المميزة ليست مناقشات مثيرة للبلبلة أو الارتباك . كما لا يوجد في لغة هذه المناقشات الخاصة أى عامل من عوامل الاعتساف في الفهم . وأنكر « كروز » كذلك كون الكاتب بالضرورة عصابيا ( فهذه القوى يتم التسامي بها ، رغم كل شيء ) ، أو أن كل شيء يتم اختزاله الى الجنس أو اللا شعور ، أو أن الشكل يتم تجاهله لحساب المضمون . وفيما يتعلق بالانتقادات الموجهة إلى مناهج البحث في التحليل النفسي ، جادل « كروز » قائلا بأن التحليل النفسي يمكن اختباره والتحقق من صدقه ( ولو أن ذلك يتم بطريقة جزئية ، بسبب التعقيدات الكبيرة الكامنة فيه ) : « فالتأكيد والتهذيب لمكتشفات « فرويد » قد حدثا بشكل منظم ومقبول على مدى سنوات عديدة »(١٠) .

ووجد « هولاند » كذلك أن الاعتراضات القائمة ضد التحليل النفسي إنما هي اعتراضات تقوم على اساس من « تشكيلة غريبة من التصورات الخاطئة » . وقد شعر « هولاند » عندما امتد بالتحليل النفسي ، كي يتأكد من آثاره على المشاهدين والقراء ، أن النموذج الخاص بالتحليل النفسي يقدم فروضا يمكن اختبارها ، من خلال التجارب التي يمكنها ، بدورها ، أن تثبت صدق هذه الفروض ، أو أن تقوم بنفي هذا الصدق . على كل حال ، فإن نظرية « هولاند » تظل قائمة على أساس من الظواهر التفصيلية والمركبة والسرية أو الملغزة ، ومن بين هذه الظواهر مثلا : الصراع الفمي oral conflict* ، والدفاع defense** .

---

* هو نوع من الصراع المرتبط بخصائص المرحلة الفمية ومايرتبط بها من حاجات واشباعات واحباطات في ضوء نظرية فرويد ( المترجم ) .

** يشير هذا المصطلح في علم النفس الاكلينيكي ( خاصة في الفرع التحليلي النفسي منه ) ، و في الطب النفسي الى تلك الاستجابات او ردود الأفعال التي يتعلمها المرء ويستخدمها بطريقة لا شعورية لحماية « البنى » النفسية الداخلية الخاصة به (أى الأنا او الذات مثلا ) من القلق والصراع والخجل .. الخ . ويرتبط هذا المصطلح بنظرية التحليل النفسي لدى « فرويد » بوجه خاص ( المترجم ) .

والتثبيت fixation* ، والاستدماج introjection** ، وهي ظواهر ثبت صعوبة اختبارها حتى في الدراسات غير الأدبية . وعلى سبيل المثال ، فإن قضية « هولاند » التي قد يمكن اختبارها حول استجابة القاريء للأدب تشتمل على افتراض فحواه وجود تعطيل مؤقت للاعتقاد يشتمل بدوره على « نكوص جزئي انتقائي ومتزامن للأنا ، أي على امتداد بحدود الأنا ، ونزولا بها ، إلى مستوى الثقة الأساسية*** ، وهو نوع من الانصهار والتشرب القائم على أساس الرغبات الشفاهية ( أو الفمية ) في الاندماج »(١١) :

كذلك فقد افترض « هولاند » عملية اختبار للفرض تعتمد على أدوات يصعب استخدامها تماما بشكل ناجح ، وهذه الأدوات هي المقابلات الشخصية ( الاستبارات ) والاختبارات الاسقاطية . ولكن « كروز » اعتبر محاولة « هولاند » أن يكون علميا محاولة « محدودة » ، وذلك لأنها لم تستطع أن تمسك بجوهر المشروع الأدبي ، والذي كان « كروز » يقصد به القدرة على التأثر أو الاندماج الشخصي . وفي حقيقة الأمر ، كما يواصل « كروز » حديثه ، فإن معظم الجهود التي بذلت من أجل وضع التحليل الفرويدي على أسس امبيريقية ومنطقية قوية ، كانت جهودا ضيقة الأفق ، وتحيط بها « التفاهة » .

ولذلك فإن الاسهام التحليلي النفسي ، في مجال الأدب ، هو اسهام شخصي ، وهو اسهام تنجزه الأنا ، ومن ثم لا يمكن ان يكون قاعدة للاثبات ، وقد نظر « كروز » إلى عملية البحث عن الشواهد أو الأدلة باعتبارها عملية تشير إلى « السطحية » ، و « الحمق » ، و « السذاجة » ، وربما كانت هذه المشاعر هي التي تقف وراء تقييمه المنتقص من قدر تلك المنزلة العلمية الخاصة للتحليل النفسي المعاصر : « لسوء الحظ ، فإن إنجاز « فرويد » قد

---

* يشير مصطلح التثبيت في التحليل النفسي بشكل عام الى تلك العملية التي يصبح من خلالها المرء متصلبا غير مرن ، فهي عملية يصبح المرء من خلالها مثبتا عند نقطة معينة او مرحلة معينة من مراحل نموه النفسي وسواء كان ذلك مرتبطا بعمليات التعلم او الادراك او المعرفة او الشخصية او غير ذلك . وفي التحليل النفسي يستخدم هذا المصطلح كذلك كي يشير الى حدوث عمليات تثبيت لبعض الافراد ، مثلا ، عند مراحل طفولية مبكرة رغم وصولهم عمريا الى مراحل ناضجة ظاهريا ( المترجم ) .

** يشير هذا المصطلح بشكل عام الى العملية التي يتم من خلالها امتصاص او ادماج بعض جوانب العالم الخارجي داخل الذات ، اى الى عمليات التمثيل الداخلية للموضوعات الخارجية في شكل وظائف نفسية معينة . اما في التحليل النفسي فيشير هذا المصطلح الى العملية التي يتم من خلالها تكوين « الأنا الأعلى » او الجانب الاخلاقي من الشخصية وحيث يتم ادخال الصورة الخاصة بالوالدين ومايمثلانه من قيم وسلوكيات ( وهي هنا موضوع او صورة خارجية ) واستدماجها او تمثلها في البناء النفسي الخاص بالطفل ( المترجم ) .

*** يرتبط هذا المصطلح باسم العالم الامريكي ايريك ايريكسون ، ويشير بشكل عام الى عملية التكوين المبكرة في حياة الطفل للثقة في البنية ومن يوجد بها ، وتشير نظرية اريكسون الى ان الأزمة الاولى في حياة الطفل تحدث خلال فترة السنة والنصف الاولى من الحياة ، وخلال مايؤدى وجود الحب والرعاية والاهتمام المتسمة بالإتساق من قبل المحيطين بالطفل الى تكوين احساس مالديه بالامن والطمانينة والثقة الاساسية في البنية ومن يوجد بها ، بينما يؤدي العكس الى القلق والشك وفقدان الثقة الأساسية في البيئة وفي الاخرين . ( المترجم ) .

وقع في شرك تقليد علمي مريك غير مدروس .. ولا يمكن انكار وجود تلك الحركة البطيئة التي يحاول التحليل النفسي من خلالها تخليص نفسه من الفولكلور غير الضروري ، ومن المفاهيم الغريبة عنه ( وكذلك من عمليات التشيؤ والتبسيطات الزائدة ) . ويسبب ذلك السبات الفعلي الذي حدث للتحليل النفسي ، خلال الفترة الحالية من المكاسب الثورية ، في مجال العلم الطبيعي ، شعورا بالفزع[١٢] .

**التحليل النفسي ، وعلم النفس ، والأدب :**

بينما كان العلماء الاجتماعيون معتدلين في تقييمهم للتحليل النفسي ، كما قاموا بالرجوع إلى أفكاره ، ومبادئه الأساسية ، بدرجات متفاوتة[١٣] ، فإن علماء النفس الأكاديميين ( اى غير الاكلينيكيين وغير التحليليين ) قد نظروا ، عامة ، إلى الجهود التحليلية النفسية بطريقة مترفعة او انصرفوا عنها جميعا . وقد كان نقدهم الأساسي للتحليل النفسي فحواه ان المفاهيم التحليلية النفسية تستخدم بطريقة شديدة السطحية لاثبات كل شيء ، ومن ثم فهي لا تثبت أى شيء . وتظهر هذه النقطة بشكل جاد تماما في مقتطف مأخوذ عن « ايزنك » ، وهو واحد من أشد نقاد التحليل النفسي حدة ، في استجابة منه لتحليل « جونز E. Jones » لشخصية « شكسبير » من خلال تحديد الخصائص الشخصية الأساسية و« هاملت » ، يقول « ايزنك » :

« ان القيام بمثل هذا التشخيص لشخص مات منذ حوالي ثلاثمائة سنة ، والذي لا يعرف شيء عن حياته فعلا ، وعلى أساس من أبيات قليلة ، ربما ، ـ وليس يقينا ـ يكون هذا الشخص قد كتبها ، وعلى أساس قصة كانت موجودة فعلا في ذلك الوقت بأشكال مختلفة ، كل ذلك يبدو بمثابة الزعم المبالغ فيه . وسواء كان القاريء يشعر بأن التفسير الذي قدمه « جونز » هو تفسير محتمل أو لم يشعر بذلك ، فإنه سيوافق على أن العملية الكلية الخاصة بالوصول الى مثل هذا التفسير هي مجرد حيلة أدبية وليست اداة علمية . ورغم كون هذا التفسير أكثر جاذبية من ذلك النمط الرصين من البحث العلمي ، فإنه بالكاد يمكنه ان يطمح الى الوصول الى نفس الدرجة من الثقة فيما يتعلق بالنتيجة التي وصل اليها »[١٤] .

ويخلص « ايزنك » إلى أن مثل هذا النمط من المقاربة للأدب يشير الى الاستحالة التامة لاخضاع مثل هذه المتناظرات Analogies لأي اختبار عقلاني خاص بالاثبات أو النفي « بل إن كاتبا مثل « روباك » الذي بدا ذات مرة متحمسا للتحليل النفسي ، قد أصبح الآن أقل ايجابية في تقييمه للتحليل النفسي . فهو يلاحظ تلك التبسيطات الزائدة ، وغير

النقدية ، في التحليل النفسي ( « الاستقراءات الوهمية » ) بعين مستاءة غير راضية . كما انه يشعر الآن بأن علم النفس الوجودي* هو الأكثر مناسبة لفهم الأدب المعاصر(١٥) . وقد أصبح أصحاب « علم نفس الأنا » المعاصر ، وكذلك أصحاب الموقف التحليلي النفسي ، ذوو الروابط القوية بعلم النفس العام ، وميدان الإدراك ونظرية الجشطلت ، أصبحوا ، جميعهم ، على وشك إهمال الابداع الأدبي ، والنظر ، بدلا منه ، إلى السلوك الفني ، في أشكاله المختلفة وفي الأمثلة الموضحة له كذلك . لقد ناقش « ارنزفايج Ehrenzweig » مثلا « النكات » باعتبارها أكثر المواد اللفظية مناسبة للفحص والتحليل . وحتى « ماكوردي » ، الذي كان نصيرا مبكرا ومخلصا « لفرويد » ، قد وصل حديثا الى مثل هذا الاستنتاج المؤلم :

« لقد كان هناك فشل .. في استجماع أى جهد خاص يدفع للأمام .. يتجاوز ذلك العمل الأولي الذي قدمه الأستاذ المعلم ، لقد اعتقد « فرويد » في التحليل النفسي باعتباره علما ، أى فرعا معرفيا قادرا على القيام بالاكتشافات ... ولسوء الحظ فإن تطبيق التحليل النفسي على « شكسبير » لم يقصد به القيام باكتشافات ، كما أنه لم يؤد إلى ظهور دراسات تتقدم بشكل متدرج ، من نقطة مؤكدة ، إلى نقطة أخرى ، وبأثر تراكمي » .

وقد رأى « ماكوردي » أن مناسبة التحليل النفسي للأدب هي مناسبة محدودة :

« لقد قصد منه استخدام « شكسبير » لتوضيح وجهة معينة من النظر يتمسك بها المحلل فعلا ، أو استخدامه كنقطة بداية لتلك الجهود شبه الدرامية الخاصة لدى المحلل . وليس هناك من شيء خاطيء ، بطبيعة الحال ، في استخدام الأدب لتوضيح نقطة معينة ، كما لا يوجد شيء خاطيء ، أيضا ، فيما يتعلق باتاحة الفرصة لأحد الشعراء لأن يطلق سلسلة من الأفكار داخل شخص آخر ... لكن لاشيء من هاتين الطريقتين يمكنه أن يمنحنا علما ، كما لا تستطيع أيا منهما أن تعطينا نوعا من النقد الأدبي ، وفي ضوء السطوع الخاص لخصائصه الفريدة .

ويخلص « ماكوردي » إلى تقييم سلبي نوعا ما يقول فيه :

« ان سبعين عاما من الفحص التحليلي النفسي لـ « شكسبير » لم يتولد عنه لا أسلوب منظم متميز في البحث يمكن اقتفاء أثره ، ولا نتائج جديدة بشكل جوهري ، عدا ماحدث حتى الآن ، من أن تطعيم الميثولوجيا ( أو الأسطورية ) الخاصة بالتحليل النفسي في الجذع

* استخدم هذا المصطلح في الماضي كي يشير الى وجهة النظر التي تبناها ، تتشنر ، والتي سميت بالبنيوية ، اما اذا وجدنا هذا المصطلح الآن في الكتابات الحديثة في علم النفس فإنه يشير بشكل خاص الى تلك الوجهة الخاصة من علم النفس المتأثرة بوجه خاص بالفلسفة الوجودية والتي تقع مابين المثالية العقلانية والمادية الموضوعية ، وتؤكد بشكل واضح على اهمية القرار الخاص الذي ينبغي ان يتخذه الفرد في العالم باعتباره حرا ومسئولا ، فالإرادة الحرة والذاتية والفردية امور اساسية هنا ( المترجم ) .

الأبوي الخاص بالنقد الأدبي قد ينتج عنه ازدهار بعض الاشراقات ، أو مظاهر الخداع المنعزلة ، كما يحدث مثلا ، من خلال استنتاجنا لما كان « شكسبير » يقصده ، أو للكيفية التي كان عقله الابداعي يعمل بها ، أو لتلك العلاقة الموجودة بين مضمون مسرحياته ، وتاريخ حياته الشخصية(١٦) . إن ذلك التوحيد القوي بين علم نفس الأدب ، وبين حركة التحليل النفسي ، وهو مجال تعتبر مكانته الخاصة في علم النفس المعاصر موضعا للشكوك بدرجة كبيرة ، بسبب مظاهر القصور والنقص المنهجية والتصورية الخاصة به ، هذا التوحيد هو أحد المبررات غير المباشرة ، لكنها القوية ، وراء ذلك الاتجاه الحذر ، والمتشكك ، الذي يتخذه علم النفس العام ضد الأدب ، والذي يأخذ احيانا شكل الرفض الصريح له . وربما ساهم تجنب علم النفس ، للاتجاه التحليلي النفسي ، في المقاومة لدراسة الشخصية من خلال الأدب ، ويعتقد العديد من علماء النفس انه ليس من قبيل النضج العلمي أن نسلك الطريق الغامض للمعرفة ، الذي يقدمه لنا الأدب ، سواء كان ذلك الطريق مقدما لنا من خلال المؤلف ، أو من خلال الشخصيات ، أو الحبكات Plats ، وذلك خلال سعينا صعب المرتقى لفهم المنطقة المرهفة ، شديدة الحساسية ، وشديدة التركيب الخاصة بالشخصية ، ويصرف النظر عن الأبعاد الاضافية المعطاة لها من خلال التحليل النفسي ، قام العديد من العلماء بوضعها فعلا في الاعتبار ، من خلال وفرة في النظريات ، وفي البيانات المتجمعة أيضا(١٧) . على كل حال ، فإن معظم ردود أفعال نقاد الأدب ، وإزاء تلك المحاولات التي تمت لتفسير الأدب نفسيا قد حدثت بالنسبة لتلك الأشكال المختلفة في علم النفس ، مثل نظرية التحليل النفسي ، ومجال الشخصية ، وللمفاهيم ومجالات البحث التي تحتل فعلا منزلة ثانوية في سياق الدراسات « الامبيريقية » . ومن ثم فلن يكون من المدهش أن نجد أن ردود أفعال الأدب تجاه علم النفس ، هي ردود أفعال غير متزنة .

***

# هوامش الفصل الثانى

1. F. C. Crews, "Literature and psychology," in *Relations of literary study: Essays on interdisciplinary contributions*, edited by J. Thorpe (New York: Modern Language Association, 1967). The quotes are from p. 73 and p. 74, respectively.

2. N. N. Holland, *The dynamics of literary response* (New York: Oxford, 1968), p. xv.

3. A. A. Roback &.W. Baskin, "Psychology of post-Freudian literature," in *New outlooks in psychology*, edited by P. Powers & W. Baskin (New York: Philosophical Library, 1968), 406.

4. S. Fred, *A general introduction to psychoanalysis* (New York: Permabooks, 1953), p. 384.

5. A particularly clear secondary source is C. S. Hall & G. Lindzey, *Theories of personality* (New York: Wiley, 1957), chap. 3. Original sources by Jung are noted in the references.

6. A. Rothenberg, Review of *The sins of the father: Hawthorne's psychological themes*, by F. C. Crews, *Transaction* 6 (1969): 676.

7. S. Smith, Review of *Psychoanalysis an the literary process*, edited by F. C. Crews, *Contemporary Psychology* 16(1971): 208-210.

8. F. L. Lucas, *Literature and psychology*, 2nd ed. (Ann Arbor: University of Michigan, 1957), p. 38.

9. Roback & Baskin (1968), p. 420.

10. Crews, 1967, p. 77.

11. Holland, 1968. The quotes are from p. xv and p. 104, respectively; see also pp. 315 ff.

12. Crews, "An aesthetic criticism," in *Psychoanalysis and literary process*, edited by F. C. Crews (Cambridge, Mass.: Winthrop, 1970). The quotes are from pp. 18, 21, and 17, respectively.

13. See for example S. Koch, *Psychology: A study of science* New York: McGraw-Hill,, 1963). vol. 6.

14. H. J. Eysenck, *Sense and nonsense in psychology*, rev. ed. (Baltimore: Pelican, 1959), p. 339.

15. In Roback & Baskin, 1968, p. 425.

16. McCurdy, Review of *The design within: Psychoanalytic approaches to Shakespeare*, edited by M. D. Faber, *Contemporary Psychology* 16 (1971): 116.

17. Hall & Lindzey, 1959, chap. 7.

# الفصل الثالث

## دور علم النفس في مجال الأدب

تمت ، في هذا الفصل ، مناقشة الحجج الأدبية المطروحة ضد علم النفس العلمي ، وفي نفس الوقت تمت مناقشة الحجج المقابلة ، والتي قصد منها تبيان أن الرفض الصريح ، أو الإجمالي ، لوجهة النظر العلمية تجاه الأدب هو مسألة ليس لها مايبررها ، فمن المحتمل ايجاد تسوية ذات معنى بين ذاتية الأدب ، وبين موضوعية علم النفس . كذلك ستتم مناقشة فوائد علم النفس في ماضيه وحاضره ، لمجال الأدب بشكل مختصر ، وذلك رغم أن المهمة الأساسية لهذا الكتاب هي تشجيع انشغال ـ أو اندماج ـ علم النفس بالأدب وليس العكس .

## رفض الأدب لعلم النفس

اتسم عديد من نقاد الأدب بنظرة متشائمة فيما يتعلق بامكانية أى تبادل ، أو تفاعل ، بين الادب وعلم النفس . ولم تطرح هذه الاعتراضات في مواجهة التحليل النفسي فقط ، بل أثيرت أيضا في وجه المناحي السيكولوجية الأكثر موضوعية . فالمنحى العلمي في دراسة الأدب ، حتى لو تم اعتباره ممكنا ، كان يحكم عليه بأنه مثير للأسى ، وضيق الأفق ، وغير مناسب . وهكذا فإن باحثا مثل « كريتش Krutch » قد نظر إلى علم النفس العام باعتباره شديد المحدودية ، فيما يتعلق بالامكانية التي يمكن أن يوفرها لفهم الأدب ، ( بل لفهم الانسان بشكل عام كذلك ) . وصاغ « ستجنر Stegner » أيضا المسألة على النحو التالي :

« سيكون من قبيل الحماقة الطائشة أن نفكر في اختزال الفن الى تلك القوانين والنظم التي تشكل المثال والقوة الدافعة للعلم . ان العالم المادي المحافظ فقط هو الذي قد يحاول القيام بذلك . وذلك لأن اختزال الفن إلى القانون ، والنظام ، هو فكرة شديدة الابتذال »[١] .

يستحق نقد « ستجنر » لتعامل علم النفس العلمي مع الأدب أن يوضع في الاعتبار بدرجة ما ، وذلك بسبب كونه معتدلا غير متطرف ، وبسبب معالجته الموسعة ، والواضحة ، لهذا الموضوع أيضا ففي المقام الأول قرر « ستجنر » أن العلم والفن متشابهان في بعض المسالك الابداعية التي يسلكانها :

« فعند أطرافهما الاكثر ابداعية ، يمثل العلم والفن محاولات أصيلة للتساؤل ، والبحث الخالص ، كما أنهما كلاهما يعتمدان بشكل أساسي على الاستثارة والتنشيط للحدس »[٢] .

على كل حال ، فإن درجة التشابه ، بينهما ، تقف عند نقطة معينة ، وهما يختلفان ، ليس فقط في نوع البراهين ، أو الإثباتات الخاصة بكل منهما ، ولكن أيضا في الطريقة التي

يقترب بها كل منهما من نفس المشكلة . « فعندما يدنو أحد العلوم ، وأحد الفنون ، من نفس المواد ، ومن نفس المشكلات الظاهرة ، فإنه يبدو واضحا تماما أن كلا منهما يطرح أنواعا مختلفة من الأسئلة .

وعلاوة على ذلك ، فإن كلا منهما لا يستخدم نتائجه بنفس الطريقة : فعندما ينجح البحث العلمي ، بدرجة كبيرة ، ويصل إلى مرحلة التحقق الصالح للاعلان على الملأ ، فإنه يصبح قابلا للاستغلال كتكنولوجيا تكون وظيفتها هي انتاج البضائع النافعة ، لكن عندما ينجح الفن في الكشف عن جانب من الحقيقة ، ويصبح ملكية عامة ، ويصبح الأسلوب الخاص الذي كشف عنه جانبا من الاسلوب الخاص بكل فرد ، فان اسمه المناسب يكون هو : القالب ـ أو النمط المتجمد Stereotype ، وليس القالب بذي قيمة في أمور الفن ، وأيًّا كانت قيمته في عالم صناعي موجه نحو الانتاج الجماهيري ، ونحو قطع الغيار القابلة للتبديل .

كذلك لا يستخدم الأدب المعرفة السابقة المتراكمة مثلما هو الحال بالنسبة للعلم : فالاستبصارات العلمية تميل إلى أن تظل متفرقة منقطعة ، انها لا تشكل ، بالضرورة ، أحجار البناء التي يمكن أن تعتمد عليها استبصارات تالية ، فالمتمسك بالتقاليد يحدث لديه التراكم من خلال التكاثر ، أكثر مما يحدث لديه من خلال الإزاحة ( أو الابتعاد ) أو من خلال التمرد .

لقد جادل « ستجنر » قائلا بأن الفن يتجاوز العلم في أنه لا يفهم من خلال التحليل ، ولكن من خلال العرض ، كما أن نتائجه غير قابلة للاختزال في شكل قوانين . فالبحث عن ترتيب أو تنظيم خاص شبيه بالقوانين ، في مجال الأدب ، معناه ، كما يشير « ستجنر » أن نفقد جوهر العمل الأدبي ، وهو هدف يمكن أن يظل ملازما بشكل دائم ، إضافة الى ماسبق ، لكل قاريء خاص للأدب . ويؤكد « ستجنر » انه رغم أن الأدب قد لا يكون حقيقة Truth بمعنى قد لا يكون متحققا او قابلا للتحقق منه ، فانه نوع من المعرفة المفسرة التي تظل تثير الاهتمام رغم كل شيء . ثم ان « ستجنر » يقرر ، بعد ذلك ، بشكل صريح ، طراز المعرفة التي يمكن أن يساهم بها الأدب ومن خلال قوله ، لكن ، إذا لم يكن الأدب « معرفة » بالمعنى العلمي ، فإنه يظل مع ذلك نموذجا واضحا ، ومختارا ، ونقيا ، من نماذج الحياة ، ويكتمل هذا النموذج من خلال القيم التي تتكشف عنها الحياة ، كما انه يعمل على الحفاظ حتى على العوامل المربكة ، والمحيرة ، والمثيرة للقلق والتي تعج بها الحياة . ويبنى هذا النموذج على اساس اطار من التقاليد الرمزية ، لكنه يكون ابعد الأشياء عن العشوائية ، حتى عندما يقوم بالتجريب والتمرد »[٣] .

وقد اقتطف « ستجنر » ، بشكل مناسب ، هذا المقطع من « كونراد Conrad » للتعبير عن الأهداف الشخصية للأدب :

« تكمن قوة الكلمة المكتوبة في أنها تجعلك تسمع ، تجعلك تشعر .. تجعلك ترى .. أى أنها .. كل شئ . وإذا كنت قد نجحت في التعبير .. فانك ستجد هناك .. تلألؤ الحقيقة التي نسيت أن تسأل عنها »(٤) .

ثم يشير « ستجنر » بعد ذلك إلى مخاطر تطبيق المنحى الموضوعي على الأدب :

« فإذا حاولنا في أى وقت ، أن نكتب ، أو نقرأ ، من خلال قواعد الاسلوب الكمي ، وإذا اقتربنا ، في أى وقت ، من الأدب كما لو كان « مادة » ، فانه سيكون من الأفضل بالنسبة لنا أن نذكر أنفسنا بأن الحب والتذوق للأدب انما يتأتيان من خلال التعرض له ، والالتقاء به ، وليس من خلال إعادة صياغته أو من خلال التحليل النقدي المفصل ، لكل عناصره »(٥) .

كذلك عبر « مارتن Martin » عن تقييمه السلبي لحصيلة محاولات علم النفس الموضوعي لفهم الابداع وشروطه « لقد نجح علم النفس التجريبي حتى الآن ، فقط ، في إثبات حقائق واضحة ، نوعا ، وأحيانا في إثبات حقائق تافهة القيمة(٦) . ونظر « مارتن » إلى علم الاجتماع وإلى التحليل النفسي وإلى ـ ربما ـ المفاهيم ( وليس الانجازات ) الخاصة بعلم نفس الجشطلت ، باعتبارها بدائل مناسبة يمكن أن تحل محل علم النفس العلمي .

ويلاحظ « ويليك ووارين Wellek & Warren » أيضا في مقالة لها قيمتها الكبيرة من جوانب عديدة ، وجود جوانب نقص كثيرة في المنحى الأكثر علمية في تناول الأدب . فالأدب ـ كما أشارا ـ ليس مصدرا جيدا للحصول على المعلومات النفسية حول عقل المؤلف ، وذلك لأن التعبير الدرامي هو شكل من أشكال التحريف ، وينجم عن الحريات الدرامية حقيقة فنية وليس حقيقة سيكولوجية « وقد انتقد هذان الناقدان أيضا علم النفس ( وبصفة خاصة التحليل النفسي ) من خلال مايسمى بأغلوطة الأصل ( أو الجذر ) Genetic Phallacy أى الاستعاضة بأصول الفن أو جذوره من أجل تفسير مظاهره المختلفة . إن دور علم النفس في الأدب ، كما يستنتج « ويليك ووارين » ، هو دور زائد او غير ضروري : « فالفن العظيم ينتهك دوما معايير علم النفس [ وذلك لأنه ـ أى علم النفس ] ـ لا يتسم بالصدق الشامل او العام [ كما أن ) استبصاراته النفسية ... يمكن الوصول إليها من خلال وسائل أخرى غير نظرية المعرفة في علم النفس .. فمن خلال كونه نظرية شعورية ومنظمة ، حول العقل ، وحول نشاطاته ، لا يعد علم النفس ضروريا بالنسبة للفن كما انه في حد ذاته ليس له أية قيمة فنية . وعلى الرغم من أن علم النفس قد يلعب دورا مساعدا بالنسبة لبعض الفنانين ، فإن علم النفس ، هذا ، له فائدة تمهيدية ، فقط ،

بالنسبة لنشاط الابداع ، وخلال العمل ذاته ، فإن الحقيقة السيكولوجية تكون ذات قيمة فنية ، فقط ، إذا كانت ... فنا »[٧] .

لقد أكد عديد من المؤلفين أيضا الجوانب المحدودة التي يمثلها علم النفس بالنسبة للأدب فمثلا قال « وليم فوكنر » في ماذا تهم تلك العقد النفسية الموجودة لدي . إن عملي فقط هو الجدير بالاهتمام . أحكم عليه هو فقط . أنا لست هاما . فإذا لم أكتب عن نفسي ، فإن شخصا آخر سيقوم بذلك[٨] .

ويعتقد « آرثر ميللر » أن المؤلف لا يكون مهتما بالحقائق في ذاتها ، كما يفعل العالم ، لكنه يكون مهتما ، بدلا من ذلك ، بما يمكننا القيام به من خلالها « فالكاتب يسجل الحقائق كي يسمو بها ، وكي يكتشف التماسك الداخلي المتضمن فيها »[٩] وتكشف المقابلات الموسعة التي قام بها أحد علماء النفس مع « ميللر » عن وجود تقبل خاص ، لديه ، لأهمية بعض الموضوعات النفسية الرئيسية ( كالصراع مثلا ) . ولكنها تكشف ، أيضا ، عن رفضه لعمليات التفتيت ، وإطلاق المسميات ، المميزة لعلم النفس المعاصر . وفيما عدا بعض التعاطف ـ ربما ـ مع علم النفس الانساني ومع « الفرويديين الجدد » ، فإن « ميللر » قد عبر عن مشاعر ارتيابه الشديدة ازاء قيمة أية معرفة خاصة بعلم النفس ، بما في ذلك المعرفة الخاصة بشخصية أحد المؤلفين من أجل فهم أحد أعماله «[ فالمؤلف لا ينظر ] إلى الشخصيات الدرامية بنفس الطريقة التي تنظرون بها الى الناس ، أنها ـ أى الشخصيات الدرامية ـ في الواقع ليست مجرد أفراد »[١٠] .

لقد قامت وجهات النظر الأدبية ، هذه ، والتي طرحت صفات خاصة مميزة لعلم النفس والأدب ، بوضع حواجز على طريق التبادل ، والتعاون الممتليء بالمعنى ، بين المجالين . لقد وضع علم النفس مثل هذه الحواجز أيضا ، كما لاحظنا في الفصل الأول ، فعلماء النفس الامبيريقيون يجدون التعبيرات الأدبية ذات المضمون النفسي تعبيرات تأملية وشديدة التعميم ، وغير منظمة ، ويستحيل التأكد منها موضوعيا . لقد نشأ غياب الاحترام المتبادل ، واللغة المشتركة ، بين علم النفس والأدب ، وبشكل عام بين العلوم والانسانيات ، نشأ أساسا نتيجة لتلك الفروق الموجودة في الأساليب والاجراءات التي يتبعها كل مجال من المجالين في الوصول إلى أهدافه . فالمرء يجد العلم ، والرياضيات والموضوعية ، في علم النفس ، ويجد الحدس ، والأمثلة الموضحة ، والذاتية ، في الأدب . ومن ثم يبقى هذا التضاد على ما أطلق عليه « سنو Snow » تعبير « الصراع بين ثقافتين » . وبينما سيستغرق منا الرد على اعتراضات علماء النفس بقية هذا الكتاب ، فإننا سنقوم بالتعامل مع الشكاوي ، والاتهامات ، التي يطرحها نقاد الأدب بطريقة مختصرة فقط .

# في الرد على الاعتراضات الأدبية

ربما يكون الجانب الأكبر من انشغال نقاد الأدب ، وتقييمهم ، لدور علم النفس في مجال الأدب متعلقا ، في جوهره ، بخوفهم من أن يقوم التحليل العلمي بتفتيت ، أو تشتيت ، ذلك التكامل المتعلق بمنتج أدبي لمؤلف معين . وعند الناحية المتطرفة ، والتي توجد غالبا في مجال التحليل النفسي ، فإن نزعة التفسير الأدبي للأدب ، غالبا ، ماتقوم بتفسير العمل الأدبي باعتباره ـ فقط ـ عملا من أعمال علم النفس . وفي مناقشة لهذه القضية ، حدد « ويلسون Wilson » المسألة باعتبارها تتمثل في أن تحليل الأدب يمكنه أن يصبح نوعا من الممارسة السيكولوجية والتي يصبح فيها العمل الأدبي مجرد عرض للعصاب Neurasis . على كل حال ، فإن « ويلسون » قد لاحظ أيضا أن المعالجة الموضوعية للأدب من الممكن أن تصبح غير مكترثة بما إذا كان الفن عصابا ، أو تعبيرا فنيا ، عن أعراض مرضية . ولا يحتاج الفن ، البتة ، لأن يفسر باعتباره « مجرد انعكاس للخصائص الشخصية الشاذة أو الغريبة . وبينما قد يتكيء عمل فني بدرجة ما على المتاعب النفسية لمؤلفه ، فإن هذه المتاعب ، كما يجادل « ويلسون » ، ينبغي الارتفاع والتسامي بها ، إذا كنا نريد للرسالة الأدبية أن توصل أى حقيقة إلى قارئها . ويتبغي ، من ثم ، أن تكون هناك موضوعية أساسية ، وصدق أساسي ، في عمل أى مؤلف :

يقوم ( المنتج الأدبي ) أيضا على أساس الصحة النفسية للمؤلف ، وإلا فإنه لن يستطيع أن ينفذ بعمق إلى الواقع الاجتماعي لعصرنا . فالكابوس الخاص ، إن وجد ، يرتبط بعمق ، ويساعد في فهم ، الأحداث العامة . وبشكل عام ، فإن « ويلسون » يشعر بأن التحليل السيكولوجي للأدب مفيد ، أيضا ، لأنه يمكنه « أن يقيم معبرا لرأب ذلك الصدع الموجود بين الإنسانيات وبين العلوم الاجتماعية ، وفي نفس الوقت ، فإنه يقوم بإضاءة مجالي الشخصية والأدب »(١١) .

قدم « ريتشاردز » ، أيضا ، وجهة نظر متوازنة وضح فيها أخطار ، ومزايا علم النفس الأدبي ، فهذا الفرع لا يحتاج للتحليلات النفسية المفصلة فقط ، كما لا يمكنه أن يهمل الحقائق الأدبية . وفي المقام الأول أشار « ريتشاردز » إلى بعض شكوكه قائلا :

« لقد عانى الشعر كثيرا من هؤلاء الذين يبحثون دوما عن شيء يقومون بفحصه ، وكذلك من

هؤلاء الذين يرغبون دوما في ممارسة واختبار نظرية ما ، عالقة بالذهن . لكن هناك ايضا - كما أضاف - أرضا مناسبة ومتوسطة ، رغم انها نادرا ماتم استكشافها . «.فمن الممكن الدمج بين الإهتمامات والحقائق الخاصة بالبحوث النفسية ، وبين التذوق المناسب لتركيب - او تعقد - الشعر .. [ على كل حال ، فإن عددا قليلا من علماء النفس ] كانوا قادرين على توجيه الاهتمام الكبير لمجال الأدب ، ومن ثم فقد ترك المجال مباحا لتلك الهجمات المتتالية غير المسئولة »(١٢) .

# فائدة علم النفس العامة لمجال الأدب

في وقت مبكر من هذا القرن ، قام « داوني Downey » بوضع قائمة من أربعة برامج Programs نفسية اعتقد انها مفيدة لمجال الأدب ، وهذه البرامج هي :

(١) تقنين الاختبارات لتحديد القدرة الأدبية .

(٢) استخدام وجهات نظر نفسية مختلفة ، كالتحليل النفسي مثلا ، والتي تقوم بالاحالة ، بدورها ، الى موضوعات مثل الانفعالات ، والشخصية ، وابداع المؤلف ، ومن أجل فهم وتحليل الأدب .

(٣) التطبيق الخاص لنتائج الفحوص التجريبية ، خاصة تلك الفحوص المعنية بموضوعات مثل الصور العقلية واللغة ، وذلك في مجال التحليل الأدبي .

(٤) تطوير وسائل يمكن ، من خلالها استثارة خيال المؤلفين وتيسير نشاطات هذا الخيال (١٣) .

وخلال فحص « نيكسون » الموسع لدور علم النفس في مجال الأدب ، والذي كتبه في وقت مبكر من هذا القرن ، كما فعل « داوني » ، قام « نيكسون » بالتأكيد الأكبر على التطبيقات العملية المتضمنة في هذه العملية . ونظر إلى المعرفة السيكولوجية باعتبارها تزيد من مهارات الكاتب ، وكذلك باعتبارها تقوم بتوضيح تلك العوامل التي يمكنها أن تزيد من شعبية و ( مبيعات ) العمل الخاص بأحد المؤلفين ( مايتعلق منها على سبيل المثال ، بجاذبية عناوين معينة وسحر ، أوجاذبية ، شخصيات معينة ) .

وفي وقت أكثر حداثة من ذلك ، قام « ماكوردي » ايضا بتحديد الاسهام الخاص للأدب ، فأشار إلى أن المفاهيم السيكولوجية قابلة للاستخدام ، في مجال التحليل الجمالي من قبل غير المختصين في علم النفس . وأشار « ماكوردي » بشكل خاص إلى الأهمية الكبيرة للمفاهيم الخاصة بالابداع ، والصور العقلية والشخصية . وطالب أيضا بتضمين

نظرية التحليل النفسي في التحليل الأدبي . ولم يهمل « ماكوردي » اسهام الأدب في علم النفس ، كما فعل « داوني » وَ « نيكسون » وهو توازن مطلوب من أجل جعل العلاقة ، بينهما ، علاقة تبادلية فعلا(١٤) .

## التطبيقات الخاصة لعلم النفس في مجال الأدب

ان الموضع الخاص بعلم النفس في الأدب ، سواء تم التعبير عنه في مضمون الأدب ، أو في استجابة القاريء ، العقلية ، والانفعالية ، وكذلك استخدامه في التحليل النقدي ، والنظرية الجمالية . هو موضع كبير وواضح بحيث يصعب تجاهله او التعامل معه باعتباره امرا مسلما به ، لقد كان هناك تفاعل مابين نقاد الأدب وبين علماء النفس الموضوعيين لبعض الوقت . وقد اشار « لويتت Lauttet » إلى أن تصور « لوك Locke » حول الترابط Association* قد استخدم بشكل واضح في الأعمال النقدية التي ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر . وبين « راندز Rands » أن نظرية « توماس براون T. Brown »** الخاصة حول الترابط والادراك هي إحدى الارهاصات المبكرة السابقة على ارتقاء علم النفس في هذا المجال ، ولا تحدد هذه النظرية خصائص شعر هذا الشاعر فقط ، ولكنها توضح أيضا خصائص الأنماط الأدبية المختلفة التي كتبت في عصره أيضا .

وقد أوضح « ماكينزي McKenzie » أن نقاد الأدب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، غالبا ماقاموا بالاشارة الى المدرسة الامبيريقية البريطانية*** ، وقد كانت هذه

---

* يشير هذا المصطلح الى المذهب الفلسفي ـ النفسي الذي يؤكد ان العمليات العقلية العليا وكذلك العمليات السلوكية المركبة انما تنتج عن تركيب ـ او تربط ـ بين عمليات او عناصر عقلية او سلوكية ابسط ويرتبط هذا المصطلح بالتراث الفلسفي للنزعة الامبيريقية بدءا من ارسطو وحتى الفلسفة الامبيريقية الترابطية البريطانية لدى « هيوم وبيركلي وهيرتلي وجون ستيوارت ميل » وغيرهم ( المترجم ) .

** « توماس براون » ( ١٧٧٨ ـ ١٨٢٠ ) : احد اقطاب المدرسة الاسكتلندية في تاريخ علم النفس ( مع توماس رايد ودوجلاس ستيوارت ) ، وقد ظهرت هذه المدرسة كحركة مضادة للمدرسة الترابطية البريطانية . واكد اتباع هذه المدرسة اهمية وحدة العقل وتكامله . وقدم براون مايسمى بالقوانين الأولية والقوانين الثانوية للايحاء ، وكان « الايحاء » لديه يساوي في جوهره الترابط لدى اصحاب المدرسة الترابطية ، وبفعله هذا قام باعادة المدرسة الاسكتلندية الى حظيرة المدرسة الامبيريقية الترابطية التجزيئية . وقد كانت القوانين الاولية للايحاء لديه هي قوانين التجاور والتماثل والتضاد . وهي تقريبا نفس المبادىء التي قدمها ارسطو في الماضي . كذلك اضاف براون الى الحواس الخمس المعروفة حاسة سماها الحاسة العضلية Kinesthetic ( المترجم ) .

*** مذهب نادى به فرانسيس بيكون ، ويقوم على التوصل الى الحقيقة عن طريق التجربة العلمية القائمة على التطبيق العملي . « المترجم » .

المدرسة هي الأساس الفلسفي الكبير لكثير من جوانب الارتقاء في علم النفس العلمي ـ باعتبارها تشتمل على وسائل ، أو أساليب ، لفهم آثار العمل الأدبي على عقل ، ووجدان ، المتلقين .

وفي وقت أكثر قربا ، قامت نظريات جمالية معاصرة حول الأدب ، مثل نظرية « ابرام Abram » المسماة نظرية « المرآة والمصباح The Mirror and the Lamp » بطرح تأملات حول مايحدث في عقل المؤلف وشعوره ، وخاصة تلك العمليات النفسية المتعلقة بالأبداع والعبقرية الادبية . وعلى سبيل المثال ، هناك اهتمام خاص ، في هذه النظرية بما إذا كان الكاتب يعكس الواقع بشكل سلبي ( أو دون أى تدخل منه ) ، أم انه يسقط ضوءه الابداعي الخاص على هذا الواقع ، بشكل ايجابي ، وفعال ، ويعد هذا الطرح للقضية بمثابة طريقة أخرى لطرح سؤال عما إذا كانت الكتابة هي تعبيرخاص عن مؤلفها ، أم أنها تمثيل للطبيعة الانسانية عموما . وتتعلق ، وتتعامل ، أسئلة جمالية أخرى ، لها مناسبتها السيكولوجية بما إذا كان المؤلف يقوم بالتنوير ، وكذلك التوضيح ، والتفسير ، أم أن العمل الأدبي يقوم بإحداث السرور في نفس الوقت الذي يقوم فيه بمهمة الاقناع برسالة معينة . كذلك يشكل الاهتمام باستجابات المتلقين ، أو القراء ، جانبا آخر من النظرية الجمالية ولكن بدرجة أقل ، مقارنة ، بذلك الاهتمام الاكبر بالمؤلف .

هناك أيضا بعض الجوانب المتماثلة بين نقاد الأدب وعلماء النفس . فقد طرح « جوردون Gordon » بعض الحجج قائلا بأن التقنيات الأدبية الخاصة باستخدام الأمثلة الموضحة والاتساق الداخلي والقراءة العميقة للمادة ، والأعتماد على التأمل ، كلها اجراءات تتناظر مع اجراءات مماثلة في علم النفس العلمي . كما توجد محاولة للنظر بشكل صريح الى التحليل الأدبي والتحليل العلمي باعتبارهما شيئا واحدا . ونجد ذلك في مقاربة « دودلي Dudley » التصنيفية للمواد الأدبية . ومن الممكن ان تكون هذه المحاولة قد قامت بالسير على هذه المخططات التصنيفية الموجودة في بعض العلوم كعلم الأحياء وعلم الطبيعة ، والتي يكون التصنيف الجيد فيها ، وسيلة لمعرفة البنية الأساسية لظاهرة معينة . وعلاوة على ذلك ، فإن « دودلي » قد استخدم ، بشكل خاص ، المفاهيم السيكولوجية التي استقاها من نظريات « تيتشنر Titchner » و « واطسون Watson » ، ضمن غيرهما من علماء النفس ، كي يقوم بتصنيف المادة الأدبية في ضوء موضوعات مثل : الصور العقلية والانفعال ، والحدس . كذلك ، فإن « مبادىء النقد الأدبي » لدى « ريتشاردز » هي بمثابة التطبيق للتصورات المعيارية ( الخاصة بعشرينيات هذا القرن ) لعلم النفس العام ، بما فيها التصورات الخاصة بالنظرية السلوكية ، ونظرية الجشطلت . وذلك في ميدان التحليل الأدبي . وقد استخدم ، بشكل خاص ، تلك النظريات الشائعة في

ذلك الوقت حول الاحساس ، والذاكرة ، والصور العقلية ، والاتجاهات ، إضافة إلى تلك المناقشات السيكولوجية الهامة التي دارت حول دور اللذة ، والألم ، والاحباط ، في السياق الأدبي .

كتب « تايلور G. O. Taylor » كذلك حول تأثير علم النفس على مضمون الرواية . وأظهر ان العديد من مؤلفي القرن التاسع عشر أمثال « هنري جيمس »* ، و « هويلز Howells »** و « كرين Crane »*** و « نوريس Noris ودرايزر Dreiser »**** قد وجهوا اهتماما أكبر للتحليل السيكولوجي مقارنة بمؤلفين آخرين سابقين عليهم ( ستو Stowe***** مثلا ) وكانت محصلة ذلك هي المعرفة بأن قدرا معينا من الاهتمام قد يمكن توجيهه الى الخبرة الشعورية الواعية ، ومن ثم العمل على جعل المؤلفين التاليين أكثر حرية خلال تعاملهم مع موضوعات مثل القوى الدينامية ، واللا عقلانية ، واللا شعورية . وعلى نفس المنوال ، تتبع « جونسون E. Gohnson » تأثير كتاب « وليم جيمس » « مبادىء علم النفس Principles of Psychology » وفي ضوء معالجته الأصيلة لموضوعات الخبرة والإدراك ، والوعي ، والإرادة ، والذات ، والفرد ، على بعض المؤلفين المعاصرين أمثال « جـويس »****** ، و« همنجـواي »******* و « شتـاينبـك »******** ، و « ولـف »********* و « فوكنر »**********

---

* « هنري جيمس » ( ١٨٤٣ ـ ١٩١٦ ) روائي وناقد امريكي وهو اخو عالم النفس والفيلسوف الشهير « وليم جيمس » ( المترجم ) .

** « وليم دين هويلز » ( ١٨٣٧ ـ ١٩٢٠ ) . روائي وناقد امريكي ، يعتبر عميد الأدب الامريكي في نهاية القرن التاسع عشر ( المترجم ) .

*** « ستيفن كرين » ( ١٨٧١ ـ ١٩٠٠ ) كاتب امريكي ، يعتبر احد رواد القصة القصيرة الحديثة ( المترجم ) .

**** « تيودور درايزر » ( ١٨٧١ ـ ١٩٤٥ ) : روائي امريكي ، يعتبر احد اركان المذهب الطبيعي في الأدب الأمريكي ( المترجم ) .

***** « هاربيت بيتشر ستو » ( ١٨١١ ـ ١٨٩٦ ) روائية امريكية ، اشهر آثارها الادبية رواية كوخ العم توم التي ظهرت عام ١٩٥٢م ( المترجم ) .

****** « جيمس جويس » ( ١٨٨٢ ـ ١٩٤١ ) : روائي ايرلندي يعتبر احد ابرز ممثلي الرواية النفسية ، ومن اعماله الشهيرة « يوليسيس » ( المترجم ) .

******* « ارنست همنجواي » ( ١٨٩٩ ـ ١٩٦١ ) : روائي امريكي ، حصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٥٤م ، من اشهر إعماله « لمن تدق الأجراس » ، و « ستشرق الشمس ثانية » ( المترجم ) .

******** « جون شتاينبك » ( ١٩٠٢ ـ ١٩٦٨ ) : روائي امريكي ، منح جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٦٢م ، من اشهر اعماله « عناقيد الغضب » ، « القرصان » ، و « تورتيلا فلات » ، و « اللؤلؤة وغيرها » ( المترجم ) .

********* « توماس كلايتون وولف » ( ١٩٠٠ ـ ١٩٣٨ ) : روائي امريكي ، يغلب على اعماله طابع السيرة الذاتية ( المترجم ) .

********** « وليم فوكنر » ( ١٨٩٧ ـ ١٩٦٢ ) : روائي امريكي ، منح جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٤٩م من اشهر اعماله « الصخب والعنف » ( المترجم ) .

يصعب عادة أن نظهر بشكل محدد مدى اتكاء مؤلف ما ، على المعلومات والموضوعات النفسية في عمله ، فذلك يتم ، أثناء الكتابة ، من خلال طرائق دقيقة ومضمرة . ولكن حالة « جيرترود شتاين * G. Stein » قد تكون حالة استثنائية هنا ، فقد لاحظ بعض النقاد أمثال « كريلمان وهوفمان Greelman & Haffman » وبعض علماء النفس أمثال « سكنر B. F. Skinner » أن دراستها لعلم النفس قد تركت آثارا واضحة على كتابتها . فقد انعكست المعلومات السيكولوجية الموجودة لديها على معالجتها لتصدع الشخصية وانقسامها ، وأيضا على ظاهرة الكتابة الآلية ( أو التلقائية ) لديها . وهناك مثال آخر أكثر عمومية على الاستخدام الواضح للفروض السيكولوجية ، نجده ممثلا في تتبع كتاب التراجم الذاتية لحياة أحد الأفراد ، وهي عملية قال « رسل D.H. Russell » عنها أنها عادة ماتظهر خلال تحليلنا للمؤثرات الوراثية والبيئية والشخصية المزاجية في حياة هذا الفرد . وفي مثال آخر على إسهام العلم في الأدب ، طرح « بيرنشو Burnshaw » فكرة فحواها أن نظرية « كانون W. Canon »** الفسيولوجية حول آلية ( أو ميكانيزم ) التوافق والتوازن ، والتي تقوم بها الأعضاء والأنظمة الداخلية للكائنات الحية ، يمكن أن تستخدم اضافة الى النتائج الخاصة المستخلصة من علم البيولوجيا والعلوم التي تقوم بالمقارنة بين الكائنات الحية ، في فهم بعض المصادر اللا إرادية والفطرية والكيميائية للابداع . وقد اعتمد « فوستر Foster » على علم نفس الجشطلت لتوضيح موضوعات رئيسية عديدة موجودة لدى كتاب وشعراء عديدين . واستخدم « كوفكا » هذه النظرية أيضا في تحليله لكيفية توصيل الممثل للانفعالات الى المشاهدين . واستخدم « بليخ Bleich » أسلوب التداعي الحر ـ بسبب قدرة هذا الاسلوب الخاصة على الكشف غير المباشر عن الانفعالات ـ في تسهيل فهمنا لأعمال « هارولد بنتر*** » وقام « ويلسون » كذلك ، ومن خلال علم النفس الوجودي ، بالسبر العميق لموضوعات رئيسية مثل الشعور بالخواء النفسي والعداوة والشعور بالعجز واللا جدوى في أعمال « صمويل بيكيت »**** .

* - جيرترود شتاين - ( ١٨٧٤ ـ ١٩٤٦ ) كاتبة امريكية تميز اسلوبها بالتكرار والايغال في التبسيط ( المترجم ) .

** تقوم هذه النظرية التي قدمها عالم الفسيولوجيا الأمريكي - والتر كانون - على اساس مبدا التوازن الداخلي ، والذي يشير الى اية عملية تقوم بتعديل اية حالة او مجموعة من الظروف الجسمية الحالية ومن ثم تقوم بإحداث او استثارة عملية او عمليات اخرى تقوم بدورها وبطريقة تنظيمية باستحضار الحالة الأصلية التي كانت موجودة لدى الكائن الا وهي التوازن الداخلي . فالانسان الجائع يشعر باختلال التوازن الداخلي فيبحث عن الطعام ويتناوله فيستعيد التوازن الداخلي . كذلك يفرز الجسم العرق عندما ترتفع حرارة الجو او في حالات الحمى كي يستعيد الجسم درجة حرارته الاصلية وهكذا . ( المترجم ) .

*** هارولد بنتر - ( ١٩٣٠ ـ ) . مؤلف مسرحي بريطاني . من اشهر كتاب المسرح في بريطانيا والعالم بعد الحرب العالمية الثانية . من اعماله : الغرفة . الليل . حفلة عيد الميلاد . الأزمنة القديمة ـ زوجة الملازم الفرنسي ( المترجم ) .

**** صمويل بيكيت - ( ١٩٠٦ـ١٩٨٩ ) روائي وكاتب مسرحي ايرلندي . منح جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٦٩ ، من كتاب مسرح العبث ومن اشهر اعماله - في انتظار جودو - ( المترجم ) .

في مثال شهير على استخدام المبادىء السيكولوجية ، في مجال الأدب ، قام « سكنر » بتطبيق مفاهيم التعلم والمكافأة في روايته Walden Two والتي أخذت شكل « يوتوبيا » . وقام « زويلنر Zoellner » بالربط بين أساليب « سكنر » في التشريط الاجرائي Operant conditioning ( ومنها مثلا القيام بنشاطات تفوق مايؤخذ لمكافآت ، والتدعيم المباشر ، وسرعة التعلم المناسبة لقدرة الفرد ) ، وبين عملية تعلم الكتابة ، لكنه قام ايضا بطرح المناقشات الخلافية حول قيمة هذه التطبيقات(١٥) . أما « لوكاس Lucas » فقد دافع بشدة عن قيمة علم النفس في التحليل الأدبي . وبصفة خاصة في فهم استجابة القارىء :
« لقد توفرت لهذا القرن ، بفضل علم النفس ، الفرصة للحكم على القيمة المؤثرة للأدب ، بشكل يفوق ماتوفر من قبل من فرص ... ان علماء النفس ... يمكنهم توفير قدر جيد من الفهم الجديد »(١٦).

تفوق الشعر على غيره من أشكال الكتابة في اجتذابه لاهتمام علماء النفس ، وتشير المناقشات حول الشعر والتي طرحها « ارنهايم » ، و « ريتشاردز » ، و « تزانوف Tsanoff » الى ابعاد سيكولوجية عديدة منها : الانفعالات التي تستثيرها اشكال ومضامين شعرية مختلفة ، والخصائص الفراسية* للصور ، والاستعارة ، والتشبيهات الشعرية ، وعلاقتها بالأساليب الاسقاطية ، وكذلك مرحلة الابداع التي تكون موجودة خلال عملية القيام بالتنقيحات في القصيدة :
« ان المسودة الأولى للقصيدة هي تسجيل موضوعي لعملية تلقائية . وخلالها يقوم الشاعر باستبطان ذاته بينما يقوم بالابداع »(١٧) .

قد يساعد علم النفس الكاتب ، من جوانب عديدة ، كما وضح ذلك « نيكسون » . فهذا العلم يكشف عن حقائق ومفاهيم مفيدة ، من بينها وجهات النظر المختلفة حول طبيعة الانسان ، كما يقدم هذا العلم أساليب وأدوات عديدة ، يمكن أن تكون لها فائدتها في حرفة الكتابة ، وكل هذه الأساليب والأدوات قد تكون له فائدتها في تسهيل عمليات التفكير ، والتخيل ، والابداع . كما تكمن الفوائد بالنسبة للكاتب في موضوعات سيكولوجية أخرى

---

* المقصود بالخصائص الفراسية للاشياء او الصور الاشارة الى ذلك النمط الخاص من الادراك والموجود لدى الاطفال والبدائيين والفنانين والذي يقوم على اساس الحقيقة القائلة بان الموضوعات تدرك اولا وبشكل جوهري من خلال الاتجاهات الحركية والانفعالية ـ اكثر من الاتجاهات الفعلية ـ للفرد القائم بملاحظة هذه الموضوعات ، ثم انه يقوم باسقاط حالاته الحركية والبصرية على هذه الموضوعات ، هنا تدرك الموضوعات من خلال خصائصها الدينامية المنسوبة اليها كما يحدث مثلا عندما نقول « الشمس غاضبة » او « القمر ضاحك » اكبر من إدراكنا لها من خلال خصائصها الطبيعية ( المترجم ) .

مثل الصور العقلية ( بما في ذلك موضوع تراسل الحواس Synthesthesia * واللغة ( بما في ذلك معاني الكلمات والاستجابة للأسلوب ) . وإضافة الى ماسبق فإن علم النفس قد يقدم معلومات مفيدة خاصة بتلك العوامل التي تزيد من شعبية ، وجاذبية ، ومبيعات المواد الأدبية المختلفة .

كان المجال الخاص بالشخصية هو المجال الذي كثر لجوء الأدب إليه ، أكثر من غيره ، من مجالات علم النفس ، وذلك بصفته المجال الذي يمكنه أن يساهم في فهم الكاتب وعمله . ( وقد كان الانشغال بالشخصية موضوعا مألوفا لدى معظم علماء النفس المهتمين بالأدب ) . وفي معظم الحالات ، تم استخدام المنحى التحليلي النفسي الخاص ، حول الشخصية ، في هذا الشأن . وتعتبر معالجة « ايدل الخاصة » لجوانب الخبرة والوعي لدى « بروست » ، و « جـويس » و « ايليوت » ، « وولف Woolf » ، و « شتـاين » ، و « هنري جيمس » في كتابه « الرواية السيكولوجية الحديثة » وكذلك مناقشة « لوكاس » للمعنى السيكولوجي في مسرحيات « شكسبير » ( ضمن غـيرها من المسرحيـات ) ، وللعصور الأدبية ، وأساليبها المختلفة ، وكذلك للأدب كمصدر للسرور والتأثير ، تعتبر ـ هذه المعالجات ـ كلها تطبيقات معتدلة للتحليل النفسي في ميدان الأدب ، وقد قامت ألفة هؤلاء المؤلفين ، بعلم النفس الأكاديمي المعاصر بطبع دراساتهم هذه بطابع خاص أكثر اتزانا .

على كل حال ، فإنه رغم أن التوجه الاكلينيكي في التعامل مع الشخصية قد استمر يعمل ، فليس كل ما اعتمد عليه نقاد الأدب وأخذوه من علم النفس كان مأخوذا من التحليل النفسي فقط : فهناك تحليلات أدبية أخرى استفادت من علم النفس ، وقد ناقشها « ديفيد شوارز D.Schmarz » و« هايموفيسي Halmovici » و« تيجارتن Teagarten » ومنها مايسمى بتحليل سمات الشخصية ( أو الوصف النفسي Psychograph ) والذي يقوم بالتركيز على الخصائص الواضحة الظاهرة للسلوك وليس على الخصائص اللا شعورية له ، وكذلك التركيز على الخصائص المتعلقة بالتكوين الجسمي للشخصية ، وعلى الاتجاهات ، وكذلك فحص القيم الاجتماعية التي يتمسك بها المؤلف صراحة . وأيضا القيام بتحليل طريقة الاستبطان ، أو التأمل الشخصي ، التي يتكيء عليها مؤلفون مختلفون . وهناك طريقة

---

* يشير موضوع « تراسل الحواس » او « التاليفية » الى استخدام بعض الناس وخاصة الشعراء و الفنانين لاكثر من حاسة تنشيط خيالهم و في التعبير عن حالاتهم الفنية كان يصف احد الشعراء مثلا احد الالوان ( و يفترض ان اللون مرتبط اكثر بحاسة الابصار ) من خلال ارساله الى حاسة اخرى كالشم او السمع او اللمس مثلا فيصل هذا اللون بانه « خشن او ناعم » وقد قدم شعراء مثل « رامبو و بودلير » اسهامات متميزة في هذا السياق ( المترجم ) .

اخرى للبحث شديدة القرب مما سبق طرحه ، ورغم أنها ليست بالضرورة تحليلية نفسية فإنها تظل اكلينيكية التوجه ، وتتعلق بفحص أعمال أحد المؤلفين باعتبارها تعبيرا عن صراعاته الداخلية ، أى أن الأعمال الادبية تكون قنوات للتنفيس العلاجي . ويظهر هذا المنحى بشكل واضح في تحليل « البرخت Albrecht » لدوافع المؤلف « جرين Green » في رواياته الخاصة . وهذا الاستخدام للأدب باعتباره نوعا من « الاختبار الاسقاطي » قد ظهرت فوائده في دراسة « ماكوردي » و « ديلتاى » لاشعار « كيتس »* و « ليسنج »** ، و « جوته »***

توجد مزايا أخرى خاصة بتطبيق علم النفس في ميدان الادب ، ستجدها متضمنة في المناقشات التالية حول مزايا الأدب بالنسبة لعلم النفس . فإلى المدى الذي يستطيع عنده علم النفس أن يوضح ، بشكل موضوعي ، أن قضية أدبية معينة هي قضية صادقة ، أو مفيدة ، سيتم الاعتماد الأكبر على هذه المعلومة ، والانتشار الأكبر لها ، وسيتم تطبيقها بشكل اكثر اتساعا في الأعمال الأدبية ، ولدى نقاد الأدب أيضا .

***

* « جون كيتس » ( ١٧٩٥ - ١٨٢١ ) شاعر انجليزي ، يعتبر احد زعماء المدرسة الرومانتيكية ( المترجم ) .

** « جوتهولد افرايم ليسنج » ( ١٧٢٩ - ١٧٨١ ) : ناقد وكاتب مسرحي الماني ، يعتبر اول كاتب مسرحي بارز في تاريخ الأدب الالماني من اشهر اعماله : « لاؤكون » ( المترجم ) .

*** « جوهان وولفجانج جوته » ( ١٧٤٩ - ١٨٣٢ ) شاعر وروائي الماني ، يعتبر اعظم الشعراء الالمان في جميع العصور ، من اشهر اعماله .. « فاوست » و « الام فرتر » وغيرهما ( المترجم ) .

# ملخص

خلال تقييمنا للقضايا المثارة حتى الآن ، يبدو واضحا ان العديد من المشكلات التي جابهت الدراسة العلمية للأدب لم يتم التغلب عليها بشكل تام . كما لم يتم حلها بشكل مقنع . فالمواد الأدبية تتطلب مستوى معينا من التحليل ، الذي يشتمل بدوره على صعوبات أكبر من الصعوبات التي نجدها في تلك المعالجات الجمالية للعلاقة بين المنبه وبين التمثيلات البصرية والسمعية المختلفة . وعلاوة على ذلك ، فإن دراسة الأدب قد هيمنت عليها نظرية التحليل النفسي ، وهي وجهة من النظر رفضها علماء النفس الأكاديميون الى حد كبير ، وهي ، كذلك ، وجهة من النظر اهتمت بشكل خاص بمجال الشخصية ، وهو أحد أكثر الموضوعات السيكولوجية صعوبة في دراستها . وهكذا فقد نظر العديد من علماء النفس غير التحليليين وكذلك العديد من نقاد الأدب الى هذين النظامين المعرفيين ( علم النفس والأدب ) باعتبارهما مجالين غير قابلين للالتقاء أو المقارنة . وفي أحسن الأحوال ، كان علم النفس الموضوعي غير مكترث بالأدب . فالأدب بالنسبة لعلماء النفس ، انما يقدم مجموعة متسعة من التعميمات غير الدقيقة منطقيا ، أو أمثلة موضحة ممتعة فقط . ومن بين العوامل العديدة المسئولة عن هذا المأزق ، يبرز عامل رئيسي يتعلق بالفروق المنهجية بين الأدب وبين علم النفس في مقارنتهما لموادهما الخاصة . كذلك فإن اهدافهما مختلفة ، فالعرض والتسلية هما هدفا الأدب* ، وذلك في مقابل التفسير والتنبؤ في مجال علم النفس العلمي . وقد عمل النمو التاريخي لعلم النفس ، كعلم طبيعي ، وتجريبي ، على تفاقم هذا الاختلاف بينهما .

وبينما يمكننا التغلب على بعض الصراعات الموجودة بين الأدب وعلم النفس ، فان بعضهما الآخر ينبغي قبوله ببساطة باعتباره جانبا خاصا من جوانب التمييز بين العلم والفن . كما يمكن النظر إلى المشكلات غير القابلة للحل باعتبارها متوازنة مع المزايا

* نحن نجد انفسنا غير قادرين على الاتفاق مع وجهة نظر المؤلف هذه والتي تقصر اهداف الادب بشكل خاص على العرض للموضوعات او الافكار . الخ وعلى احداثه للتسلية . فالادب ، مثله في ذلك مثل العلم من الممكن ان يقوم بالوصف و التفسير والتنبؤ بالظواهر الانسانية المختلفة رغم مابينهما من اختلافات منهجية ( المترجم )

والفرص الايجابية الأخرى التي يقدمها الأدب لعلم النفس . وسيتم توضيح كل هذا في تلك الدراسات التي راجعناها في الفصلين السابع والثامن .

ولأن علم النفس والأدب يشتركان في اهتمامهما ( المشترك ) بالخبرة الانسانية ، والسلوك الانساني . فإن هناك جوانب تناظر وأوجه تشابه عديدة بين هذين المجالين ، مما يوجب عليهما المحافظة على هذا الاهتمام المتبادل المشترك بينهما . وهناك مناقشة تالية في هذا الكتاب لهذا الجانب . وبشكل عام يمكننا ان نجد هذه الأرضية المشتركة بين علم النفس والأدب في تلك الأسئلة التي يطرحانها حول الانسان ، وكذلك في تلك المصادر من المعلومات التي يستخدمانها للاجابة على هذه الأسئلة ، وخاصة مايتعلق منها بالملاحظات والاستنباطات Introspections حول الخبرة الانسانية .

***

# هوامش الفصل الثالث

1. W. Stegner, "One way to spell man," *Saturday Review* 41 (1958): 44.

2. All subsequent quotes from Stegner, unless otherwise noted, are from p. 9.

3. Ibid, p. 43.

4. Ibid, p. 44.

5. Ibid.

6. F. D. Martin, "The imperatives of stylistic development: Psychological and formal," *Bucknell Review* 11 (1963): 56.

7. R. Welleck & A. Warren, *Theory of literature* (New York: Harcourt, Brace 1942), p. 88.

8. In D. C. Mc Clelland, *The roots of consciousness* (Princeton, N. J. Van Nostrand, 1964), p. 94.

9. In H. Mindness, Review of *Psychology and Arthur Miller* by R. I. Evans, *Contemporary Psychology* 15 (1970): 428.

10. R. I. Evans, *Psychology and Arthur Miller* (New York; Dutton, 1969), p. 29.

11. R. N. Wilson, Review of *Dreams, life and literature: A study of Franz Kafka*, by C. S. Hall & R. W. Lind, *Contemporary Psychology* 15 (1970): 597. All quotes are from this page.

12. I. A. Richards, *Practical criticism* (New York: Harcourt, Brace, 1950), p. 322.

13. J. E. Downey, "A program for a psychology of literature," *Journal of Applied Psychology* 2 (1918): 366-377.

14. H. G. McCurdy, "The psychology of literature," in *International encyclopedia of social sciences*, edited by D. L. Sills (New York: Macmillan, 1968), vol. 9.

15. R. Zoellner, "Talk-write: A behavioral pedagogy for composition," *College English* 30 (1969): 267-320. Responses by others, mainly in disagreement, are in the same issue, pp. 645 *ff*.

16. F. L. Lucas, *Literature and psychology*, 2nd ed. (Ann Arbor: University of Michigan, 1957), p. 22.

17. R. A. Tsanoff, "On the psychology of poetic imagination," *American Journal of Psychology* 25 (1914): 535.

# الفصل الرابع

## العلم .. والفن .. والمنهج

## العـــــلم والفن :

نشأت الحواجز وأوجه التعارض التي لوحظت بين العلم والفن نتيجة للوظائف والأهداف المتعارضة لكل منها : حيث نجد العقل ، والبحث عن المعلومات ، والنزعة النفعية ، في مقابل الخيال ، والبحث عن الجمال والتسلية ، على التوالي . وبشكل لا يمكن إنكاره ، هناك صعوبات عديدة ساهمت ـ كما ناقش « كوخ Kach » ذلك ـ في تغذية أوجه التعارض بين هاتين الثقافتين[1] لكن هناك أيضا أوجه تشابه وتناظر كافية ، بين الانسانيات والعلم ، تشجع على حدوث التعاون بينهما . بل يوجد هناك مايسمى ـ كما قال « ماسلو A. Maslow » بعلم البيولوجيا الانساني . وقد تقع الفنون على نفس المتصل Continuum ( أو الخط المتدرج ) الذي تقع عليه العلوم كما طرح ذلك « كوستلر Kaestler » : فالتفاوت بينهما قد يكمن ، فقط ، في تلك الجوانب المتعلقة بالأساليب الخاصة بكل منهما ، وكذلك في الدرجة التي تختلف بها هذه الأساليب ، من حيث الموضوعية ، ومن حيث القابلية للاثبات ويمكن أن ينجم عن التبادل الخاص المشترك لوجهات النظر المختلفة الموجودة في كل منهما ـ وهي فرصة سانحة نوه بها « هاسكنز C. P. Haskins » ـ توفر المرونة ، وتنوع الاهتمامات في تناول كل منهما لموضوعاته .

لقد تتبع « تولمن Taulmin » تأثير العلم الخاص بالقرن السابع عشر على الفنون ، كاشفا عن أن هذه الآثار على مجال الأدب ، كانت أكبر من مثيلاتها في ميداني الموسيقى والعمارة . فلم تكن هناك رابطة وثيقة بين النثر الأدبي والنثر العلمي ( كما كان هو الحال بالنسبة لـ « بيكون » مثلا ) ، لكن كان هناك أيضا تأثير عميق للعلم على محتوى ووجهة نظر وأسلوب الأدب . وخمن « تولمن » طارحا فكرة فحواها أن افكار وصور وأساليب « ميلتون »* و« دريدان »** و « سويفت »*** و « دون »**** وغيرهم كان من الممكن أن

---

* « جون ميلتون » ( ١٦٠٨ ـ ١٦٧٤ ) : شاعر انجليزي ، يعتبر اعظم الشعراء الانجليز بعد « شكسبير » ، من اشهر اعماله ملحمة « الفردوس المفقود » التي ظهرت عام ١٦٦٧م ( المترجم ) .

** « جون دريدان » ( ١٦٣١ ـ ١٧٠٠ ) : شاعر وناقد وكاتب مسرحي انجليزي ، يعتبره البعض الأب الحقيقي للنقد الانجليزي ( المترجم ) .

*** « جوناثان سويفت » ( ١٦٦٧ ـ ١٧٤٥ ) : كاتب انجليزي ، اشهر آثاره : رحلات « جاليفر » وظهرت عام ١٧٢٦م ( المترجم ) .

**** « جون دون » ( ١٥٧٢ ـ ١٦٣١ ) : شاعر ولاهوتي انجليزي ، تميز شعره بانتقاد العاطفة ( المترجم ) .

تكون مختلفة ، عما هي عليه ، لولم يوجد « كبلر » * و « نيوتن » ** و « جاليليو » ***
( رغم أن الأمر المثير للدهشة هو أن « تولمن » لم يعتقد بأن ذلك كان ضروريا حقيقة بالنسبة « لشكسبير » ) ومن المفترض أن العلم يؤثر على الأدب بدرجة كبيرة في أيامنا هذه ، بالرغم من أن هذا التأثير لا ينظر اليه بنفس الوضوح الذي كان ينظر به اليه منذ حوالي ثلاثمائة عام .

يوجد مصدر أساسي للعلاقة المشتركة بين العديد من العلوم والفنون ، ويتمثل في أن كل منهما يبدأ بالاهتمام وطرح الأسئلة حول الانسان ، وينتهي بالوصول الى اجابات وانجازات تتعلق بهذه البؤرة المشتركة من الاهتمام . ان انشغال الانسانيات الخاص بالأخلاقيات والقيم ، وهي أحكام ذاتية ، حول الإنسان تقوم العلوم عمدا بتجنبها ، من الممكن أن يشكل قاعدة لمعبر مشترك بين هذين المجالين ، وهي احتمالية أشار إليها « كيني Keeney » . ان تيارا جماليا أساسيا يكون موجودا أيضا في العلم ، ووفقا لما أشار اليه « ماكمورس MCMarris » مثلا ، فإن هناك أناقة جمالية خاصـة موجـودة في نظام ، وبساطة ، وكفاءة الطبيعة . وتتكشف رابطة أخرى بين الفن والعلم في لغة المجازات Metophors ، والتي يمكن أن تشكل نماذج لكيفية عمل الطبيعة . وقد أظهر « مكورماك MacCarmac » و « دريستات Dreistadt » أن أشكال المجاز ( والتناظر ) المختلفة قد لعبت دورا كبيرا في الاكتشافات العلمية وأيضا في الوصول إلى المصطلحات العلمية المناسبة في كل العلوم[٢] . فهناك تفاحة « نيوتن » التي تسقط وهناك الجاذبية ، والنظام الشمسي لدى « رذرفورد » **** والذرة ، وشجرة الحياة لدى « داروين » والتطور ، وجبل الجليد العائم لدى « فرويد » واللا شعور . وهناك العديد من الصور والمجازات المماثلة . ان اشكال وصور

---

* - جوهانز كبلر - ( ١٥٧١ - ١٦٣٠ ) عالم الماني ، يعتبر احد مؤسسي علم الفلك الحديث ( المترجم ) .

** - اسحق نيوتن - ( ١٦٤٣ - ١٧٢٧ ) رياضي وفيزيائي انجليزي . وضع قانون الجاذبية العامة وقانون الحركة ( المترجم ) .

*** - جاليليو جاليلي جاليليو - ( ١٥٦٤ - ١٦٤٢ ) . عالم فلك ايطالي . ايد نظرية كوبرنيكس القائلة بان الارض تدور حول الشمس ( المترجم ) .

**** - ارنست رزرفورد - ( ١٨٧١ - ١٩٣٧ ) عالم فيزيائى بريطاني . منح جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٠٨ ( المترجم ) .

المجاز المختلفة حول الطبيعة تتضمن الفائدة الخاصة بخاصية « كمالو As-If » * انها تعبر ايضا عن تلك الخصائص الدقيقة التي يصعب توصيلها ، كما توحي بظواهر يمكن اختبارها بشكل أكثر مباشرة .

نشأت علاقة أخرى بين الفنون والعلوم من سياق السلوك البيولوجي باعتباره استجابة للأزمة . حيث تكشف الفنون عن تكيف الانسان الواقعي والانفعالي لبيئته ، أى عن حاجته أن يلعب بالرموز ويستخدمها للتخفف من التوترات . وأخيرا ، فإن الدمج بين العلم والجماليات قد مثله بعض الرجال البارزين أمثال « دافنشي » و « جوته » ، و « هو » أى « جوتة » ـ كاتب مسرحي ، وشاعر وروائي بارز ، وقد قام أيضا بتطوير نظرية بيولوجية ـ سيكولوجية عن إدراك اللون[٣] .

هناك خاصية مشتركة أخرى بين العلم والفن تتعلق بالمطالب الخاصة بحل المشكلات في كل منهما[٤] فكلاهما يعتمد على الابداع « يشتمل العلم ، خاصة عند المستويات النظرية ، على عمليات ابداعية لا تستطيع أية صيغة شكلية اختزالها الى قاعدة معينة ، وهي ليست عمليات مختلفة ، في الحقيقة ، عن تلك العمليات التي تتوسط نشاط الشعراء ، والفنانين ، والمؤرخين ، وغيرهم من السكان الآخرين على الجانب الآخر من هذه المتاريس[٥] .

ينبغي أن يتكيء هذان النظامان المعرفيان ، أيضا ، على المحكات الذاتية ، فالعلم دون التوجه الكيفي ، خاصة عند بداية وعند نهاية فحوصه ، قد يصبح أجدب وبلا هدف : « إذا انهمك امرؤ في بحث ما ، بحيث يظهر على أنه يبدأ وينتهي بالمصطلحات الكمية والرقمية ، فربما كان هذا المرء متسما بالسذاجة . فوراء البيانات الكمية لابد أن تكون

---

* يستخدم مصطلح « كما لو » للاشارة الى

* ١ ـ مجموعة من اشكال التفكير العلمي . يقوم المرء فيها بصياغة فرض متماسك ويقوم باستكشافه او التجريب من خلاله متحركا من خلال افتراض خاص بأن هذا الفرض فرض حقيقي ، ويسمى الفرض هنا « فرض كما لو » .

٢ ـ تلك الوجهة الفلسفية من النظر التي تقوم على اساس الفكرة العامة التي فحواها ان معظم المباديء الأكثر جوهرية والأكثر فائدة في العلم ، هي في حقيقة الأمر مباديء فرضية ولم تثبت بعد ، ومن ثم فإن العلم ينشط هنا « كما لو » كانت هذه المباديء حقيقية

٣ ـ قام « الفريد ادلر » متأثر بالوجهة الفلسفية السابقة بالامتداد بمجال المصطلح كي يفسر من خلاله تلك الطرائق التي تقوم شخصية المرء من خلالها بالنمو و الارتقاء . ولذلك فقد كان هذا المبدأ هو الافتراض الأساسي الذي من خلاله تحقيق سعي المرء وكفاحه الدائم نحو التفوق .

٤ ـ يستخدم المصطلح في دراسات لعب الأطفال كي يشير الى تلك الألعاب الخاصة بالخيال و التخيل و اللعب الايهامي او التظاهري ( المترجم ) .

هناك مشكلة قد تم تحديدها بشكل كيفي متسم بالوضوح . فالبحث الجيد يبدأ بأسئلة جيدة . وينتهي بقرارات واعية متروية ، وكلاهما كيفي ، وكلاهما يشتمل على تدريب خاص للفهم المشترك(٦) .

تظهر العلاقة الوثيقة بين الفنون والعلم أيضا في ذلك التطبيق الخاص للأسلوب العلمي في الفنون . فقد دافع كل من « بيردسلي Beadrsley » و « توفلر Toffler » عن القيمة الخاصة للقياس الموضوعي . فهو يقدم تعبيرات حقيقية حول التطورات والتيارات المختلفة في الفنون . وهي معلومات موضوعية يمكنها أن تؤيد القضايا الخاصة المطروحة حول أهمية وفائدة الفنون في المجتمع . فمن الممكن أن تشكل الاحصاءات القائمة على أساس دراسات امبيريقية ، بدلا من التأمل ، والرأى ، والسلطة السائدة في مجال ما* ، الأساس الخاص لقرارات وخطط لها معقوليتها في مجال الفنون . ان التأكيد على ان هناك ملامح مشتركة بين العلم والفن لا يعني ان الحقيقة العلمية والحقيقة الفنية هما شيء واحد . كما قد يشير إلى ذلك ، ضمنا ، هذا المقتطف من « كيتس » الجمال هو الحقيقة ، جمال الحقيقة ، هذا كل ماعرفته عن هذه الأرض ، وهو كل ماتحتاج أن تعرفه » . وكذلك لا يستطيع المرء أن يقبل القول بوجود تفوق لأحد هذين النظامين على الآخر . كما فعل ذلك « بيرت Burt » حين أشار إلى أن معظم ماتعرفه عن الانسان قد جاء من جانب الأدباء ، أكثر مما جاء من جانب العلماء »(٧) . وهناك وجهة متوازنة من الرأى ربما كان « ديوي Dewey » هو الذي عبر عنها بشكل أفضل حين قال « الفن ليس هو الطبيعة ، لكنه الطبيعة وقد تم تحويلها »(٨) . وأن « العلم يقرر المعانى ، والفن يعبر عنها »(٩) . وعلاوة على ذلك ، كما يواصل « ديوي » قائلا ، فإنه إذا افترض امرؤ وجود عجز لدى الفنان في توصيل ادراكاته واستبصاراته حول الطبيعة الى العالم ، فإن هذا قد يكون فشلا من جانب الملاحظ للفن ، وليس من قبل الفنان ذاته(١٠) . ويوحي قول « أوسكار وايلد » المأثور « تؤثر الطبيعة على النفس اكثر مما يؤثر الفن على الطبيعة » بأن هذين النظامين مرتبطان بطريقة معينة . وأيًا كان اتجاه ومدى العلاقة بين الفن والطبيعة ، فإنه قد يقوم بتعليم العلماء اشياء مفيدة حول الطبيعة ( والعكس صحيح كذلك ) .

---

* اى المفكر او مجموعة المفكرين البارزين في مجال معين ( المترجم ) .

## علم النفس والأدب :

يمكن أن يقوم تقبل الفنون داخل إطار العلم بفتح حدود علم النفس أمام كل أنواع أو جوانب خبرة الوعي التي تم اهمالها . وهي الجوانب الذاتية والشخصية الذاتية - التعبيرية والحدسية والظاهراتية (. الفينومينولوجية ) . ويعتبر الاعتماد على المصادر الانسانية الفريدة من المعلومات مثالا موضحا للمنحى الانساني في علم النفس والذي يتمسك بنظرية ايجابية ومتفائلة حول الانسان ، والذي ينظر الى الفرد باعتباره صحيحا نفسيا ومنجزا ، وعقلانيا . واهمال هذه الوجهة من النظر حول الانسان والذي هو كما أشار « ويلسون » نتيجة لإهمال علم النفس للانسانيات - قد أدى إلى تشويه الانسان . فهناك كائن متقن محكم دقيق ، كما يؤكد « ويلسون » قد تم صنعه ، كي يبدو على غير ماهو عليه من أجل الغرض الخاص بالوصول إلى صيغ ، ومتغيرات ، قابلة للتعامل معها ، والتشغيل لها ، وواضحة المعالم في نفس الوقت . وقد تم خلال ذلك اهمال تلك الخصائص والتركيبات الهامة الخاصة بالانسان ، وبشكل خاص تلك الخصائص والتركيبات الموجودة في الفنون ، وذلك لأنها لم تثبت انها مطاوعة للتصنيف السهل .

وكمثال لهذه الخصائص التي [ أهملت ] نجد الابداع الفني والخبرة الجمالية ، وهو مجال من مجالات النشاط المميزة للانسان ، مجال شديد الحيوية لفهم الانسان أكثر من النشاطات المتضمنة في التدريب على قضاء الحاجة . لقد اتخذت العلوم الاجتماعية منذ وقت طويل اتجاها ذكريا Animus ( أى عدوانيا )* ضد كل ماهو جمالي ورشيق(١١) .

لقد خدمت الاهتمامات التقليدية بالأدب في الاتجاه الانساني - خاصة مايتعلق منها بالقيم الانسانية ، والوعي ، والخبرة - في تصحيح ذلك النموذج السلوكي الجامد في معظم جوانبه حول الانسان ، وهو النموذج الذي هيمنت عليه نزعات بيولوجية ونزعات مقارنة** . ان الدراسة الموضوعية للأدب من الممكن أن تكون بمثابة الترياق الشافي لذلك النوع من الدراسة في علم النفس الذي حصر نفسه في القواعد والتحليلات العلمية الصارمة فقط . وهو ذلك النوع من الدراسة الذي أطلق « كوخ » عليه اسم « اللا معنى » أو « المعرفة الزائفة » (١٢) . إن إسهام الأدب في الموضوع الرئيسي الإنساني من علم قد يقوم بتغيير ماأطلق عليه « بيرتالانفي Bertalanffy » ومجموعة أخرى كبيرة من الكتاب الانسانيين . والذين تم جمع أعمالهم في كتب محررة قام بها « بوجنتال Bugental » ،

* المصطلح خاص بالمحلل النفسي الشهير ، كارل جوستاف يونج ، ويقصد به الاتجاه الذكري داخل الانثى في مقابل الاتجاه الانثوي داخل الذكر ( المترجم ) .

** اى تلك العلوم التي تقوم بعقد مقارنات بين سلوك الحيوان وسلوك الانسان ( المترجم ) .

و « سيفرين Severin » ، و « سوتيش Sutich » و « فيتش Vich » أطلقوا عليه اسم « ابتذال الأفكار والإنجازات » . وقد أيد علماء نفس عديدون فكرة وضع علم النفس الانساني داخل الاطار العلمي ، ومن هؤلاء العلماء مثلا : « بوهلر Buhler » ، و « هيلجارد Hilgard » ، و « اتكنسون Atkinson » ، و « كيللي Kelly » ، و « ماتسون Matson » . ( وقدّ قام « داى Day » و « ماكوركوديل MacCorguodale » بمناقشة الانتقادات الموجهة الى هذه القضية الخلافية ، وهي الانتقادات التي تصر على أن علم النفس ليس في حاجة لأن يكون انسانيا ، أو أنه بالفعل كذلك ) .

هناك الكثير من الجوانب المشتركة بين الأدب وعلم النفس : فكلاهما يشارك في دراسة ذلك التعقد المحير الخاص بالانسان ، وكلاهما يبدأ دراساته من الخبرة ، ويستخدم الخبرة في تحليلاته ، كما أنهما يعودان في النهاية ويربطان نتائجهما بهذا المصدر . ورغم أن هذين النظامين المعرفيين يسيران في طرق مختلفة في الوفاء باهتماماتهما الخاصة فإنهما يبدآن هذه الطرق من خلال تجميع الانطباعات والحدوس الباطنية . كذلك فإن الإبداع ، سواء كان أدبيا أو علميا في أصوله وأهدافه ، فإنه يقوم على أساس الحقائق والفروض والنظريات التي تنبثق عن ملاحظة الانسان للانسان .

على كل حال ، فإن البحث عن الصلاحية السيكولوجية في الأدب ، يعني ماهو أكثر من مجرد الحصول على الأمثلة الموضحة التي تسمح للمرء ان يقف في حالة خشوع أو دهشة ، ويعني أيضا ماهو أكثر من مجرد اكتشاف اشكال المجاز البديلة عن العبارات العلمية . ان اللجوء الى الأدب يعني ايضا ماهو أكثر من مجرد تحريض علم النفس على الامتداد بحدوده .

لايقوم المنحى الانساني في علم نفس الأدب كذلك بإنكار اهمية المنحى « الامبيريقي » والموضوعي الخاص بالعلم ، بما يشتمل عليه من اجراءات تجريبية ، وأساليب احصائية . ورغم أن الكثير من جوانب الأدب قد لا تكون قابلة ، الآن ، للتناول من جانب ذلك النمط من الدراسة المعملية المضبوطة التي تعتمد على الأساليب والوسائل العلمية الأكثر دقة ، فإن الأدب يظل قادرا على الايحاء بدراسات مشتقة ، وفي حالة فشل ذلك يمكن للأدب ان يقدم اجابات مؤقتة على تلك الأسئلة غير القابلة للاجابة الامبيريقية عليها في وقتنا الراهن . ان الأمثلة الموضحة والتعبيرات الكلية الخاصة بالأدب له ميزة التعامل مع تلك الجوانب من علم النفس التي تتعلق اكثر بالحياة اليومية ، كما انها تكون اكثر تركيبا ، وهي تلك الجوانب التي يعتقد معظم الناس أن علم النفس كله يتعلق بها . ان الفائدة المباشرة والمناسبة لهذه المعلومات الأدبية ، في مقابل التجريدات العلمية ، هي من الأمور التي تطرح بعض التحديات ، كما انه يصعب دراستها .

ومع ذلك ، فإنه إذا كان من الواجب اقامة علاقة حميمة بين علم النفس والأدب ، بشكل يفوق تلك المظاهر المتطابقة والمتماثلة بين الأبعاد العلمية والجمالية ، فإننا نحتاج اكثر إلى اللجوء الى المحكات الانسانية ، وأن نوجه نصائح أكثر معنى . كذلك فإنه من اللازم أن تكون هناك تحديدات ملموسة للوسائل التي نستطيع ان نقوم من خلالها بدراسة الأدب دراسة علمية . أى انه إذا كان علينا أن نزيد من قدر التقارب التصوري والمعلوماتي بين الأدب وعلم النفس الامبيريقى فإن الأساليب والتقنيات البحثية الخاصة بالدراسة الموضوعية للأدب ، ينبغي أن تكون متوفرة كذلك .

### المنهج والأدب :

« لقد قيل أن الجماليات هي مجال في حالة بحث دائم عن منهج »[١٣] . فبدون الأدوات العملية ( الامبيريقية ) التي يمكن من خلالها فحص الأدب ، ستنشب أزمة حادة بين علم النفس والأدب ،.وتظل هذه الأزمة قائمة رغم المحاولات المتفائلة لتوحيدهما . ان تطبيق المنهج العلمي على الأدب هو أمر جوهري في الوصول الى رأب الصدع بين العلم والفن . فبدون المنهج العلمي ، سيكون من الصعب تشجيع وإبقاء وتدعيم التفاعل البناء بين محتوى وأهداف كل من علم النفس والأدب . ان صلاحية وفائدة قدرة جمع الحقائق من خلال « الامبيريقية » العلمية قد تمت مراجعتها ـ لاحقا ـ في ذلك المسح الخاص للأساليب المتاحة والخاصة بالدراسة الموضوعية للأدب . على كل حال ، فإنه قبل مناقشة الأساليب العلمية النوعية ، من الضروري أولا أن نواجه تلك الاعتراضات التي أثارها علماء النفس ، وكذلك نقاد الأدب ، ضد امكانية وقيمة المنهجية الموضوعية في دراسة الأدب .

## الاعتراضات على استخدام المنهج العلمي في دراسة الأدب

يعتبر علم النفس التجريبي هو اكثر فروع علم النفس صرامة من الناحية العلمية ، فهذا العلم يحصل على بياناته بشكل مباشر من المبحوثين في ظل شروط تم التحكم فيها ومعالجتها بشكل دقيق في المعمل . ويرفض علم النفس التجريبي البيانات التي يتم

الحصول عليها بشكل غير مباشر من مصادر تاريخية موجودة فعلا الآن ، وذلك لأنه لا يمكن معالجتها ولا التحكم فيها أو ضبطها . ويمثل الأدب بشكل خاص جوانب القصور الخاصة بمصادر البيانات البعدية ، وذلك لأنه لا يكون هناك لدى الباحث أى تحكم في تلك المتغيرات التي يمكن أن تكون ـ أو لا تكون ـ مسئولة عن الأسباب المفترضة وعن النتائج التي تم الحصول عليها . وفي أفضل الأحوال ، فإن ماتوفره المواد الأدبية ، هو عبارات وصفية وعامة ، وليس علاقات سببية وظيفية . وهكذا يكون الأدب مماثلا للشواهد القصصية وخلال ذلك يظل تحديد ماذا يحدث ، وكيف ، ولماذا ، بالضرورة ، غير واضح . كما تلعب العوامل المثيرة للحيرة ، وغير المناسبة دورا ايضا . وقد أكد « أندروود Underwood » وهو اسم بارز في علم النفس التجريبي ، أن التحليلات التي تعتمد على بيانات « تتوفر بعد حدوث الحقيقة » ، « لا تفي بالمعايير البحثية المقبولة »[١٤] . وتضاف مقاومة المادة الأدبية للفحص المنهجي الصارم ، إلى ذلك التركيب الهائل الموجود فعلا في الأدب ، وتلك المحددات والمستويات المتعددة للتحليل ، وكذلك الدقة حد الرفاهة المتناهية لما تتضمنه هذه المادة الأدبية ، علاوة على التحولات التي تحدث في النوايا أو المقاصد المتضمنة منها .

الشيء الحقيقي هو أن الحقائق الأدبية ، على عكس الأدلة « الصلبة » ـ التي تقوم مثلا على أساس تجارب تعلم الفئران والتعلم الصم أو الاستظهار ، وذلك إذا كان علينا أن نذكر اثنين من اكثر مصادر المعلومات المعملية ضبطا ـ لم تنشأ ـ أى الحقائق الأدبية ـ في معمل علم النفس كما أنها أقل صرامة من الحقائق التي تم الحصول عليها في المعمل . على كل حال ، فإن التطبيق المكثف والمتسم بالمثابرة في بذل الجهد في الاجراءات التجريبية لم ينجح دوما في الكشف عن قيمته ، كما أنه لم يؤد الى احراز العديد من الانتصارات ، ولم ينتج عنه الا ترسيخ عدد قليل من القوانين في أحسن الأحوال . وعلى سبيل المثال ، فإن الدراسة المعملية للتعلم اللفظي لم تثبت بعد صلاحيتها في فهم عملية التعليم في الفصل المدرسي ، وهو المكان الذي يفترض ان تكون فيه اكثر مناسبة . كذلك لم يمنع الاستخدام شديد الضبط للأساليب التجريبية في الوقوع في أخطاء فادحة . وعلى سبيل المثال ، فإن تحيز المجرب اللا شعوري يمكنه أن يجعله ـ وبشكل لا يمكن تحاشيه ـ يفضل فروضا معينة ، ومن خلالها يؤثر على عملية جمع البيانات التي يقوم بها . كذلك لم تستطع الدقة الاحصائية المتناهية ان تحل بعض المعضلات التصورية ، وكما كشف عن هذا ذلك الخلاف الكبير حول معنى وفائدة المقاييس السيكومترية* عالية التطور الخاصة بقياس

* نسبة الى علم ، السيكومتري ، او القياس النفسي ( المترجم ) .

نسبة الذكاء . لقد أكد « باكان » أنه قد تمت المبالغة في قيمة النزعة التجريبية بدرجة كبيرة ، كما لو كان علم الطبيعة هو النموذج العلمي الوحيد المتاح امام علم النفس ، ولهذا ، فإن علم النفس يستطيع الآن ، كما أصر « باكان » أن يركل « عادة العلم » .

أما فيما يتعلق بالمناحي « الامبيريقية » الأخرى ، والتي رغم أنها تعتمد على الملاحظة والخبرة فإنها ليست معالجة تجريبية ، فقد تم اهمالها نسبيا في علم النفس . لقد قام المنحى التجريبي ـ « شديد الفتك » كما طرح ذلك « تايلر Tyler » بتكوين مجموعة من علماء النفس المحترفين الجيدين ، لكنهم فئة من المفكرين متواضعي القيمة . وقد أصر « تايلر » على أن هؤلاء العلماء يعرفون كيف يصممون التجارب ، ويستخدمون الأساليب عالية الدقة والإحكام ، ويوفرون التجهيزات ، ويحصلون على الحقائق ، لكن محدودية تدريبهم لم تعلمهم أن ينظروا إلى مصادر المعرفة التي تقوم على اساس الخبرة ، وأن يستخدمونها ، وقد ذكر « بيربوم Pereboom » كذلك العديد من الاخطاء الخاصة بالمعمل خلال تسليمه بفكرة أن هناك أكثر من مقاربة للعلم ، وأن كل البيانات ، بصرف النظر عن مصادرها ، هي بيانات احتمالية وظرفية . وحاجج « بيربوم » اضافة الى ذلك ، قائلا بأن التحكم في الفروق الفردية ، وعزل السياق من أجل تكوين شروط قابلة للتعامل معها في المعمل ، رغم أنهما محكان ضروريان من محكات التجريب ، فإنهما يؤديان رغم ذلك إلى وجود تحيزات كثيرة في المادة المتجمعة ، كما أنهما يتحديان ذلك التنوع الذي هو علامة مميزة للانسان .

ولقد استاء « بيربوم » كذلك من نزعة المبالغة في التبسيط الموجودة في التجريب ، أى من دراسة العديد من المتغيرات والتباينات معا . وينجم عن ذلك انفجار في البيانات ( سلاسل لا نهاية لها من التجارب الجديدة خاصة بالنتائج الجديدة ) ، وصعوبات في إعادة القيام بنفس التجربة للوصول الى نفس النتيجة ، وإمكانية وجود أكثر من تفسير لكل تجربة ، واحتمال الاثبات لكل فرض تقريبا . ولم يترتب على نقائص التجريب هذه ، ظهور امكانية ضئيلة لتعميم النتائج ، كما يستنتج « بيربوم » ، ولكن ايضا ظهور ميل لتبني النتائج تافهة القيمة ، فهناك « كميات كبيرة من الحقائق شديدة الأناقة ، لكنها حقائق هشة في نفس الوقت »(١٥) .

لقد تحدى « ديز Deese » صاحب المكانة القوية المتينة التي احتلها بوضعه مجربا ، تحدى وجهات النظر التبسيطية المؤكدة لسلطة التجريب . وطرح تساؤلات كثيرة حول الكثير من مصادر القوة التي تم قبولها بالنسبة لهذه السلطة . لقد قام بإعادة فحص العديد

من المزايا المفترضة في التجريب والمتعلقة بموضوعات مثل السببية ، والموضوعية ، والتحكم أو الضبط ، والمعالجة ، وأيضا اجراءات اختيار العينات واستخدام الأساليب الاحصائية في التجارب ، وكذلك الجوانب الخاصة بالأسبقية Priority والتصحيح والقيمة الحقيقية للحقائق التي يتم الوصول اليها ، وكذلك الاعتقاد في وجود تراكم في هذه التجارب يتقدم نحو تكوين نظرية أفضل ، وأيضا مايتعلق بالتقليل من قيمة أساليب أخرى ، كالارتباط والمقابلات الشخصية ( الاختبارات ) ودراسة الحالة الفردية . وانتهى « ديز » من ذلك بأن طرح فكرته القائلة بأن شيوع التجريب هو أمر أكثر ضعفا مما يدعى به » :

« فالكثير ... يقوم على أساس حدس وافتراض غير مصاغ بشكل جيد ... والقاعدة الحقيقية للعديد من التعميمات التي تظهر في الكتب المعتمدة وغيرها من المصادر هو حدس أو تأمل من النوع الأكثر تهلهلا والقائم على أساس ملاحظات قليلة محدودة القيمة ، لكنها غالبا ملاحظات شديدة التخصص »[١٦] .

وخلال مناقشته لدراسة اللغة وصل « ديز » إلى تعميم فحواه أنه ليس كل الاكتشافات تتطلب معملا أو إحصاءات :

« فبعض الحقائق حول التفكير والسلوك الانساني تكون واضحة بدرجة نادرا ماتحتاج عندها الى المعمل ( أو التحليل الاحصائي ) لتوضيحها ، وقد تكون هذه الحقائق أكثر أهمية إلى حد بعيد من تلك الحقائق التي خرجت من المعمل »[١٧] .

ويستمر « ديز » قائلا ، أن النموذج التجريبي ، يقوم على أساس تصور قديم للعلم كان موجودا في علم الطبيعي التقليدي ، وكذلك على اساس وجهة من النظر ثم تجاوزها حاولت اقتفاء الفلسفة فحددت نفسها باتباع النزعة الاجرائية والوضعية المنطقية التي كانت شائعة في ثلاثينيات هذا القرن »[١٨] . وعلاوة على ذلك ، فإن المنهج التجريبي كان شديد الجمود والتخبط والسطحية ، ومن ثم فقد تم تطبيقه بشكل غير مناسب في عديد من مجالات علم النفس ( على سبيل المثال : في علم النفس الاجتماعي ، والشخصية ) وربما كان هذا هو السبب الكامن وراء قيام مثل هذه البحوث الأكثر امبيريقية [ باختزال المشكلات الهامة ] الى مشكلات تافهة وباردة »[١٩].

وبسبب أخطاء التجريب هذه ينظر الكثيرون إلى علم النفس دون ثقة ، وبارتياب ، مع شعور بعدم جدواه . وترتب على ذلك أن أصبح هذا العلم في « حالة من الأزمة »[٢٠] . ويتمسك « ديز » بأنه من أجل تعديل تلك الجوانب التجريبية المثالية ( أى غير الواقعية ) والجامدة والقديمة ، وغير المناسبة للعصر ، فإنه من الضروري أن نعرف أن النظريات والنماذج هي الأكثر أهمية بالنسبة للعلم من البيانات والمنهج . فالبيانات بمفردها لا تصنع علما . فهي فقط تعطي العلم شيئا يتعلق به »[٢١] .

وهكذا فإن الاستدلالات ، هي أمر حاسم بالنسبة للعلم ، وهي تمثل فنا ،فعمليات الاستدلال عمليات مجازية في جوهرها أو هي تعبيرات اسطورية يتم ملؤها بالافتراضات وعناصر اليقين . ولهذا فإن العلم لا يعتمد فقط على الحقائق والمنطق ، ولكنه يعتمد ايضا على اللجوء الحدسي الى الخبرة الشخصية والانسانية . ووفقا لما يراه « ديز » فإن العلم يعتبر وثيق الصلة بالفن ، في اعتماده على الخصال الذاتية ، هذا رغم أن هذا الاعتماد غير معترف به ، كما انه قد تم انكاره بدرجة سطحية من قبل الكثيرين . ولذلك فان العلم والفن متساوقان ( أو متناغمان ) مع بعضهما ، ومع علم النفس أيضا . ان علم النفس دون فن هو نمط جامد من المعرفة ، هو نمط يرفض المناهج والموضوعات الجديدة والمختلفة ، ومن ثم يمنع تطوره الخاص به كعلم .

على كل حال ، فإن النظر إلى علم النفس باعتباره فنا فقط ، وهي نظرة قد يجدها البعض بديلة لعلم النفس كعلم ، هو حل غير مقبول أيضا بالنسبة لـ « ديز » : فمن هو ضد العلم هو ايضا ضد العقلاني وضد الفكري ، كما انه يقوم بالتبسيط الخاطيء الذي يتهم من خلاله كل الانماط الكلية والصارمة والمنظمة من البحث . ويتمسك « ديز » بأن الصعوبة الخاصة بعلم نفس متحرر من القيود العلمية ـ إن وجد هذا العلم ـ إنما تكمن في أن تاكيداته او إثباتاته الخاصة لا تكون خاضعة للاختبار إلا من خلال الحدس . ورغم أن الطريق الذي يمكن من خلاله دمج العلم والفن يظل طريقا مفتوحا وقضية غير محلولة ، فان « ديز » يشعر مع ذلك بأن معرفة العلاقة بينهما سيؤدي الى انفتاح على منهج سيدعم الرابطة بينهما . كما أن الأساليب التي سيتم تطويرها ينبغي أن تكون معتمدة على طبيعة المشكلة ، بدلا من أن تكون معتمدة على اى محك واحد أو عام خاص بالعلم أو بمناهج البحث فيه . ويرفض « ديز » تماما فكرة وجود طريقة واحدة فقط للنظر الى الأشياء ، سواء كان ذلك في ضوء الطريقة التي ننظر من خلالها ( المنهج ) او في ضوء ماننظر اليه ( المادة المبحوثة ) . ان النتيجة المترتبة على اعادة تحديد مادة ومنهج علم النفس سيترتب عليها توسيع حدوده وكذلك تحريره من التقاليد التي كانت تحيط بشكل غير ضروري . على كل حال ، فإن « ديز » يحذر قائلا بأن المرء ينبغي عليه أن يظل ملتزما بالتراث الذي يؤكد ضرورة التقييم الدقيق لكل الأساليب ومصادر البيانات الجديدة التي تظهر .

رغم أن « ديز » لم يتعامل مباشرة مع الجماليات ( حيث أن إشارته الى « الفن » هي في الواقع اشارة الى « ممارسة » علم النفس ) . فإنه يعتقد ان انبعاث الاهتمام بالعقل والوعي ، والخبرة سيكون مثمرا ومفيدا بالنسبة لعلم النفس . ومما له أهمية بالنسبة للجماليات أيضا ، أن « ديز » قد قال بأن التساؤل عما إذا كان الفن ( أو الأدب ) خاضعا

للبحث « الامبيريقي » ، أو من الممكن استخدامه كبيانات ، هو طرح خاص لأسئلة خاطئة . فمثل هذه الأسئلة تفترض وجود نمط واحد من البيانات ومن مناهج البحث او الممارسة الامبيريقية ، هو فقط الذي يعتبر صحيحا . وبدلا من ذلك ، فإن « ديز » يشعر بأن البيانات التي يستخدمها المرء ، وكذلك كيفية حصوله عليها ، إنما يعتمدان على هدف الباحث ، وعلى كيفية استخدامه لها . وكذلك دورهما في النظرية . فإذا كانت هناك عوائق تمنع علم النفس من استخدام الفنون والانسانيات ، كما يصرح « ديز » ، فإن هذه العوائق لا تقوم اطلاقا على أية حقائق صادقة ، أو فلسفة حقيقية للعلم او « نظام طبيعي » متسم بالصدق .

وبدلا من ذلك ، فإن هذه القيود قد نشأت ، بشكل فادح الخطأ ، نتيجة القيام الزائف بنسبة خصائص مكانة معينة لبعض الموضوعات بسبب المنهج الخاص بها ، وكذلك نتيجة لتاريخ علم النفس ، وأشكاله الحالية والتحيزات السائدة فيه وأيضا اسلوب الشخصية والاسلوب العقلي للباحثين فيه .

لسوء الحظ ، فإن « ديز » قد اعتبر ان تحرير علم النفس انما يتم من خلال جهوده المشتركة مع فروع معرفية أخرى في العلوم الاجتماعية وفي العلوم الأخرى ، وليس من خلال الفنون والانسانيات . وقد افترض ضمنا ايضا ان التجريب غير قابل للتطبيق على الفنون ، رغم ان المنهج العلمي قد استخدم بالكاد في هذا المجال . وحيث ان الأمبيريقية الصارمة في الفنون هي أمر غير متكرر ، فليس من النضج ان نهجرها من أجل مناهج أو مقارنات بديلة .

يجب الاعتراف بوجود صعوبات واضحة تواجه الضبط العلمي للبيانات الأدبية . ومن المهم هنا تحقيق توازن مناسب بين الاسلوب العلمي الصارم ، وبين المدى الخاص بالمادة الأدبية . وقد يكون من الممكن الوصول الى هذا الحل من خلال تصميمات وأساليب بحثية مبتكرة . فصلابة أو عدم مطاوعة المواد الأدبية للدراسة الموضوعية تقدم لنا فرصة لاكتشاف نماذج بحثية جديدة تظل مخلصة رغم ذلك لمحكات النزعة العلمية ( الامبيريقية ) . فمن الممكن ان تكون هناك تعددية في مناهج البحث ، بحيث يساهم كل منها في معرفة الطبيعة الانسانية بطريقته الخاصة ، فالوثائق المتعلقة بالأدب ، والتي يمكن ان تكون شخصية أو طبيعية أو تاريخية أو ذاتية أو قائمة على اساس الملاحظة ، كلها ينبغي ان تشكل جانبا اساسيا من جوانب علم النفس العلمي في هذا المجال . فالانفتاح على العمومية الوصفية والمعقولية الظاهراتية فيما يتعلق بالأدب ، ينبغي أن يواجه المخاطر الكامنة ، أحيانا ، في الابتذال التجريبي .

قامت أعمال علمية جديثة بالتشجيع والتأييد لاستخدام منهجية ابتكارية ، بواسطتها تتوفر الوسائل التي نتمكن من خلالها من استغلال وإدارة الامكانيات المنهجية الفريدة بأساليب غير تقليدية . ويمكن أن نجد المناقشات التي دارت حول تحرير مناهج البحث في كتابات مثل : « استخدام الوثائق الشخصية في علم النفس العلمي[1] » تأليف « البورت Allpart » و« حول المنهج On Method » من تأليف « باكان » و « ن = ١ : الدراسات التجريبية للحالة الواحدة[2] » . تأليف « دافيدسون وكوستيللو Dauickon & Castello » والمقاييس غير المقحمة Unobtrusive Methods » تأليف « ويب كامبل وشوارتز وسيخرست Webb, Campbell, Schmartz & Sechrest » وأيضا كتاب « وجهات نظر طبيعية في البحوث السيكولوجية[3] » من تأليف « وليمز وروش Williams 9 Ranch » . كما يمكننا أن نجد في الكتاب الذي قام « توفت Tufte » بتجميعه تحت عنوان « التحليل الكمي للمشكلات الاجتماعية[4] » مثالا على الاستخدام الناجح لتصميمات بحثية كمية خلافية عديدة في المشكلات الاجتماعية . وقد اشارت الكتابات السابقة ، جميعها ، الى الامكانيات التي يمكن ان تستخدمها أية دراسة موضوعية للأدب . وتكشف هذه الدراسات عن أن جوانب القصور الخاصة بأى منهج واحتمالات اساءة الاستخدام الخاصة بأى اسلوب احصائي ، وكذلك المشكلات الأخرى الملازمة للمجالات المركبة والمثيرة للاهتمام في الوقت نفسه ، كلها يمكن التغلب عليها . وتعطينا قابلية التطبيق الواضحة الخاصة بتكنولوجيا الحاسوب ( الكومبيوتر ) بالنسبة للفنون المختلفة ، والتي نجد أمثلة عليها في الكتاب الذي قام « رايخاردت Reicharolt » بتجميعه بشرى خاصة حول الاحتمالات المتاحة أمام البحوث التالية .

ويقدم لنا النجاح السابق في معالجة موا[illegible] ثم الحصول عليها من اساليب اسقاطية ، اشارة اخرى على الصدق الكامن في تطبيق الأساليب الكمية على البيانات شديدة الخصوصية وشديدة الرهافة ، وقد ظهر ذلك مثلا في دراسات حديثة قام خلالها الباحثون بتحليل المحتوى الانفعالي للكلام ، كما في بحوث « جليسر Gleser » وزملاؤه ، وبدراسة الأحلام كما في بحوث « هول وفان دى كاستل Hall & Vande Castle » وكذلك دراسة المنتجات الخاصة بالحضارات القديمة كما أوضح ذلك « ماكليلاند McClleland » في كتابه « مجتمع الانجاز » . ورغم أن هذه الاجراءات المتحررة تعمل على توفير فرص

(1) Use of personal Documents in Psychological Science

( ) N,ن 1 : Experimental studies of single cases

(3) Naturalistic viewpoints in psychological research

(4) The Quantitative Analysis of social problems

عديدة لحدوث الخطأ ، فإن هذه الأخطاء يمكن مواجهتها من خلال استخدامنا لأساليب بحثية عديدة لتدعيم وتحقيق صدق البيانات التي نحصلنا عليها ، من خلال اجراءات قد لا يراها البعض صارمة . ومن الممكن ان يعوضنا هذا الكسب الخاص لمرونة المنهج ، والذي يسمح بالاستخدام الخيالي للمواد الجديدة ، عن ذلك الفقد المحتمل في الدقة والذي نخاطر بحدوثه عندما نستخدم مادة غير نمطية .

إن الأدب ، إضافة إلى غيره من الوثائق الشخصية الأخرى ( على سبيل المثال المذكرات الشخصية أو اليوميات ) هو بيانات ، عندما نتعامل معها باعتبارها مادة غير مرتبطة بشخص معين ، كي نواجه اعتراضات العلماء ذوي العقول الصارمة ، فإنه سيكون بمقدورنا أن نضعه موضوعيا على هيئة فئات وباعتباره مصدرا للبيانات التاريخية ، فهو لا يختلف بطريقة غير مألوفة عن الأمثلة الأخرى من المادة ، والتي نجدها في البيانات الأرشيفية ( المفهرسة ) المرتبطة بأحداث معينة ، والخاصة ، والتي قام شخص آخر غير المجرب بجمعها ولم يكن هدفه الأساسي هو الحصول على منحة علمية معينة .

هناك مصدر كبير آخر للنقد الموجه الى المنحى الكمي في دراسة الأدب ، وقد نشأ هذا النقد أصلا في مجال النقد الأدبي خاصة ، وفي الانسانيات عموما ، ويقول أصحابه بأن التحليل الكمي للأدب يختزل الأدب إلى أرقام مجهولة تعمل على الحط من قيمة مضمونة . فعندما نتعامل مع الأدب باعتباره بيانات ( أو معلومات ) فإن هذا يفقده فرديته ، كما يفقد القارىء هويته الخاصة التي يستشعرها - هذا القارىء - من خلاله ، وهما أمران جوهريان بالنسبة للمواد الأدبية .

يمكننا الرد على التهمة الخاصة التي فحواها أن النظرة الامبيريقية للأدب هي نظرة جاهلة ومادية من خلال طرائق عديدة . فسوء الاستخدام الاحصائي يمكن التعرف عليه وتقليله إلى أدنى حد ، خاصة من خلال قيامنا باحداث التكامل بين نتائج التحليل الموضوعي وبين التفسيرات الانطباعية . وليس من بين نوايا النزعة « الامبيريقية » أن تنتزع عرش التحليل الأدبي . والأمر بدلا من ذلك ، هو أن البيانات الموضوعية يمكنها أن تدعم التعبيرات الذاتية وتساعدها وتمتد بحدودها ، كذلك فإننا نجد العديد من القضايا المعارضة لامكانية استثمار المواد الرفيعة ( كالأدب ) بحثيا ، في السياق البحثي الخاص القائل بصعوبة دراسة مواد مماثلة كالأحلام مثلا . ورغم ذلك فقد قام « هول » « وفان دي كاستيل » بالمعالجة الناجحة للأحلام في مجلدهما الخاص حول هذا الموضوع . ويحتوي كتاب « ماكوردي » العالم الشخصي The Personal World أيضا على قضايا مطروحة لتأييد قيمة الدمج بين التحليل الموضوعي والتحليل الذاتي . واعتقد « ماكوردي » أن « الاسلوب

الحدسي » والذي يشتمل على انهماك للذات في البيانات هو أمر لا يقع خارج حدود علم النفس ، فهو باعتباره خبرة شخصية ، يعتبر خبرة أصلية وجديرة بـالوثـوق بها . فالحدس ، كما يوصل « ماكوردي » حديثه ، يمكن وينبغي تهذيبه ، كما أنه يمكن تقبله بشكل خاص بالنسبة لتلك الظواهر التي توجد الآن خارج المنحى الموضوعي ، أو انه من الممكن أن يكون مفيدا في المواضع التي يفشل فيها الاسلوب الموضوعي .

هناك حجة أخرى تطرح لتحدي تلك المقاومة الخاصة التي تثار غالبا امام التحليل الموضوعي للأدب ، وفحوى هذه الحجة هو الاقرار بأن التحليل الأدبي ذاته هو تطبيق لمنهج ،وأن الاحصاء ، على هيئة العد الخاص لبعض المكونات ، قد اعتمد عليه العديد من نقاد الأدب خلال فحصهم للمواد الأدبية ، هذا رغم أن ذلك قد تم بطريقة غير شكلية وغير منتظمة الى حد كبير . وتتمثل الرياضيات بشكل اكثر وضوحا في الموسيقى وتظهر بشكل خاص مميزة للعديد من جوانب الشعر ( كما في الوزن ،والايقاع ،والنظام العام للقصيدة وعدد المقاطع مثلا ) .

وقد لاحظ « شويك Schoech » أيضا أن المفاهيم الرياضية ( اضافة الى الاحالات البيولوجية ) هي أمور يمكننا أن نجدها بشكل متكرر في أشكال المجاز والاستعارة الأدبية . بل اننا نجد أيضا انه حتى بعض المدافعين المخلصين عن الانسانيات امثال « نورمان كوزين N. Causins » مثلا قد دافعوا أيضا عن إمكانية تطبيق « تقنيات » الحاسوب ( الكومبيوتر ) في الأدب . وعلى كل ، فإنه قد قال محذرا بضرورة التعديل من قيمة التعميمات التي نستخرجها من البيانـات ، من خلال وضعنا للحكمة التفسـيرية والحساسية الخاصة بالشاعر في الاعتبار أيضا ، فالشاعر هو الذي يزود الحاسوب بأفضل الأسئلة التي ينبغي الاجابة عليها ، كما أنه يقدم له ايضا افضل الاستخدامات لاجاباته . وتوضح مجموعة القراءات الحديثة التي قام « جننجز Jennings » بجمعها من مجال احصاءات الحاسوب امكانية تطبيق المفاهيم الكمية في مجال النقد الأدبي . فقد اكدت هذه القراءات القيمة التفاعلية للفروع المعرفية المختلفة للعلم ، كما أنها توحي بالوسائل التي تستطيع الانسانيات من خلالها توسيع حدود المعرفة الخاصة بها .

## أسلوب تحليل المضمون :

استخدمت مناهج عديدة ، بما فيها المنهج التجريبي ، والمنهج الارتباطي ، في الدراسة الموضوعية لاستجابات القراء للأدب ، ونجد ايضا ومن بين « تقنيات » البحث الأقل تقليدية ، تلك المقاييس الدلالية للمعنى التي قدمها « أوسجود » و « سوسى » و « تاننباوم » « Osgood' Suci, & Tannenbaum » ( وحيث يمكن ، مثلا ، تقدير ووضع

درجات لمفهوم ما معين باعتباره جيدا او سيئا ، حارا او باردا ، سريعا أو بطيئا ) وقد استخدم هذا الاسلوب لقياس الاستجابة للدراما ، ومن الممكن استخدامه ايضا بالنسبة للفنون عموما . وهناك اساليب اخرى من الممكن استخدامها في دراسة الاستجابة الأدبية وتتمثل في استطلاعات الرأى والاستبارات ( المقابلات الشخصية ) وقد قام « لازارزفيلد ولاسويل Lazarzgeld & Lasswell » بمناقشتها في السياق العام للبحوث العلمية الاجتماعية . ورغم أن هذه الأساليب قد استخدمت في العادة من أجل أغراض أخرى ( مثل التسويق والسلوك الانتخابي والقضايا الاجتماعية ) فإنه من الممكن الاستفادة منها في دراسة استجابات القراء للأدب . على كل حال ، فإن الاسلوب الذي قام اغلب العلماء الاجتماعيين بتطبيقه ، أكثر من غيره ، على المواد الأدبية من أجل تحليل نصوصها ، كان هو أسلوب تحليل المضمون .

يعتبر تحليل المضمون في جوهره عملية للاحصاء او العد يتم من خلالها وضع التكرار الذي تحدث من خلاله أحداث أو وقائع معينة داخل فئات شديدة التحديد . وتختلف طبيعة هذه الفئات وعددها ومدى دقتها وفقا لهدف الباحث ، وكذلك طبيعة المادة التي يستخدمها . وقد ساهم « هولستى Holsti » بأكثر الدراسات المسحية اتساعا وشمولا لدراسات تحليل المضمون في الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، وهما من أكثر الأنظمة المعرفية اعتمادا على البيانات التاريخية وعلى الكلمة المكتوبة ، وبشكل يفوق مايفعله علم النفس في هذا الشأن . ورغم ان التحديد الكمي للنثر هو مسألة صعبة ، فإن « هولستى » قد أعلن صراحة أنه لا يمكننا اهماله ، وذلك لأن الكتابة هي الشكل الأكثر امتلاء بالشواهد الخاصة بالشئون الانسانية . وتشتمل مراجعة « هولستى » على المصادر الأدبية ، وذلك لأنها شكل من أشكال التخاطب اللفظي ، لكن ماأعطاه « هولستي » لها من اهتمام كان أقل بكثير مما اعطاه للمواد المكتوبة العادية الأخرى ، غيرها ، كالصحف والوثائق ، وقد اعتقد ان قيمتها الخاصة تكمن في تزويدها لنا بمصادر غير طبيعية -بدرجة أكبر -من المعلومات . ورغم أن « هولستى » لم يعتبر تعبيرات المؤلف الحدسية ، في حد ذاتها ، شواهد موضوعية ، فإنه كان يشعر بأنها ، بالرغم من ذلك ، بمثابة الحقائق التي يمكن الاستفادة منها امبيريقيا .

فمن الممكن تحليل تعليقات أحد المؤلفين ، من خلال الاستدلال والاستنتاج ، ومن خلال وضع السياق وغيره من الظروف الخاصة بسيرته الذاتية ، وكذلك الظروف الأدبية ، في الاعتبار[٢٣] . وحيث أن نتائج معظم التحليلات الموضوعية تتطلب تفكيرا حدسيا ، فإن المقاربات الذاتية والموضوعية تتطلب تفكيرا حدسيا ، فإن المقاربات الذاتية والموضوعية من البيانات يمكنها أن تتآزر وتتفاعل مع بعضها البعض . فالنتائج الكمية تساعد في الاكتشاف والاثبات والامتداد بالتحليلات الانطباعية .

كذلك تعاملت مراجعة « كارترايت Cartiuright » الخاصة بتحليل مضمون البيانات الكيفية في السياق النفسي الاجتماعي بشكل مع المادة المكتوبة عموما بشكل اكثر اتساعا مقارنة بتعاملها مع الأدب ، لكنه ، على كل ، قد أشار الى صلاحية تحليل المضمون الادبي في التحديد الكمي لسهولة قراءة النثر ، وفي المقارنة بين الخصائص الاسلوبية المختلفة ، وفي الفصل في المنازعات الخاصة حول مؤلفي أعمال معينة ، وفي فهم النوايا المتضمنة في الأدب ، والتأثيرات الخاصة التي يحدثها الأدب على متلقيه . وقد أظهر « سورينسون وسوورينسون Sarenson & Sarenson » الفائدة الخاصة لتحليل المضمون في اصدار الأحكام القضائية الخاصة بقضايا المخالفات والسرقات الأدبية .

يعتبر تجديد وحدات تحليل النثر المناسبة ، والتي يمكن استخدامها في تحليل المضمون ، هو موضوع معظم الخلاف في هذا الشأن ، فمع اختلاف الأهداف يختلف اختيار الوحدات . وتشتمل الوحدات ، من بين ماتشتمل عليه ، على عدد السطور التي تنطقها الشخصيات الأدبية المختلفة ، وقد استخدم « ماكوردي » هذه الوحدة كمقياس لأهمية الشخصية(٢٤) . وقام « يول Jule » بعد الأسماء ، واعتمد « وليامز B. Williams » على طول الجملة في تحديد المؤلف الحقيقي للكتاب وتحديد مكانته ، وابتكر « هاسكنز J.B. Haskins » نسبة معينة بين الصفات والأفعال ، باعتبارها مؤشرا للفعل أو النشاط الذي يمكننا من خلاله المقارنة بين القصص القصيرة وبين المواد غير الأدبية الأخرى . وقام « سيدلو وسيدلو Sedelaw & Sedelaw » بتدوين التكرار الخاص الذي تظهر من خلاله كلمات رمزية معينة في مسرحية « هاملت » وذلك من اجل اظهار ان مثل هذا الاسلوب في امكانه ان يساهم في التحليل المدرسي التقليدي للأدب ، كذلك فإن « رابن Raben » قد استخدم التحليل الآلي ( من خلال الكومبيوتر ) لطول البيت الشعري والايقاع في القصائد ، وذلك من أجل دراسة اسلوب الشاعر ، ودراسة المعنى الانفعالي والعقلي في القصيدة ، وايضا التشابهات بين الشعراء ، وكذلك النمو والتغيرات في الموتيفات أو الموضوعات الرئيسية التي يستخدمها الشاعر . لقد أصبحت إجراءات تحليل المضمون أيسر ، كما طرحت اسئلة أكثر دقة وأشد تعقيدا ، وذلك من خلال الاتاحة الخاصة للكومبيوتر . وقد تم التشجيع على استخدام هذه الاداة في البحوث الانسانية بدرجة كبيرة من قبل باحثين أمثال « بويلز » و « بايرسون » « Bowels & Pierson » كما كتب « سيبويك » و « زيبس » « Selok & Zeps » حول صلاحيات استخدام الكومبيوتر في الدراسات الاحصائية المسحية حول الأدب .

قامت دراسات أخرى ، من خلال تحليل المضمون ، بتوجيه اهتمامها إلى أنماط أخرى من النثر غير المواد الأدبية . فقام « ويب » و « روبرتس » « Webb & Roberts » مثلا

بدراسة حول الحب في الأغنيات ، ورغم هذا فإن تقنياتهما البحثية التي استخدماها ، قابلة للتطبيق بسهولة على الأشكال الأكثر أدبية . وقام « بالدوين Baldwin » بتطبيق « تحليل البنية الشخصية » الخاص الذي قدمه على دراسة الحالة الخاصة بشخصية واحدة ( خطاب من « جيني » ) . فقد قام بتدوين تكرار استخدام فئات معينة ( على سبيل المثال : المرأة باعتبارها غير محبوبة ، مكروهة ، غبية ) . وقد كشف التحليل الكمي ، اضافة الى التفسيرات الانطباعية لنفس المادة ، والتي استخدمت في مراجعة صدق وثبات البيانات ، عن الأهمية الخاصة لبعض الأفكار في تحديد شخصية الفرد . وقام « وايت White » في تحليله المسمى « تحليل القيمة Value Analysis » بفحص رواية معينة هي عبارة عن سيرة ذاتية ، وهي رواية « الصبي الأسود » لمؤلفها « ريتشارد رايت » وقام بتصنيف النثر الخاص بها في ضوء خمسين بعدا عريضا ( منها على سبيل المثال ، البعد الجسمي ، والبعد الاجتماعي ... الخ ) . وقد تم تقسيم كل بعد بعد ذلك الى موضوعات فرعية أكثر اختصارا ( مثل : العداوة ، تقبل الذات ... الخ ) ثم قام بعد ذلك بتطبيق تنظيمه الموضوعي الخاص على الانفعالات ، والشخصية ، والقيم الثقافية ، والموجودة في مادة النص الأدبي ، والتي افترض انها تعكس القيم الخاصة بالمؤلف . وقد اعترف « وايت » بشكل واقعي بأن الفئات النوعية لتحليل القيمة لديه ينبغي أن تتغير مع تغير المواد التي نقوم بتحليلها . واعترف ايضا بأنه على المرء ان يذهب الى ماوراء هذا النمط من التحليل ، ووصولا الى مصادر اخرى ، خاصة الدراسات الانطباعية ، من أجل فهم السياق الخاص بالنتائج الكمية . كذلك قام « دولاند » و « ميللر » « Dolland & Miller » ومن خلال تحليل مضمون مماثل لما قدمه « وايت » بتطوير مايسمى « نسبة التوتر ـ التنفيسي discomfort-relief quotient » والتي تقوم على أساس الاحصاء او العد وحساب النسب للأنماط المختلفة من الكلمات ، باعتبارها وسائل قياس كمية للتوتر ، ومن خلال البيانات الكيفية . ورغم أنهما طبقا هذا الاسلوب في دراسة حالة ، فإن هذا الاجراء ، من الممكن ان يكون صالحا أيضا في التعامل مع أية مادة خاصة بالسيرة الذاتية او اية وثائق شخصية اخرى .

## نقـــــــد :

من الأفضل أن نختتم هذه المراجعة لمزايا وفوائد تحليل المضمون ومايحمله من وعود ، بالتعرف على جوانب القصور الكامنة فيه ، وعيوبه ، وجوانب سوء استخدامه كأداة امبيريقية ، وهي أمور قد اعترف بها العديدون من المدافعين عنه . ان فائدة وصدق تحليل المضمون يعتمدان الى حد كبير على براعة الباحث ، وعلى وفرة المصادر المتاحة له ،

فهذا الباحث هو الذي يحدد الفئات ذات المعنى ، والتي سيتم وضع التكرار الخاص لجوانب محددة من النثر نقوم بحصرها فيها . فالاجراءات الخاصة بعملية الحصر او العد هي مجرد اجراءات مكتبية ، لكنها من الممكن ان تعطي احيانا مكانة تفوق غيرها من العمليات . ومن الأخطاء المتكررة هنا ان نقوم بعد ( حصر ) جوانب مختلفة من المادة لأجل عملية العد ذاتها ، دون وجود أى هدف خاص في الذهن ، على أمل أن نجد شيئا يستحق أن نقوم بعرضه :

« ان الاغراء الخاص بالقيام بعد الأشياء من اجل العد ( كما في حملات صيد السمك من أجل الصيد فقط ) مالم تتم مقاومته ، من المؤكد غالبا ان ينتج عنه نتائج دقيقة ، لكنها تكون بلا معنى أو تافهة ، أو بلا معنى وتافهة معا .

وهذا النوع من البحوث ينعكس بشكل سيىء على المنهج .

« فالتقدير المنخفض الذي ينظر من خلاله البعض الى تحليل المضمون تقدير مشتق إلى حد كبير من تكرار استخدامه في بحوث غير موجهة من خلال اعتبارات نظرية رحبة ، وغير منظمة من خلال تصميم بحثي خاص »[٢٥] . وقد أشار « ماكوبي » أيضا الى الضعف النظري الموجود في تحليل المضمون ، رغم انه قد قام بالاشادة ايضا بقوته كوسيلة للتعامل مع مجموعات كبيرة من كل انماط البيانات المكتوبة سعيا وراء تجريد أو استخلاص الجوانب المنتظمة والعامة الموجودة فيها : « تحليل المضمون ليس بديلا عن تطوير النظرية ، او اختيار الفروض . فالاسلوب ليس بديلا عن التنظير والتجريب الاستنباطي . على كل ، فإنه عندما نستخدم تحليل المضمون في مكانه المناسب ، وبالتعاون مع الأساليب البحثية الاخرى فإنه من الممكن أن يكون أداة هامة ومفيدة بدرجة كبيرة في بحوث التخاطب السلوكي »[٢٦] .

وقد اشار عديد من النقاد الى وجود جوانب نقص اخرى ، وكذلك بعض الجوانب التي تحتاج للجهد الشاق في تحليل المضمون ، ومن هؤلاء النقاد « كادوشين Kadishin » و « كراوسوير Kracauer » ، و « شوتز Schutz » و « ستيفنسن Stevenson » ، كذلك تحدث أخطاء منهجية في اختيار فئات التحليل ، وفي تسميتها وفي اختيار وحدة التحليل ، وكذلك توفير الضمانات الكافية لاجراءات ترميز البيانات Coding وفي مراجعة ثبات الاسلوب المتبع في حصر او عد هذه البيانات ، وكذلك في تحديد العناصر الممثلة لعينة المادة التي يتم فحصها . وتشتمل مشكلات تصورية اكثر عمومية أخرى على الوصول الى الفروض بعد ، وليس قبل جمع البيانات ( أى مايتعلق بالتفسير البعدي ، خاصة في حالة ماإذا المرء لا يعرف مقدما ما الذي ينبغي عليه أن يبحث عنه ) وايضا على المشكلات الخاصة بالحصول على بيانات تكون مجرد شكل مختزل او مختصر مكرر للمصدر الأصلي

للبيانات ، ولكونه كذلك فإنه يكون غير ملائم للتحليل . وكذلك على المشكلات الخاصة ببناء افتراضات على اساس مايطلق عليه اسم « الفئات الموضوعية » ، وأيضا خسارتنا للفروق الدقيقة بين الأشياء وفقداننا للسياق وللعناصر المرهفة القيمة والمعنى ، وذلك خلال قيامنا بعملية حصر التكرارات . وأيضا مايتعلق بعملية المقاومة للذهاب الى ماوراء احصاءات التكرار بحيث نقوم بالتفصيل الكيفي لها ، واخيرا مايتعلق بالقيام بطرح تحليلات غير نقدية ، وتعميمات غير محكمة ، من خلال النتائج التي نصل اليها .

على كل حال ، فإنه لابد وأن يتوفر للمرء منظوره الخاص الذي يتمسك به والذي يمكنه من الرد على هذه القائمة الطويلة من الانتقادات . فهناك مشكلات موجودة بالنسبة لكل انماط الاستدلال ، أيا كان الاسلوب المستخدم في جمع البيانات ، او البيانات تقوم بجمعها ، وقد نوه « دبيل Dibble » بهذه النقطة . وعلاوة على ذلك ، فإن الأساليب الصارمة ، وكذلك مصادر البيانات سهلة التناول من جانب علم النفس ( اى التي نحصل عليها من خلال دراستنا للحيوانات او للجوانب الفسيولوجية او للسلوك ) ليسا ـ هذه الأساليب والمصادر ـ خاليين من الأخطاء ومن عمليات سوء التطبيق . وكوننا نسلم بالأخطاء الخاصة بتحليل المضمون ليس معناه إنكار المشروعية الخاصة للنثر باعتباره مصدرا من مصادر البيانات ، ولا معناه أيضا عدم وجود امكانية للتغلب على عيوب هذا الإسلوب ، او التقليل من اخطائه . فتحليل المضمون هو اسلوب صعب ، وتصبح صعوبته اكثر عندما يطبق على مواد مرهفة كالأدب . « حيث تتطلب المتغيرات المثيرة للاهتمام ، لكنها المراوغة ، بالضرورة ، بحوثا تشتمل غالبا على مثابرة دؤوبة في بذل الجهد »[٢٧] . وقد تستحق هذه الجهود ماتعانيه خلالها من عنت ، إذا كانت محصلة تحليلنا للأدب قادرة على اثارة الاهتمام ، بدرجة مماثلة للاهتمام الذي يثيره المضمون الاصلي ( اى الأدب الذي نقوم بتحليله ) .

قام هذا الفصل بالاشارة الى ان هناك جسورا تصورية ومنهجية عديدة بين العلم والفن بين علم النفس والأدب . وفي الفصل التالي سنقوم بمناقشة الطرائق المختلفة التي يمكن للمضمون الأدبي أن يسهم من خلالها في علم النفس .

✲✲✲

# هوامش الفصل الرابع


1. S. Koch, "Psychological science versus the science-humannism antimony: Intimations of significant science of man," *American Psychologist* 16 (1961): 629-639.

2. R. Dreistadt, "An analysis of the use of analogies and metaphors in science," *Journal of Psychology* 68 (1968): 97-116

3. Goethe's role in science is also noted in chapter 5.

4. H. Gardner, "Problem solving in the arts and sciences," *Journal of Art Education* 5 (1971): 93-113.

5. Kock, 1961, p. 631.

6. R. G.Taylor, Jr. "Qualitative vs. quantitative methods in scientific research," *Human Potential* 1 (1968): 85-86.

7. In A. Koestler, *The act of creation* New York: Macmillan, 1964), p. 18.

8. J. Dewey, *Art as experience* (New York: Minton, Balch, 1934), p. 79.

9. Ibid., p. 84.

10. Ibid., pp. 104-105.

11. R. N. Wilson, "Literature, society, and personality," *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 10 (1952): 97.

12. Kock, "Psychology cannot be a coherent science," *Psychology Today* 3 (1969): 14-68.

13. C. C. Pratt, "Aesthetics," *Annual Review of Aesthetics* 12 (1961): 87.

14. B. J. Underwood, *Psychological Research* (New York: Appleton-Century-Crofts, 1957), p. 99.

15. A. C. Pereboom, "Some fundamental problems in experimental psychology: An overview," *Psychological Reports Monograph Supplement* 2-V, 28 (1971): 439-455. Quotes are from p. 446 and p. 453, respectively.

16. J. Deese, *Psychology as science and art* (New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1972), pp. 61-63.

17. Ibid., p. 23.

18. Ibid., p. 24.

19. Ibid.

20. Ibid. p. 1.

21. Ibid., p. 71.

22. O. R. Holsti, *Content analysis for the social sciences and humanities* (Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1969), pp. I-II

23. Ibid., pp. 32-33.

24. H. G. McCurdy, "Literature as a resource in personality study: Theory and methods," *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 8 (1949): 42-46.

25. Holsti, 1969, p. 41, respectively.

26. N. Maccoby, Review of *The analysis of communication content*, edited by G. Gerbner et al., *Contemporary Psychology* 15 (1970): 598-599.

27. Holsti, 1969, p. iv.

# الفصل الخامس

# دور الأدب في علم النفس

هناك جوانب متماثلة عديدة بين جذور وإجراءات وأهداف الفنون والعلوم بشكل عام ، وبين جذور وإجراءات وأهداف علم النفس بشكل خاص .

ومن بين الممكن تدعيم هذه الجوانب المشتركة بينهما من خلال تطبيق منهج امبيريقي في دراسة الأدب . وهناك روابط تصورية اخرى تقوم بالربط بين الأدب وعلم النفس وبين علم النفس والأدب رغم انه من الصعب فعلا الفصل بين المكونين الخاصين بهذه العلاقة . فالأدب يقدم لنا الحقائق وتحليلاتها ( كتفسير وشرح ، أو كفرض ) كما يقوم بتوضيح هذه الحقائق الأساسية ، والمهمة الأساسية لهذا الفصل هي مراجعة الأدوار التصورية المختلفة للأدب في علم النفس .

## الأدب كمقدم للأمثلة الموضحة :

ربما كان الدور الخاص بالأدب والذي يتمثل في كونه مقدما للأمثلة والنماذج الموضحة المختلفة هو الدور المعترف به بدرجة أكبر ، والوظيفة الأكثر تقبلا .

فقد استخدمت الأمثلة examples والتلميحات الأدبية الضمنية بشكل مكثف في المناقشات السيكولوجية الخاصة بالشخصية والخاصة بالعلاج النفسي . وتتمثل مثل هذه الاهتمامات السيكودينامية* في المنتخبات المختارة العديدة من المقتطفات الأدبية والقصص القصيرة والتي قام بجمعها « ليفيتاس Levitas » و « رابكن Rabkin » و « شرودز وآخرون Shrodes et al » و « ستون وستون Stone 9 Stone » . وقد اعتمد علماء النفس على الأمثلة الأدبية في نطاق واسع من الظواهر الأخرى : ويظهر ذلك في مناقشة « كوهن Cohen » للزمن الذاتي ، وفي معالجة « أشمون Ashmun » للانفعالات ، وفي تحليل « سبربر Sperber » للخداعات الادراكية delusions ، وكذلك في تصور « ماكوردي » الخاص حول الخيال والإبداع[1] .

( ويمكننا أن نجد موضوعات أخرى ، يمكن ان يلعب الأدب فيها دورا موضحا في السياق الخاص بالأدب باعتباره حقيقة ، وباعتباره تفسيرا ، وباعتباره فرضا ، وهو ماسنناقشه فيمابلي ) :

وقد استخدم الأدب كمقدم للأمثلة الموضحة ، وبالمعنى الأكثر تعليمية في المقررات الدراسية . وذلك في مستوى الجامعة والمدارس الثانوية ، وفي الموضوعات والمقررات

---

* اى الاهتمامات ذات الصلة بالجوانب المتسمة بالنشاط والفاعلية والتغير المستمر داخل الانسان ، ويستخدم مصطلح « دينامية » ودينامي ايضا للاشارة الى علم النفس الذي يهتم بالدافعية بشكل خاص ، وقد اطلق على النزعة الوظيفية لدى وودورث اسم « علم النفس الدينامي » كما ان نظريات التحليل النفسي لدى فرويد ويونج مثلا غالبا مايشار اليها باعتبارها نظريات « دينامية » ( المترجم ) .

الخاصة بالشخصية والدافعية ، وفي علم النفس العام ، وعلم النفس الارتقائي ، وعلم النفس الاجتماعي ، والطب النفسي ، وفي مقرر علم النفس ككل ، او بشكل عام[٢] .

وفي كل هذه المواقف التربوية كان هناك تحميل غير مباشر فقط ، على كل حال ، على الموضوع الخاص بالدراسة العلمية للأدب ، فقد كانت هذه المسألة تحتاج لبراهين أفضل على اهميتها . وقد عوملت الأسئلة الأدبية باعتبارها مصادر هامشية ( أو إضافية ) للمعلومات ، وتم توظيفها باعتبارها نوعا من المادة الخاصة ذات القيمة الواقعية المكملة ، وباعتبارها نوعا من المادة الخاصة ذات القيمة الواقعية المكملة ، وباعتبارها اختبارا حدسيا للفروض والافتراضات حول الطبيعة الانسانية ، وباعتبارها تجذب الانتباه وتثير الوعي من اجل تيسير عملية التعليم ، وكذلك باعتبارها توضح المقاربة ذات التوجه الانساني المتعاطف والفردي ، والفردية ( أى التي تهتم بدراسة الحالات الفردية ) نحو المعرفة . ان هدف الأدب هو تصوير الواقع كما نعيشه .. فعندما نجد أدبا جيدا يكون بمقدورنا مشاركة شخصياته حياتها »[٣] .

من الصعوبة بمكان الفصل بين دور الأدب كمقدم للأمثلة الموضحة وبين أدواره الأخرى كحقيقة وكفرض وكتفسير ، وذلك لأن هناك تضافرا عاليا يكون موجودا داخل السياق الأدبي . وحيث انه من الصعب القيام بفصل مضمون ما عن التحليل الذي يحدث بالنسبة له ، فان هناك غموض يوجد بين مايقدم باعتباره حقيقة ، ومايعرض باعتباره تفسيرا لهذه الحقيقة ، ان الوصف والتفسير في الادب هما من الأشياء شديدة الترابط بدرجة تجعل من الصعب الفصل بينهما .

وتوضح لنا تلك المجموعة المثيرة للاهتمام من المقتطفات الأدبية والتي قام « كانتريل وبومستيد Carril & Bumstedd » بتجميعها والتي استخدمت لتوضيح مجموعة عريضة من موضوعات علم النفس التقليدي ، ومن وجهة نظر تفاعلية* ، توضح لنا تلك الصعوبة في الفصل التصوري بين الوظائف المختلفة للأدب ، فهذه النظرية الادراكية ترجع بجذورها الفلسفية والسيكولوجية الى « ديوي » وإلى المدرسة الوظيفية في علم النفس ، وهي تعتمد

---

* تقوم هذه النظرية الخاصة حول الادراك على اساس الفكرة التي فحواها ان ماندركه يعتمد على المعرفة التي قمنا بجمعها من خبراتنا المتفاعلة مع البيئة . وهكذا ، فإن الإدراك انما ينتج عن افتراضات مكتسبة لكنها لا شعورية حول البيئة . ويتم تمثيل هذه الافتراضات الادراكية باعتبارها احتمالات للتفاعلات التي تحدث داخل هذه الافتراضات وقد استخدمت « غرفة ايمز » الشهيرة في تجارب عديدة لدى اصحاب هذه النظرية لتوضيح ان توقعات المرء قد تؤدي الى استنتاجات خاطئة .

وتشترك هذه النظرية مع المباديء الموجودة في نظرية « ايوجين برونشفيك » في جوانب عديدة ، اما فكرته الخاصة حول مايسمى « بالصدق الايكولوجي » فلم يتم الاستفادة منها في هذه النظرية بطريقة مناسبة باستثناء استفادة « جيبس جيبسون » الواضحة من هذا المفهوم ( المترجم ) .

على توقعات الانسان وافتراضاته المشتقة من خبراته الماضية ، من اجل تفسير الكيفية الخاصة التي يستخدم من خلالها الادراك بكفاءة لمواجهة مطالب البيئة . وقد استخدم المؤلفان أمثلة ادبية خاصة لتوضيح الفوائد الخاصة بنظرية سيكولوجية معينة وكذلك من اجل جعل علم النفس أكثر جاذبية بالنسبة للقراء . ولكنهما اقرا أيضا بأن أدوار الروائي والشاعر ، إنما تكمن في أنهما يضيفا بعض الحقائق إلى الحقائق الخاصة بالخبرة الانسانية :

« وهكذا فإن قصيدة ما ، أو لوحة ما أو صلاة ما ، ينبغي النظر إليها باعتبارها معلومة سيكولوجية مثلما يكون حالنا تماما عندما نقوم بوضع أساس ما لعتبة حسية في المعمل ، أو عندما نقوم بقياس معين لنسبة ما من نسب الذكاء »[٤] . وقد استخدم هذان المؤلفان النماذج الأدبية الموضحة كذلك كأساس للكشف التالي عن الحقائق ( كفروض ) وكذلك باعتبارها مصدرا من مصادر التفسير . وفي المجموعة التالية من التعليقات سنجد أن الوظائف المتنوعة للأدب ـ كمقدم للأمثلة الموضحة ـ وكوسيلة لجمع البيانات ، وكفرض ، وكتفسير ، قد تم الربط بينها بشكل كبير .

لقد قام هذان المؤلفان باقتفاء آثار مجموعة من النماذج الأدبية ، متعاملين خلال ذلك مع الطبيعة غير المتوازنة للدافعية ( اى مع الخصائص المتوترة المدفوعة ، وغير المتزنة فيها » ينشغل الانسان بعملية الوصول الى الأهداف اكثر من انشغاله بالأهداف ذاتها ، ويخدم تحقيق أحد الأهداف في الأساس باعتباره موضعا للقفز على الهدف التالي ، فالانسان يريد دوما التحسين المستمر ، باعتباره يتوقع المستقبل دوما ، وسيقوم الانسان متعمدا بتعريض راحته الخاصة للخطر ، إن دافعية الانسان هي نضال دائم بين القوى المتصارعة ، بين الرغبة في الحفاظ على عالم يتسم بكونه مطمئنا وآمنا ومن الممكن ادراك ماسيحدث فيه ، وبين الرهبة الخاصة بالامتلاك الكامل له . واخيرا ، فان الانسان هو دوما ذلك الكائن غير القانع او المستريح ، فما يريده لا يمكن التعبير عنه بشكل واضح ، ولا يمكن الوصول اليه بشكل تام[٥] .

## الأدب كحقيقة :

بينما لم يقم بعض المؤلفين بوضع تمييزات واضحة بين الأدوار المختلفة للأدب في علم النفس ، فقد كان مؤلفون آخرون أكثر جرأة من خلال قيامهم بالفصل بين هذه الأدوار . وقد أكد « تيجارتي » بشكل عام أن الأدب يساهم في المجال الكلي الخاص بعلم النفس .

« وهل الأدب في حقيقته الا تسجيلا للسلوك الانساني ؟ وهذا هو نفسه أيضا التعريف الذي يعطي لنا في بداية مقررات عديدة تقوم بتدريس مادة « علم النفس » ، ومن هذه الوجهة من النظر ، فإن علم النفس ، والأدب ، والتاريخ ، هم يقينا أخوة من حيث الدم ، مالم يكونوا فعلا ثلاثي مشترك عضويا ، ونحن نفسر الأدب الحديث .. باعتباره محاولة للوصول الى الحقائق التي يمكنها ان تلقى الضوء على السلوك الانساني ، وأنه ، كنشاط جاد ، ينبغى عليه الا يزيف ، أو يحرف ، أو يتجاهل العناصر الحيوية »(٦) .

لقد تم ربط الامكانيات الحقيقية للأدب بموضوعات معينة . فقد أظهر « بتلر Butler » مثلا ان الأوصاف المختلفة للشيخوخة ، والتي قدمها عديد من المؤلفين بدءا من « جوته » وحتى « منكن H. L. Mebchen » تعكس تقييمات ايجابية للسن الكبير خلال مايسمى بسنوات الاضمحلال أو الذبول . واستخلص « بلانك Plank » ـ بشكل أقل تأثيرا ـ الدوافع الخاصة بالسفر الى الفضاء ( أومايسمى احيانا بغزو الفضاء ) من بعض الأعمال الأدبية ـ بما فيها الخيال العلمي وأدب الأطفال ـ إضافة الى مصادر غير ادبية اخرى عديدة . وقام « روس Ross » و « ويات B. N. Wyatt » و « ديفيد ـ شوارز David-Schwazz » بدراسة وجهات النظر المختلفة للقيم الانسانية في الروايات الفلسفية التي كتبها روائيون مثل « توماس مان » ، و « سارتر » ، و « كامى » ، و « ابدايك » ، و « هارتمان » ، وقاموا بتفسير هذه الرؤى باعتبارها تعبيرات وصفية صادقة ( أى باعتبارها تصف الانسان كأخلاقي ـ أو غير أخلاقي ، يبحث عن النظام ، ويحتاج للعدالة ، ويبحث عن الهوية ، في صراعه مع النزعات المثالية ) .

قام كتاب عديدون بمناقشة الاسهام الخاص بالحقائق من قبل الأدب ، في موضوعات متنوعة من موضوعات علم النفس ، ومن بين هؤلاء نجد « هول Hall » الذي أورد التعبير التالي حول الادراك :

« على عكس الاعتقاد الشائع لدى العديد من علماء النفس وعلماء الاجتماع ذوي الميول التجريبية ، تمثل نتاجات الفنانين والكتاب قواعد ثرية لم يتم الانتباه اليها ، وبيانات أساسية حول كيفية قيام الانسان بالادراك . ان تنقية وتحديد المتغيرات الأساسية في الخبرة هو جوهر حرفة الفنان »(٧) .

وقام « هول » أيضا بالربط بين المعلومات التي نستقيها من الأدب ، وبين إدراكنا للمكان الذاتي ، أى مايخفي تفضيلنا للمسافات بين الناس ، وهي التي تختلف مع تغير العلاقات ، وقد قام « هول » أيضا ، وفيما يتعلق بالمسافة الذاتية ، بفحص دور الحواس كما عبر عنها الأدب في المجتمعات المختلفة :

« اذا قام المرء بفحص الأدب من حيث البنية ، وليس من حيث المضمون ، فقد يمكنه ان يكتشف اشياء ستلقى الضوء على الاتجاهات والتحولات التاريخية المختلفة في استخدامنا لحواسنا [ كموضوعات للاهتمام ] فهذه التحولات تتناسب بدرجة كبيرة مع نمط البيئة التي يجدها الانسان أكثر ملاءمة ، في عصور مختلفة ، وبالنسبة لثقافات مختلفة »[٨] .

ووفقا لما قاله « باربو Barbus » ، فإن الإدراكات المختلفة للبيئة الاجتماعية قد تجلت أيضا في الموضوعات الرئيسية المتكررة ، وفي الاتجاهات ، وفي الصور الخاصة الشائعة في الشعر والمسرحيات ، وفي غيرهما من النتاجات الجمالية للماضي .

لقد قدم الأدب أيضا حقائق مفيدة لنظرية الانتباه . فقد ناقش « بلات » الكيفية التي يؤثر بها تركيب المنبه الخاص بالشعر ــ وكذلك الموسيقى والفن التشكيلي ــ على نشاط الانتباه . فالشعر يثير توقعا ما ، يؤدي إلى دهشة تكون بدورها مكتملة وسارة عندما يتم اشباع التوقع . وأشار « برلين » أيضا الى جوانب مختلفة خاصة بالشعر ، مثل طول الجملة والأصوات ، كما أشار إلى الرواية البوليسية وإلى الأدب القصصي بشكل عام ، وذلك من خلال مصطلحات الاستثارة واشباعها وهي مصطلحات تشبه المصطلحات التي استخدمها « بلات » : فعملية تكوين التوقعات والاحباطات تعمل على استثارة حالة الفضول أو حب الاستطلاع ، ثم يتم اشباع هذه الحالات من خلال طرائق مثيرة للدهشة وغير مألوفة »[٩] .

هناك خصائص أخرى مميزة للمنبه في الأدب كانت لها صلاحيتها بالنسبة للعمليات المعرفية ، ويشتمل ذلك على تحليل « لي Lee » لبنية الجمل ( أى التركيب ، والأفعال والأزمنة ) في علاقتها بأسلوب المؤلف ، وكذلك مناقشة « داوني » لأهمية الصور العقلية التي تستثيرها الصور الأدبية خلال الكلام . ومن بين هذه الوحدات المختلفة من التعبير الأدبي التي لها دلالاتها السيكولوجية المتضمنة ، اعتبر موضوع الصور العقلية موضوعا حاسما بشكل خاص في فهم التفكير والخيال والابداع لدى الفنان . ومن ثم فقد تمت المراجعة والمقارنة بين الأنماط المختلفة من الصور العقلية في أعمال العديد من المؤلفين وفي سيرتهم الذاتية بشكل مكثف ، وقام بذلك مؤلفون أمثال : « بارتليت Bartlett » و« فريدمان Freedman » و « لندور » و « ماكيلر McKeller »[١٠] . وكذلك قام « شورر Scharer » بفحص الشكل الأدبي المرتبط بالصور العقلية ، وبالمجاز والاستعارة في روايات « جين اوستن » ، و « أميلي برونتي » ، و « جورج ايليوت » ، بهدف المقارنة بين المؤلفين وبين أعمالهم ، ومن أجل تقديم معلومات عامة حول طبيعة اللغة المجازية . كذلك فإن « بوش Buch » قد استخدم الصور الخاصة المستخدمة في الكلام باعتبارها اساسا لتحليل عمليات التفكير وتكوين المفهوم .

لا يساهم العمل الأدبي فقط في حصيلة علم النفس المتعلقة بالحقائق ، لكنه يقدم أيضا معلومات حول قارئه ، فقد أشار « ويلسون » الى ان المعرفة بالقراءة الخاصة لأحد الأفراد من الممكن أن تعكس معرفة بشخصيته[١١] . وعالج « وابلز Waples » الموضوع العريض الخاص بالتأثيرات الاجتماعية للقراءة وقد يؤثر الأدب أيضا ، بطبيعة الحال ، على الفرد بطريقة شخصية . فقد دافع علماء نفس يختلفون في اهتماماتهم ، مثل « موراى Hi Murray » في مجال الشخصية ، و « ولمان Wolman » في مجال علم النفس الاكلينيكي ، و« هب Hebb » في مجال « علم نفس الأعصاب Neuro Psychology » عن المكانة الخاصة المؤثرة للأدب على نموهم المهني وعلى نمو تفكيرهم[١٢] وأشار « تيجارتن » أيضا إلى أن الأدب يمكنه أن يكشف تحيزات القراء وأنماطهم الجامدة في التفكير .

يشترك علم النفس والأدب ايضا في اهتمامهما بموضوع آخر هو الابداع ( انظر ايضا في الفصل السابع ) فهذا الموضوع يمكنه أيضا ان يقدم لنا حصيلة من الحقائق المفيدة لعلم النفس . وقد قام « جاكوب Jacob » بدراسة مسحية قام خلالها بشكل عام بفحص علاقة الابداع بالعمليات السوية وكذلك وظائفها المتميزة لدى الأنماط المختلفة من المبدعين ( على سبيل المثال لدى الفنانين في مقابل العلماء ) ويشتمل كتاب « هدسون Hudson » المسمى « Contary Imaginations » أو « أنماط الخيال المتقابلة » على مناقشة للتراجم الذاتية الخاصة بالمبدعين ( مثل الفنان التشكيلي « تيرنر » ، والشاعر « ريلكة » ، وكذلك « كبلر » و « داروين » من العلماء ) وقد قصد من هذه المناقشة فحص التنوع الذي يعبر من خلاله الذكاء الابداعي عن نفسه .

## الأدب كتحليل

يعتقد الكثيرون أن الأدب هو مصدر للتفسيرات ، والفروض ، والنظريات السيكولوجية الصادقة . فقد أكد « فيربلانك Verplank » أن الروائيين وكتاب المسرح « يقومون بمهمة جيدة بشكل جدير بالملاحظة ، تتمثل في أنهم يعطوننا تفسيرات معقولة للسلوك ، وغالبا مايتم ذلك من خلال مصطلحات تبدو وثيقة الصلة تماما بهذا السلوك »[١٣] .

وقد اشار « برلين » الى ان التطورات الخاصة التي طرات على دراستنا للظواهر الجمالية قد قدمت لنا عددا لا حصر له من الفروض الواعدة والخاصة بالنظريات والمتغيرات التي ينبغي ان يقوم المجرب بتناولها ... ان الفهم الكامل للابداع الفني وللتذوق الفني

لابد ـ يقينا ـ من أن يلقي الضوء على مبادىء علم النفس ( وخاصة مايتعلق منها بالدافعية ) التي تقف خلف السلوك عموما ولكنها تكون رغم ذلك أقل قابلية للبحث .[١٤] .

وقد زعم « برونر وتاجوري Bruner & Taguiri » خلال كتابتهما عن الإدراك الاجتماعي ، وعن التعرف على الانفعالات ، ان الشعراء وكتاب الدراما ، رغم كونهم ليسوا من علماء النفس ، فإنهم مع ذلك لديهم معرفة متخصصة حول الإنسان ، وانهم يمكنهم أن يساهموا بهذه المعرفة في علم النفس رغم الصعوبات المتضمنة .[١٥]

## اسنباق الأدب للحقائق والتحليل

أبدت الأدوار التي سبق أن اضطلع بها الأدب وانجزها وجود تلك الإمكانية الخاصة به فيما يتعلق بوجود الحقيقة فيه ، او فيما يتعلق بقيامه بالتحليل ايضا . لقد استبق الأدب الكثير من الموضوعات التي أصبحت جوانب اساسية في علم النفس المعاصر . ومع التسليم بدور الأدب الفعال في حياتنا المعاصرة ، فإنه يستطيع أيضا ان يتوقع تلك الحقائق والتفسيرات التي لم يستطع علم النفس المعاصر الامساك بها بشكل مناسب حتى الآن . ربما بسبب كونها متضمنة لقضايا شديدة الصعوبة وشديدة الاتساع او التعقيد . ورغم أن الأدب من الممكن الا يكون في ذاته حقيقة ، ولا تفسيرا ، فانه يكون في امكانه ان يقدم لنا فروضا تصبح بدورها شديدة النشاط ودافعة نحو المزيد من البحث والاستقصاء .

« يستطيع الأدب أن يتحرى باحثا في الطبيعة الداخلية لانماط المعرفة غير المصاغة بشكل جيد حتى الآن ، ومن ثم يمكننا أن نعرف ماإذا كانت آفاق وتصورات العلم قابلة للامتداد كي تشتمل على تلك المنطقة من المعرفة التي يزعم أنها « قبل علمية » أم لا[١٦] .

لقد أصبحت المجالات والموضوعات التي طالما استثارت اهتمام الأدب مهيمنة على اهتمامات علم النفس العلمي المعاصر ، ومن هذه المجالات والموضوعات على سبيل المثال لا الحصر : الخبرات الحسية ، والانفعالات بكل انواعها ، والخيال ، وأحلام اليقظة ، والأحلام الليلية ، والصور العقلية ، وارتقاء الشخصية ، والتعلم ، والقيادة ، والعلاقات الاجتماعية والشخصية ، والصراع[١٧] . ويفسر هذا الاهتمام المبكر تلك المزاعم التي نسمعها دائما والتي تقوم أن « العهد القديم والعهد الجديد » أو « شكسبير » قد قاموا بتوقع واستباق الكثير مما جاء في علم النفس بعد ذلك[١٨] .

لقد اشتهر الكُتاب دائما من خلال أوصافهم وتفسيراتهم شديدة الذكاء خاصة للقوى النفسية الشخصية المتحركة وكذلك للمواقف الاجتماعية :

« فليس من قبيل المصادفة أن أصبح بعض اكثر الروائيين شهرة وتميزا أمثال

« هنري جيمس » ، و« مارسيل بروست »* و «فورد مادوكس فورد »**، و «جوستاف فلوبير »*** ، و « توماس مان »**** ، و « اي . ام . فورستر »***** ، و « كونراد أيكن »****** وسكوت فيتز جرالد »******* ، وبشكل مستمر ، بل حتى بطريقة مستحوزة عليهم شديدي الانشغال بفكرة التناغم والتهكم وكذلك بالأمثلة المختلفة الممثلة لتراجيديا الخبرة الانسانية(١٩) . وإضافة إلى ذلك ، فإن « دريستات » قد تمسك بأن التنبؤات الحدسية التي قدمها « جول فين »******** ، و « هـ . ج . ويلز »********* ، وكذلك ـ إلى حد ما ـ الأدب الكلاسيكي لدى الاغريق وفي عصر النهضة ، قد استبقت معرفتنا بالقدرات والإدراكات الفذة للعباقرة »(٢٠) .

يوجد مدى كبير للأمثلة الخاصة من المؤلفين الذين توقعوا أو استنبطوا موضوعات معينة تالية في علم النفس الاجتماعي . فهناك قصة قصيرة كتبها « شروود اندرسون »********** بعنوان « Seeds (The Triumph of an Egg) » قد استبقت وفقا لما قاله « كوهن » في كتابه « علم النفس الانساني « Humanistic Psychology » تصورات « كيرت ليفين » عن حيز الحياة الشخصي The Personal life-space بما يشتمل عليه من حدود ومناطق وخواص أخرى . كذلك فقد استخدم « هول E.T.Hall » مادة تتعامل مع البيئة الذاتية اعتمد فيها على مسرحية « الملك لير » « لشكسبير » ، وكذلك على أعمال أخرى مثل

---

* . مارسيل بروست . ( ١٨٧١ ـ ١٩٢٢ ) . روائي فرنسي . يعتبر احد ابرز ممثلي الرواية النفسية . اشهر اعماله البحث عن الزمن المفقود ( المترجم ) .

** . فورد مادوكس فورد . ( ١٨٨٣ ـ ١٩٣٩ ) . روائي وناقد وناشر انجليزي له تاثيره الواضح على الأدب الأمريكي في القرن العشرين . ( المترجم ) .

*** . جوستاف فلوبير . ( ١٨٢١ ـ ١٨٨٠ ) : روائي فرنسي ، يعتبره بعض النقاد رائد الواقعية في الأدب الحديث ، من اشهر اعماله . مدام بوفاري . ( المترجم ) .

**** . توماس مان . ( ١٩٠٥ ـ ١٩٥٥ ) . كاتب وروائي الماني شهير . من اشهر اعماله . دكتور فاوستوس . ( المترجم ) .

***** . ادوار مورجان فورستر . ( ١٨٧٩ ـ ١٩٧٠ ) : روائي وناقد انجليزي ، تحفل كتاباته بالنقد الاجتماعي والسياسي ( المترجم ) .

****** . كونراد ايكن . ( ١٨٨٩ ـ ١٩٧٣ ) : شاعر وكاتب قصة قصيرة وروائي وناقد امريكي ، تاثرت اعماله بدرجة واضحة بالنظريات المبكرة في التحليل النفسي ( فرويد ويونج مثلا ) . كان مهتما بدرجة كبيرة بحاجة الانسان الى الوعي . خاصة وعيه بذاته ( المترجم ) .

******* . فرنسيس سكوت فيتزجرالد . ( ١٨٩٦ ـ ١٩٤٠ ) : كاتب قصة امريكي مشهور ، يعتبر من ابرز ممثلي . الجيل الضائع . من اشهر اعماله . جاتسبي العظيم . ( المترجم ) .

******** . جون فين . ( ١٨٢٨ ـ ١٩٠٥ ) . كاتب فرنسي اشتهر بتاليف الروايات العلمية ( المترجم ) .

********* . هربرت جورج ولز . ( ١٨٦٦ ـ ١٩٤٠ ) . روائي ومؤلف انجليزي ـ يعتبر من ابرز ممثلي الرواية العلمية او الخيال العلمي ( المترجم ) .

********** . شروود اندرسون . ( ١٨٧٦ ـ ١٩٤١ ) كاتب امريكي يعتبر من رواد القصة القصيرة في العالم ( المترجم ) .

« Walden لثورو »* و « The way of all Flesh لبتلر » وكذلك كتابات « مارك توين » و « كافكا » والعديد من المؤلفين الفرنسيين واليابانيين ، وذلك من أجل توضيح تلك الطرائق المختلفة التي يتم إدراك البيئة المكانية من خلالها ( تشير البيئة الذاتية إلى المعنى السيكولوجي للمسافات بين الناس ، وكذلك إلى الكيفية التي تتباين من خلالها هذه المسافات وتتغير عبر الزمن وبين الثقافات » .

وقد أشار « دوفورت Dufort » الى ان الروايات التي كتبت حول المجتمعات المثالية أو الفاضلة ( اليوتوبيا ) قد قامت على أساس افتراضات وأساليب خاصة بالتحكم السلوكي سبقت زمنيا مايوجد من هذه الافتراضات والأساليب في علم النفس المعاصر . بل ان رواية « مايلني Milne »** المسماة : «Winne-the-pooh» بوصفها لمنطق ولغة وتحليلات الطفل قد توقعت واستبقت مجموعة كبيرة من المفاهيم التي قدمها عالم النفس الارتقائي البارز « بياجيه » ومن أمثلة ذلك مفاهيم : « التمركز حول الذات » ، و « اختلاط الزمن » ، والنزعة الاحيائية*** Animism ورمزية اللعب Playful Symbolism والعدالة الذاتية Immenant justice والاصطناعية ، والواقعية ، والمركزة Centring**** والتوافق ، والمنطق قبل الاجرائي*****، والمحافظة ، والمونولوج الجمعي Collective Monologue .(٣١) ورغم أن « ميلاني » قد أقام كتابه على أسس من الملاحظة والحدس ، وليس من خلال الدراسة المنظمة ، فإنه قد تماثل بدرجة قريبة وواضحة تماما مع نظرية « بياجيه » حول أطوار النمو المتدرجة لدى الطفل ، وحول كذلك مايتعلق بالخصائص المتغيرة في هذه الأطوار .

وقد وجد « ماكينون » و « جاسترو » أن الصور الشخصية الموجزة للشخصيات والتي رسمها أدب وصف الشخصيات في بلاد الاغريق القديمة ( على سبيل المثال شخصية المنافق ، وشخصية الأحمق ، وشخصية المرأة الفاضلة العفيفة ) هي صور مفيدة ومقبولة عالميا ، كما انها قابلة للتعرف عليها باعتبارها بمثابة الأوصاف لأنماط

---

* « هنري ثورو » ( ١٨١٧ ـ ١٨٦٢ ) كاتب وشاعر امريكي ، عرف بمقاومته الشديدة للاسترقاق والاستعمار ( المترجم ) .

** « الان الكسندر ميلاني » ( ١٨٨٢ ـ ١٩٥٦ ) كاتب مسرحي انجليزي ساخر ، ابتكر بعض الشخصيات المشهورة في أدب الأطفال والعابهم في الغرب ( المترجم ) .

*** وهي النزعة الموجودة لدى الاطفال والبدائيين والفنانين والتي تميل الى اضفاء وخلع صفات الكائنات الحية على الاشياء الجامدة غير الحية وايضا إلى إضفاء صفات آدمية على الظواهر الطبيعية المختلفة ( المترجم ) .

**** هي من الخصائص المميزة لتفكير الطفل في مرحلة ماقبل العمليات ( في العمر من ٢ ـ ٧ سنوات ) لدى بياجيه وفيها يقوم الطفل بالانتباه لبعد واحد او جانب واحد من جوانب المشكلة في وقت معين دون الجوانب الأخرى ( المترجم ) .

***** يقصد بالمنطق قبل الاجرائي لدى بياجيه تلك الجوانب من التفكير التي تميز طريقة نشاط عقل الطفل قبل سن سبع سنوات ومن هذه الجوانب مثلا : التمركز حول الذات والعيانية وعدم القدرة على التفكير المنطقي المجرد وغير ذلك من الخصائص ( المترجم ) .

الشخصية الانسانية ، ومن ثم يكشف لنا ذلك عن الاستمرارية الخاصة أو الثبات الخاص للطبيعة الانسانية عبر عشرين قرنا[٢٢] . وقد فضلت هذه المناحي في وصف الشخصيات وجهة النظر الخاصة حول الانسان والتي تؤكد وجود هيمنة لعدد قليل من السمات التي تكشف عن نفسها من خلال ظهورها البارز من خلال طرائق عديدة .

قام أدباء آخرون من المساهمين في مجال طريقة وصف الشخصيات بطرح تصورات وتصنيفات أخرى حول الشخصية ، ولم يتم هذا من خلال التأكيد على ثبات طابع الشخصية ، ولا من خلال القول بهيمنة سمة واحدة من السمات على الشخصية ، ولكن من خلال تأكيدهم على اتفاق عدة سمات مختلفة ووجودها معا في نفس الوقت ، او من خلال تأكيدهم بوجود فرادة او تفرد خاص للسمات الانسانية .

لقد قام « روباك » بالمراجعة الشاملة للاسهامات المتراكمة التي قدمتها الطريقة الأدبية في وصف الشخصية لنظرية الشخصية ، وبدءا من جذور هذه الطريقة المبكرة ، وحتى اضمحلالها في القرن التاسع عشر ، وهو القرن الذي أصبحت فيه الموهبة والاسلوب اكثر اهمية من الدقة والاتفاق العالمي[٢٣] . وبالإضافة إلى اساليب تقليدية أخرى ، قام « روباك » بوضع طريقة « وصف الشخصيات الأدبية » ضمن مقاربات عديدة هامة ومشروعة في دراسة الشخصية . إن الصور الوصفية الأدبية للشخصية هي طريق متقاطع بين الملاحظة المباشرة والخيال ، وقد تم التوحيد بينهما من خلال اسلوب التفسير .. ان الفهم للفرد او النمط له الأهمية العظمى هنا ، كما ان الامساك بالجوهريات هو الذي سيحدد طبيعة وتقسيم أنماط الفئات المختلفة من الشخصيات البشرية .

ان التفسيرات القائمة على اساس الملاحظات والحدس والتي تتعلق بالشخصيات الأدبية ، قد يكون لها مكانتها الخاصة ، مقارنة بنتائج الأساليب الأخرى وذلك بسبب اتساقها التاريخي :

« لقد قام رجال الأدب في كل العصور والقرون بالتفكير مليا في الشخصية الانسانية ، وفي التمايزات بين أنماطها المختلفة .. ومن الممكن أن تقدم نتائج تأملاتهم هذه موطيء قدم للبحوث التالية[٢٥] .

واستخدم « روباك » الأمثال الشعبية و « الابيجرامات Epigrams »* أيضا في هذا الشأن وقام بالتمييز بينهما كمايلي :

---

* « الابيجرامية » هي قصيدة قصيرة مختتمة بفكرة بارعة او ساخرة ، او هي حكمة معبرة عن فكرة ما بطريقة بارعة او موهمة للتناقض ، وقد كتب الناقد والشاعر المصري الدكتور عز الدين اسماعيل الكثير من هذه « الابيجرامات » ( المترجم ) .

« الأمثال هي تعبيرات أكثر مباشرة خاصة بالناس العاديين ، اما الحكم والتأملات فهي أقل تلقائية ، كما أنها قد صدرت عن عقول أكثر تميزا بدرجة أو بأخرى . إنها ـ أى الحكم والتأملات ـ أكثر براعة وغالبا ماتكون متقنة محكمة وأكثر تفصيلا ، وقد تم التعبير عنها بشكل أكثر فنية ، لكنها ليست بالضرورة أقرب الى الحقيقة من الأقوال المأثورة التي تشيع بين العامة[٢٦] .

يعالج « روباك » القصص الخرافية ايضا ، كما يعالج التعبيرات المأخوذة من التلمود ، والتراجم الذاتية ، والأدب القصصي بشكل عام ، وذلك رغم أنه قام بالتمييز بين الرواية وبين غيرها من أشكال الكتابة قائلا :

« الأدب القصصي يتماثل مع غيره من الأشكال ، لكن نسبة المكون الخيالي فيه أكثر مقارنة بالمكون الخاص بالملاحظة المباشرة ، وعلاوة على ذلك ، فإن النمط الخاص من الشخصيات فيه يكون خاصا او فرديا بدرجة واضحة . والحقيقة هي ان الشخصيات العظيمة في القصة لا يمكن أن نجدها في الواقع . إن مانأمله فقط هو أن نكتشف شخصيات مقاربة لها . وهناك آلاف الشخصيات التي تم رسمها بشكل محكم في الأدب ، ومع ذلك فليس من الممكن القول بأنها تمثل فئات مختلفة من البشر »[٢٧]

من بين المؤلفين الذين سبق اتكاؤهم على التحليل السيكولوجي الدراسة السيكولوجية الموضوعية ، نجد الأديب الفرنسي « مارسيل بروست » والذي قام عديد من الباحثين أمثال « بلوندل Blondel » ، و « بايكوفسكي Bychawski » ، و « هايدر Heider » ، و « ويكفيلد Wakefield » بتوجيه الاهتمام اليه . وقد قاموا بمناقشة عمله ، ومن خلال الإحالة والرجوع إلى علم نفس الصور العقلية ، والذاكرة ، والبيئة السيكولوجية الذاتية ، وكذلك ـ وبشكل أكثر اتساعا ، من خلال تصورما ، حول العلاقات المتبادلة بين الفن والأدب . وقد لاحظ « سفارتز Swartz » أنه بالرغم من أن « بروست » هو « ذاتي متسامي a sublimine subjectivist » فإنه قد توقع واستبق التأكيد على الآثار المدعمة لخفض القلق ، وهو مفهوم محوري في السلوكية ، التي هي بمثابة الخصم العنيد المناوىء للنزعة الذاتية . وقد أشار « سفارتز » مطريا بُعد نظر « بروست » ( وبعد نظر غيره من المؤلفين عموما ) فقال :

« هناك جوانب كثيرة من الاتفاق بين التعبيرات الأدبية المبكرة ، والتعبيرات العلمية المتأخرة . وقد كانت الكتابات المبكرة بمثابة التوقع والاستباق للكتابات المتأخرة ... و « بروست » .. هو بمثابة التلخيص لمواقف عدد لا حصر له من الفنانين . ان علم [ علم النفس ] لا يرجع في ارتقائه الى تاريخ بعيد بحيث يمكنه ان يبتعد ولا يستفيد من [ هذه الاسهامات ][٢٨] .

قام « ماكليلاند » بدراسة حياة « جيد »* وأعماله باعتبارها تعبر عن الشخصية القومية الفرنسية ، وكذلك عن القيم الثقافية الخاصة بهذه الشخصية[٣٩] . كذلك تم التنويه « بدستوفيسكي » بسبب معرفته السيكولوجية الكبيرة. وقد قام « سيمونوف » ، و « فيرنانديز » Simonav & Fernandez بمراجعة نظرياته الخاصة حول الدافعية ، وحول الطبيعة الاجتماعية للانسان . ومن بين المؤلفين المشهورين شعبيا ،أشار « تروزي، وموريس Truzzi & Morris » إلى أن « أرثر كونان دويل » ، ومن خلال شخصيته الأدبية « شرلوك هولمز » ، قد قام بتطبيق المنهج العلمي على بعض المشكلات في السياق الاجتماعي .

هناك مؤلف آخر كتب أعماله وكأنه عالم نفس هو الشاعر « كولردج » والذي حظى بقدر كبير من الاهتمام . وقد حاجج « كان Kehn » قائلا بأن « كولردج » قد استبق قائمة طويلة من النظريات السيكولوجية الحالية ، ومنها مثلا التصورات التحليلية النفسية حول الأحلام والجنون ، ونظرية « جيمس ـ لانج » حول الانفعالات** وعلم نفس الجشطلت . ولاحظ « كايت Keith » ان علم النفس البسيطلدى « فيرجيل »*** والذي يدور حول المشاعر والانفعالات والاتجاهات والسلوك ، وكما عبر عنه في وصفه لشخصياته ، هو علم نفس دقيق في ضوء المصطلحات المعاصرة .

وأظهر « رسل F. T. Russell » كذلك أن طبيعة الانفعالات وأنماطها وأهدافها وخصائصها المميزة في شعر « براوننج »**** هي أمور تتسق مع وجهات النظر العلمية . ووجد « مايرسون Meyerson » أن هناك تصورات شخصية مختلفة حول الانسان قد استبقت التحليل السيكولوجي الموضوعي وذلك في كتابات تعود في تاريخها الى بدايات القرن التاسع عشر .

---

* اندريه جيد ( ١٨٦٩ ـ ١٩٥١ ) كاتب وناقد فرنسي ، حصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٤٧م ( المترجم ) .

** تقرر هذه النظرية التي اقترحها عالم النفس والفيلسوف الأمريكي « وليم جيمس » ، وعالم الفسيولوجيا الدينمركي « لانج » ان تغيراتنا الجسمية تتبع مباشرة ادراكنا للحقيقة المثيرة للخوف ، وان شعورنا بهذه التغيرات الحادثة هو مانسميه بالانفعال . اى اننا ، مثلا ، نرى مصدر الخطر ( ادراك ) فنجرى وتستثار اجهزتنا الجسمية ( تغيرات داخلية ) فنخاف ( انفعال ) . إذا فنحن نخاف لاننا نجري ، ولا نجري ـ كما هو شائع ـ لاننا نخاف . ولم يركز « لانج » خاصة على جانب الادراك كما فعل « جيمس » . وقد وجهت انتقادات شديدة للنظرية خاصة على يد « وولتر كانون » . ( المترجم ) .

*** فيرجيل ( ٧٠ ـ ١٩ ق . م ) اكبر شعراء الرومان ، صاحب ملحمة « الاينادة » . ( المترجم ) .

**** روبرت براوننج ( ١٨١٢ ـ ١٨٨٩ ) شاعر انجليزي ، يتميز شعره بالرقة والتعاطف مع البائسين ( المترجم ) .

قام « ماردرشتاين Marderstain » بطرح فكرة فحواها ان الكتابات الروسية الكلاسيكية ، وكذلك الكتابات السوفييتية الحديثة ، كلاهما قد استبقت تصور « بافلوف » حول وظائف المخ ، كما وجدت فيها أيضا ارهاصات مبكرة لمعالجة المدرسة السلوكية في علم النفس مع النوم والأحلام والمخدرات . وعلى نحو مماثل ، أشار « برنجمان Bringmann » وزملاؤه الى وجود اشارات معينة الى العلاج النفسي التشريطي ( أو السلوكي ) في السيرة الذاتية لـ « جوته » ، وقد استخدمها جوته بطريقة واضحة الاتفاق مع البحوث والتفكير المعاصر ، خاصة مايتعلق منها بتخليصه لنفسه من الأعراض العصابية . وقد نظر « داينر Diener » و« مورينو Marena » الى مناقشة « جوته » للدراما كعلاج ، باعتبارها بمثابة التوقع او الاستباق للتطورات اللاحقة في السيكودراما* ( وقد وضع العديد من كتاب المسرح مثل هذا الاستخدام في أعمالهم أيضا كما تمثل ذلك لدى « شكسبير » في « هاملت » والتي نجد فيها مسرحية داخل المسرحية ) كذلك قام « براون » بمراجعة اسهامات أخرى لـ « جوته » مثل نظريته حول اللون . وناقش « هارمز Harmes » التحدي الذي طرحه عالم الفسيولوجيا « هيلهولتز » أمام هذه النظرية .

قام « سكارد Skard » بمراجعة العديد من الطرائق التي تم استخدام اللون فيها لإحداث تأثير سيكولوجي ، في فترات عديدة من تاريخ الأدب وخاصة في الأوقات السابقة على دراسة علم النفس له . فهناك ، على سبيل المثال الاستخدام المتسع والبارع لمفردات اللون لدى « ميلتون » . كذلك قام « ابراهام » بدراسة مثيرة للاهتمام في هذا الشأن على سلسلة روايات « بلزاك » المسماة « الكوميديا الانسانية » ، فأوصاف « بلزاك » لألوان العين والشعر الخاصة بحوالي ألفين من البشر في مقاطع مزدحمة بالناس تختلف عن التوزيعات التي تم تقديرها بالنسبة لهذه الأوصاف لدى الجمهور الفرنسي الفعلي . وقد فسر « ابراهام » هذا التفاوت على انه يشتمل على هدف رمزي . وقد نظر باحثون آخرون الى مفردات اللون في الأدب القديم والبدائي وعبر المصادر الثقافية ، وكذلك في أعمال الكتاب في السنوات المائتين الأخيرة ، باعتبارها مؤشرا على تأثيرات البيئة على الادراك والتفكير(٣٠) .

وقد قام « تريفور ـ بروبر » «Trever-Raper» بالكتابة حول تأثير عيوب الإبصار على أعمال الفنانين . وقام أيضا بفحص تشكيلة واسعة من الأعمال المختلفة في علاقتها

* « السيكودراما » هي طريقة علاجية نفسية قام « مورينو » بتطويرها ، وفيها يقوم الفرد بتمثيل ادوار معينة ، او احداث معينة في حضور المعالج وايضا في حضور افراد اخرين ـ من المرضى او غيرهم ـ يساهمون في عملية العلاج الجماعي هذه . وتقوم هذه الطريقة على افتراض فحواه ان لعب دور معين يسمح للفرد بالتعبير عن متاعبه وصراعاته ، ويسمح له بالتنفيس عن بعض طاقاته المخزونة ، كما يسمح له بمواجهة مشكلاته وصراعاته ، وايضا الاستفادة من تعليقات وتوجيهات الاخرين ( المترجم ) .

بمجالات المؤلفين الخاصة مثل قصر النظر ، وعمى الألوان ، وكذلك بعض العيوب البصرية الأخرى الممكنة ، وقد اعتمد في ذلك على السير الذاتية لهؤلاء الفنانين وكذلك على الاحالات التي ترد لديهم الى الصور البصرية اللونية المختلفة . وقد طرح تأملات عديدة في هذا الشأن ومن بينها قوله ان « هوميروس » ربما لم يكن أعمى كما هو شائع .

يعتبر تحليل موضوع الابداع من التحليلات ذات القيمة الكبيرة بالنسبة لعلم النفس وبالنسبة للأدب كذلك . وتعتبر المجموعة المختارة من الكتابات حول هذا الموضوع والذي قام « جيزيلين B. Ghiselin » بتجميعها ، ممثلة لتلك المقاربة التي تستخدم الاستبارات ( المقابلات الشخصية ) والتقارير الذاتية التي يقدمها الكتاب ، وكذلك الفنانون والعلماء حول الابداع ، وهي تفيد ـ هذه الكتابات ـ باعتبارها وسائل لفهم العمليات الأساسية في هذا الشأن . على كل ، فإن « روزنر » و « ابت » Rasner & Apt قد لاحظا في مجموعتهما المختارة الخاصة من الكتابات ان هناك جوانب قصور خاصة تكون موجودة عند الاعتماد على المعلومات الخاصة بالسير الذاتية « فهذه فقط مجرد بداية للاستكشاف والتفهم للعوامل المتنوعة الموجودة ، سواء العوامل الذاتية او الموضوعية منها ، والتي تشترك معا في تشكيل الخبرات الابداعية للأشخاص في الفنون والعلوم »[٣١] . وعلى كل حال ، فان « روزنر » و « أبت » وخلال قيامهما بمناقشة العلاقة بين بوح الفنانين أو كشفهم عن خبيئات أنفسهم ، وبين علم نفس الجشطلت ، أى خلال مناقشة المتطلبات الفردية للابداع وقوى المجال الموجود فيه . وجد هذان الباحثان ان التقارير الذاتية كانت متطابقة مع التحليلات الموضوعية للابداع . ويشير المنحيان الحدسى ، والامبيريقي حول الابداع كلاهما الى ان الابداع هو عملية موحدة ، وان العملية الابداعية متماثلة لدى الفنانين ولدى العلماء ، وان الابداع يعكس نوعا من الاستقلالية غير التقليدية في الأفكار والانفعالات ، وانه يشتمل على كون المرء منفتحا على الخبرة ومتسما بالمرونة في تعامله معها . والشيء الأكثر اثارة للدهشة هو ان الافراد المبدعين يحتاجون بشكل واضح الى الالتحاق بالآخرين والتواصل معهم ، وانهم يعبرون كذلك بشكل واضح عن الكثير من احباطات مطامحهم المتعلقة بآبائهم . وقد حصل باحثون آخرون أمثال « مارتنديل Martindale » و « ريفز Reeves » و « دريستات » على تعبيرات خاصة بالفنانين حول الصور العقلية والتفكير والخيال ، إما بشكل مباشر من خلال الاختبارات والمقابلات الشخصية ، أو بشكل غير مباشر من خلال الأحلام والقصص أو مادة السير الذاتية[٣٢] . ولم يقم هؤلاء المؤلفون بالربط بين هذه المعلومات وبين الابداع فقط ، لكنهم قاموا بربطها أيضا بطبيعة العبقرية والذكاء . وعلى نحو مشابه قام « دور Durr » بأخذ أمثلة أدبية تعكس الجوانب الالهامية ( في مقابل الجوانب المتعلقة بالهلوسة )

في الخبرة النفسية التي تحدث اثناء تعاطي المخدرات وذلك من موضوعات غير مألوفة وانماط غريبة من الشعر لدى شعراء أمثال « كولريدج » و « بليك » .

## الأدب ودراسة الخبرة الواعية :

تعتبر الموضوعات الخاصة بالوعي والخبرة من أكثر الموضوعات السيكولوجية المختلفة ـ والتي من الممكن ان يساهم فيها الأدب ـ وضوحا ومناسبة . فعرض الأدب لمضمون ومعنى الخبرة الشعورية هو أمر مفيد بشكل خاص بالنسبة لعلم النفس ، هذا العلم الذي يعتمد بطريقة مألوفة ، وإلى حد كبير ، على البيانات المأخوذة من دراسات أجريت على الحيوانات ، وعلى الجوانب الفسيولوجية للانسان ، أكثر من اعتماده على دراسة الكائنات البشرية وعلى السلوك الانساني عامة ، وعلى موضوع الوعي خاصة* وقد اعترف بعض علماء النفس أمثال « كيللي » بالحاجة الى الانفتاح على النماذج المنهجية الجديدة التي يمكنها ان تضع في اعتبارها الخبرة كموضوع أساسي يحتاج للتفسير . ولاحظ « ماكلويد Macleod » كذلك ان خصائص الخبرة المميزة للانسان « وهي ظاهرة مميزة للعقل الانساني » كانت غالبا موضوعا غائبا بين موضوعات واهتمامات علم النفس . وقد جعل هذا من علم النفس ـ كما قال ـ علما غير مكتمل « فالعلم المناسب حول الانسان لابد ان يقوم على أساس الاهتمام بقدرة الانسان الفريدة على ملاحظة وتقرير ( أي ذكر ) خبراته الخاصة(٣٣) .

يقترح « دونكان Duncan » أن الأدب العظيم من الممكن ان يكون واحدا من أفضل مصادر المعلومات حول الخبرة الانسانية . فقد يمكننا تعبير هذا الأدب ، وتوصيله لخبرات بعض الأفراد في وقت معين ، من فهم هؤلاء الأفراد وفهم انفسنا كذلك بشكل افضل وقد عبر « ديوي » عن القضية التي مفادها ان الفن في امكانه ان يمثل وان ينقى الخبرة الانسانية ، طارحا فكرة ان هناك علاقة حاسمة ووثيقة بين الفن وعلم النفس : فمصدر الفن يكمن في الخبرة الانسانية ، كما ان هذا الفن يؤدي مهمته الخاصة من خلال خبرة المتلقي له . والأمر الواضح هو ان هاتين الوظيفتين الخبريتين ( نسبة الى الخبرة ) للفن ، في مصادرهما وفي ردود الأفعال التي يستثيرانها ، وظيفتان سيكولوجيتان دون مراء . ومن ثم فإن الفن وعلم النفس ليسا شقين مختلفين او منفصلين ، كما قد يبدو للبعض ، حيث يبوح عالم الفن ببعض الأشياء لهؤلاء الذين يستمتعون به حول طبيعة خبراتهم الخاصة حول العالم »(٣٤) .

---

* نعتقد ان مثل هذه النظرة تخص ماكان يحدث في علم النفس في بداياته ، وحتى النصف الأول من القرن العشرين . اما الآن فقد اختلفت الصورة وهو ماكان ينبغي على المؤلف ان يقوم بالتنويه اليه ( المترجم ) .

# نقــد وتقييـــم

لم تقم معظم المناقشات الخاصة بالفوائد التي يمكن ان يجنيها علم النفس بالحفاظ على خطوط واضحة المعالم فيما يخص وظائف الحقائق ، والتفسير ، والتقديم للأمثلة ، التي سبق لنا ان عرضناها . وقد تضمن كل هذا التأكيد على ان المضمون الأدبي قد يساهم في علم النفس ، بطريقة أو أكثر ، في نفس الوقت . وتتمثل الفكرة التي فحواها ان الأدب ، بشكل عام ، مفيد في النواحي السيكولوجية -دون الاشارة الى ما إذا كان ذلك يتم في جانب الحقيقة او التحليل - في الفقرة التالية التي ننقلها عن « ماسى Mace » والتي تؤكد قيمة الجماليات بشكل عام بالنسبة لعلم النفس .

« تساهم الجماليات في علم النفس العام بسبب كونها مهتمة ببعض الوظائف والنشاطات العليا والأكثر تمييزا للعمل الانساني . وتساهم الجماليات في تصحيح ذلك الانشغال الزائد عن الحد لدى علماء علم النفس العام بالوظائف والنشاطات الأبسط والأكثر بدائية ، وكذلك انشغالهم الزائد بالحاجات « البيولوجية » و « الفسيولوجية » ، وتفتح الجماليات طريقا نحو علم نفس انساني متميز يتم فيه التمييز الواضح بين الحاجات السيكولوجية(٣٥) .

وهكذا فإن المهمة الأولية للدراسة الموضوعية للأدب قد لا تتمثل في اتخاذ قرار باستخدام هذه الدراسة ، وكيف نستخدمها ، لكن المهمة الأولية بدلا من ذلك ، قد تكون هي فصل الوظائف المختلفة للأدب -كمقدم للأمثلة الموضحة ، وكحقيقة ، وكتحليل - عن بعضها البعض من أجل توضيح الأدوار المتعددة لكل وظيفة منها .

أيًا كان الدور الدقيق للأدب ، فإن العديد من علماء النفس يقرون بأن الأدب هو مصدر جيد تماما للمعلومات الهامة حول الانسان بحيث لا يمكن تجاهله . ويظهر مثل هذا الاعتراف بفائدة الفنون في دراسة العلاقات الاجتماعية .

لا مراء ، ان المنجم الثري من المادة الموجودة في متناول ايدينا الآن ، هو منجم قد جمعت ثروته أجيال من الفنانين ، فلم تتم ممارسة للتحليل الذاتي ، ومانيتج عنه من استبصار بالسلوك ، بمثل هذا الاتساع في اي ميدان آخر غير الفن .

وبسبب هذا الثراء الكامن في الفن ، لا يمكن ، كما يطرح ذلك « ويلسون » ، ان يتم تجاهل المادة الجمالية ، دون ان يترتب على ذلك عواقب خطيرة :

« فالفشل في التعرف على أن الإنسان ونشاطاته قد تم تصويرهما ووصفهما بشكل صادق عبر القرون من خلال المصورين والمثالين والكتاب ، يتماثل مع انكار وجود اى جهد حقيقي لفهم الأجناس البشرية[٣٦] .

إن مادة الأعمال مادة شديدة الحيوية ، ولا ينبغي ان نتجاهلها بسبب جوانب النقص العلمية المتعلقة بها . وإلى الحد الذي يكون عنده علم النفس ملتزما بتأكيد أهمية عالم الخبرة الشخصي والذاتي ، الى الحد الذي لا يمكن عنده تجاهل اهمية الأدب ، وأيًا كانت الوظائف الخاصة للأدب في الدراسة السيكولوجية ، فإن المحصلة النهائية من الممكن ان تكون هي تحرير موضوع علم النفس ، ثم تكون المحصلة الأبعد من ذلك هي تحرير اساليبه ونظرياته :

« فوضع ثراء وتنوع الخبرة الانسانية في الاعتبار ، بالنسبة لأي نسق ، قد يساهم في الحفاظ على اتساع الحياة في علم النفس ذاته ، كما قد يشير الى أبعاد جديدة من الخبرة من الممكن ان يقوم عالم النفس بإهمالها »[٣٧] .

ومع ذلك ، فإنه حتى عندما نضع المضمون الأدبي ، باعتباره مفيدا لأغراضنا السيكولوجية ، وأيًا كانت مكانة هذا المضمون الخاصة ، في الاعتبار ، فإنه حتى المتلقى المتعاطف قد يقول ان المعلومات المأخوذة من المضمون الأدبي تكون معلومات مقدمة في شكل خام ومتميز ، وقد نضيف بأنه سواء كان المضمون الأدبي حقيقة ، او فرضا ، او تحليلا ، او مثالا موضحا ، فإنه لا يكون قد تم الوصول اليه من خلال اجراءات العلم المتروية والموضوعية والمنظمة ، فجذور الأدب وشموله والنوايا الكامنة فيه ليست أمورا واضحة . وكذلك فإن جوانب القصور المتعلقة بإمكانية تطبيق الأدب في علم النفس العلمي هي جوانب قد تم التعرف عليها والاقرار بها منذ وقت طويل ، بدءا من تلك المحاولات المبكرة في طريقة وصف الشخصيات الأدبية والتي سبق أن أشرنا اليها :

ان المنحى الأدبي في دراسة الطابع ( الشخصية ) يمكنه ان يساعدنا فقط ببعض اللمحات او النقاط الهادية ، فهو يفقد الكثير عندما يضل الطريق الخاص المتمثل في القيام بجهد شعوري واع لتحليل الموضوع ، بدلا من أن يكون مسترشدا فقط من خلال الالهام العشوائي »[٣٨] .

هناك العديد من الأخطاء التي تم الاعتراف بها أيضا منها : الانتقائية في اختيار هذا المنحى للجوانب التي يقوم بتغطيتها بدلا من أن يكون متسما بالشمول ، والتفرد في أوصافه ، كما ان هناك ايضا في نفس الوقت ، قيامه بالمبالغة في تعميماته وايضا التناقضات الكامنة فيه ، كما يوجد ميل خاص فيه نحو اعطاء صبغة اخلاقية لكل شخصية تتسم بتقديم الموعظة والتفلسف ، وكل ذلك يتم من خلال سياق قصصي سيكولوجي خاص :

رغم وجود جوانب تشابه عديدة بين الأدب وعلم النفس ، فإن هذين النظامين المعرفيين يختلفان من حيث النظرية التي يقومان من خلالها بالحصول على ملاحظاتهما ، واستخدامها والتحقق منها . فالأدب ، مثل في ذلك مثل أي سجل تاريخي ، بل كان الأدب أكثر « تاريخانية » بسبب المتضمنات الشخصية فيه ، هو مصدر من مصادر المعلومات التي تحتاج لأن يبحث عنها ، ويتم تهذيبها وتصنيفها بروية . حيث ينبغي ترجمة تعبيرات الكاتب واستبصاراته الى لغة تجعل من الممكن فحص واثبات هذه التعبيرات والاستبصارات من خلال اساليب موضوعية .

ولأن مثل هذه الترجمة هي بالكاد قد بدأت ، فإن علم النفس قد فشل بشكل عام في أن يفكر بشكل جاد في الاحتمالية الخاصة التي فحواها ان الابداعات الأدبية من الممكن ان تمثل اسهاما جوهريا في فهم السلوك الانساني وقد اطلق « سوارتز » على هذا الخطأ غير المقصود تعبير « التوجه احادي الجانب والضيق والمغترب عن بيت العلم » وتمثل الفقرة التالية تلك المطالبة التي طرحها « سوارتز » من أجل التذوق الأكبر للأدب ، والتحمل الأكبر لأساليبه ومناهجه كما تمثل اتهامه الخاص لعلم النفس باللامبالاة :

« طالما ان علماء النفس يستمرون في تخليهم عن حق المولد او حق البكورة الخاص بهم ، ويتركون للآخرين ـ الروائيون ، والشعراء ، وكتاب المسرح ، والنقاد الاجتماعيون ـ مسئولية تحليل ، ووصف ، او تفسير عالم السلوك ـ الطبيعي ، فإن أفضل مانستطيع تقديمه هو ان نستفيد بطريقة فعالة مما يقدمونه لنا من استبصارات وملاحظات .

فاذا اعتقد علماء النفس ان اساليب العلم هي طرائق متفوقة لفهم عالم السلوك ـ الطبيعي ، فدعهم يتحولون الى هذا العالم ويوضحون مدى تفوق هذه الأساليب . ان انشغال عالم النفس المستحوز عليه بالقابلية للاحترام العلمي قد تعميه عن رؤية نوافذ يفتحها نمط أخر من التحليل ، لا يقوم على اساس الملاحظة التجريبية . وقد ذهب « سوارتز » بعيدا في نقده لعلم النفس بأن أشار الى هذا المقتطف اللاذع المأخوذ من « كروتش » حول ضيق أفق علم النفس مقابل رحابة دلالات الأدب .

« ربما كان « هاملت » أكثر قربا من الحقيقة من « بافلوف » ، وربما كان التعجب القائل كم يوجد في الانسان من طاقات روحية متسامية ! » أكثر مناسبة من علامة التعجب القائلة « كم هو شبيه بالفأر ! كم هو شبيه بالآلة*(٣٩) .

بعد أن حاول « ماكوردي » الانتقاص من قدر ذلك التعارض القائم بين الشعر والعلم ، فإنه قام ، رغم ذلك ، بتأكيد امكانية وجود حل وسط بين العلم الموضوعي

* المقصود هنا السخرية من تجارب « بافلوف » ومن جاء بعده من السلوكيين ومن المعرفيين الجدد ( المترجم )

والموضوعات الذاتية في علم النفس ، وقد طرح فكرة ان المواد الحدسية التي تفتقر الى الأساس العلمي من الممكن رغم ذلك ، ان تصبح مفيدة من خلال المعرفة الموضوعية المكملة لها[٤٠] .

« هناك نوع من الحقيقة ينقله لنا الكاتب ، نوع لا يمكن الوصول اليه من خلال العلم فقط ، وهذه الحقيقة هي عنصر لا يمكن الاستغناء عنه في الفهم الكامل للشخصية . ان تقنيات الأدب هي أداة للدراسة العلمية ( وذلك لأنه سيكون من غير الإنصاف ان نجرد الانسان من الوسيلة الوحيدة التي يمتلكها كي ينقل الى الآخرين إظلال والفروق الدقيقة في أفكاره ومشاعره .. الى هؤلاء الذين تعتبر اللغة بالنسبة لهم جزءا متمما لعمليات تفكيرهم ولحياتهم الاجتماعية »[٤١] .

وينظر « ستجنر » الى الأدب باعتباره مصدرا خياليا ، وحدسيا وغير منطقي للمعرفة ، ومع ذلك فهو مصدر متمم لمصادر المعرفة العلمية من خلال كشفه وتأكيده وتعبيره عن الحقائق الانسانية .

« ان الحقيقة في العلم ، وفي الفلسفة ، حقيقة باردة ، منطقية وعقلانية ، كما أنه يتم الوصول اليها من خلال اساليب ليست لها صفة انسانية ، ومتجردة من الانفعال . اما الحقيقة في الفن فهي حقيقة حية ، وحيوية ، وشديدة الامتلاء حد الثراء بالدلالة الانسانية . فالفن يصل الى الحكمة من خلال الخيال ، بينما يصل اليها العلم من خلال الفهم ، الفهم المنطقي والصارم[٤٢] .

من اجل التقييم المناسب لصلاحية الأدب للاهتمامات السيكولوجية ( وصلاحية علم النفس للأدب : الفصل الثاني ) لابد من القيام من طرح تمييز هام بين الأدب كفن ، والأدب كمعرفة ، وهو تبسيط زائد ، لكنه ضروري ، يقوم بتجاهل التداخل بين هذين الجانبين . فالأدب كفن يُقرأ من اجل الاستمتاع به ، أما الأدب كمعرفة فيدرس باعتباره مصدرا من مصادر البيانات . وسواء كان الأدب يقرأ من اجل المعلومات ام لا ، فان كاتبه ، على كل حال ، يكتشف الحقائق ، ويقوم بتوصيلها وتوصيل معانيها الى الآخرين ، وهي معان تتعلق بالخبرة والسلوك الصالحين لكل البشر .

إضافة الى ماسبق ، فإنه ينبغي على المرء ان يدرك ان العديد من جوانب الغموض التصورية والمنهجية المرتبطة بالأدب . من الممكن ان توجد ايضاً في الأنواع الأكثر نموذجية من المادة السيكولوجية ، والتي توجد على شكل مادة مكتوبة لكنها ليست أدبية الطابع ، وكما نجد ذلك في الدراسات الاكلينيكية ودراسات الحالة ، وفي التقارير الاستبطانية والتقارير الذاتية اللفظية ، وكذلك في التفسيرات المطروحة حول سلوك الحيوانات والأطفال والراشدين ، وأيًا كانت الصراحة التي يتسم بها الاسلوب الذي يتبعه المرء في الحصول على مثل هذه المعلومات .

اما الحقائق والفروض الخاصة بعلم النفس ، وأيا كان مصدرها ، فهي ليست حقائق وفروضا واضحة بذاتها ، انما يتم اكتشافها من خلال بحث صعب المرتقى . كذلك فإن تحليل البيانات ، أيًا كان الأساس الذي يقوم عليه ، ليس أمرا واضحا دائما . وعلاوة على ذلك ، فإن الحقائق المكتشفة ينبغى ربطها ببعضها البعض من ناحية ، وكذلك ربطها بتصورات وفروض مختلفة غيرها ( اى الفرض والنظرية ) ، من ناحية أخرى . وليست الحقائق في حد ذاتها كافية لانشاء المعنى او الدلالة .

يمكننا ان نفكر في الأدب باعتباره مصدرا من المصادر العديدة للمعلومات السيكولوجية ، وهي تلك المصادر التي تختلف في درجة صرامتها وشمولها . وتنشأ المشكلات المتعلقة بالأدب كمصدر للمعلومات بسبب كون الأدب في العادة سجلا تاريخيا لأخيلة مؤلفين ماتوا ، ولم يكونوا مهتمين بالمحكات العلمية ، بقدر اهتمامهم بالمحكات الأدبية . لكن هذه المشكلات يتم التخفيف منها وموازنتها من خلال الميزة الكبيرة للأدب : فهو يقدم لنا استبصارات مجموعة من الموهوبين حول المشكلات الهامة . وقد يكون مازعمه « بندمان Bindman » من أن المؤلفين هم الأساتذة المعترف بهم في توصيل خبرات حياتهم الخاصة الى الآخرين ، قد يكون هذا الزعم مبالغا فيه ، لكنه يوحي في نفس الوقت بأن مايقوله هؤلاء المؤلفون عن خبراتهم الخاصة قد يزودنا بمعلومات هامة يفيد منها علم النفس . « ان الدراسة المتروية لأشكال التعبير الأدبي من الممكن ان تجعلنا على صلة بالعمليات الأساسية في نشاط العقل البشري »(٤٣) من الممكن مراجعة مثل هذه الاسهامات بشكل غير مباشر ، ومن خلال ماأطلق عليه « سوارتز » اسم الصدق او التثبت الاكلينيكي Clinical Validation : فتكون الاستبصارات الأدبية صادقة الى الحد الذي تؤدى عنده الى تحسين عمليات الفهم والتنبؤ والتحكم الخاص بنا ، فيما يخص المتغيرات التي يمكن دراستها في مواقف مألوفة . بهذا المعنى فإن التعليمات والاقتراحات التي يقدمها الأدب من الممكن ان يستفاد منها باعتبارها حافزة لعمليات التصنيف التالية :

وحتى اذا تم طرح تساؤلات حادة حول فائدة الأدب كمصدر للبيانات ، وأيضا تم التأكيد على تميزه عن علم النفس ، فإن الاستبصارات الأدبية تظل مع ذلك تمثل شكلا خاصا من اشكال التحدي حيث تشتمل الجهود الابداعية المكثفة التي يقدم بها احد المؤلفين في عمله على تحريفات في الخبرة لصالح الفن ، كما تشتمل ايضا على تعقيدات محيرة غير محلولة تمنع الاستفادة الموضوعية الكاملة منها . ومع ذلك ، فإن هذه المجهودات ستشتمل ايضا على بعض جوانب الصدق الجوهري ، هذا اذا كان هذا المؤلف قد تقبل عمله ، وإذا كان القراء قد فهموه وتذوقوه ايضا .

في الفصول التالية سنتحرك الى مستوى يتجاوز المعالجات التأملية والتصورية للأدب ، وسنقوم بالتركيز ، بدلا من ذلك ، على الدراسة الموضوعية والاحصائية للمواد الأدبية . ان نجاح المنحى الامبيريقي في التعامل مع الأدب سيعتمد على الانجازات الخاصة بالبحوث الفعلية اكثر من اعتماده على النصائح الجذابة والتي تظل متعالية رغم ذلك والموجودة في هذا الفصل وفي الفصول السابقة . ان نقد « بارون » المنهجي الموجه نحو النصائح والعظات المستخدمة لأغراض تقديم الأمثلة الموضحة ، رغم انه - اى هذا النقد - موجه بشكل خاص نحو اسلوب جمع تعبيرات الفنانين الشخصية ( والخاصة بسيرتهم الذاتية ) حول الابداع ، فإن هذا النقد من الممكن تطبيقه ايضا على الكتابات التأملية غير الامبيريقية وهي الكتابات التي تحاول ان تربط علم النفس بالأدب من خلال مصطلحات استطرادية - تنتقل من موضوع إلى آخر - فقط :

« فمثل هذا العمل ... في نهاية الأمر ... يترك المرء مملوءا بالعديد من مشاعر السخط وعدم الرضا ، وذلك بسبب المقاومة الكبيرة التي تطرحها مثل هذه البيانات امام عمليات التصنيف . ومع ذلك فإن الجهد ينبغي ان يتم ، كما ان يجب علينا ان نؤديه بشكل أفضل »(٤٤) .

❋❋❋

# هوامش الفصل الخامس

1. H. G. McCurdy, *Personality and science* (Princeton, N. J. Van Nostrand, 1965).

2. The didactic use of literature can be found in G. W. Allport, "The study personality by the intuitive method: An experiment in teaching from *The locomotive god, Journal of Abnormal and Social Psychology* 24 (1929): 14-27; C. H. Fellner, "Paperback psychiatry," *Journal of Medical Education* 44 (1969):585-588; R. Fernandex, ed. *Social psychology through literature* (New York: Wiley, 1972); E. P. Hollander, "Popular literature in the undergraduate psychology course," *American Psychologist* 22 (1956): 95-96; I. N. McCollom, "Psychological thrillers: Psychology books students read when given freedom of choice," *American Psychologist* 26 (1971): 921-937; J.S. Sherwin, *Social and psychological assumptions about human behavior in selected literary works*, Ph.D. dissertation, New York University, 1954, *Dissertation Abstracts* 15 (1955): 245-246; M. Librachowa, "The fiction from between the two world wars as a source of scientific material for the psychologist," *Psychological Abstracts* 22 (1948) #2808; A. B. Wood, "Psychodynamics through literature," *American Psychologist* 10 (1955): 32-33;R. J. Zbaracki, *A curriculum design based on cognitive psychology for teaching narrative and dramatic literature in the secondary school*, Ph.D. dissertation, University of Nebraska, 1970. [*Dissertation Abstract* 31 (1970) #1700-A].

3. Fernandez, 1972, p. xvi.

4. H. Cantril & C. H. Bumstead, *Reflections on the human venture* (New York: New York University, 1960), p. 1.

5. Ibid., p. 77.

6. F. M. Teagarten, "Some psychological trends in modern literature," *Kadelpian Review* 9 (1930);: 309-310.

7. E. T. Hall, *The hidden dimension* (Garden City, N. Y.: Anchor, 1969), p. 75.

8. Ibid., p. 100.

9. D. E. Berlyne, *Conflict, arousal, and curiosity* (New York: McGraw-Hill, 1960), chap. 9.

10. F. C. Bartlett, "Types of imagination," *Philosophical Studies* 3 (1928): 78-85; M. S. Lindauer, "The sensory attributes and functions of imagery and imagery evoking stimuli," in *The function and nature of imagery*, edited by P. W. Sheehan (New York: Academic Press, 1972).

11. R. N. Wilson, "Literary experience and personality," *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 14 (1956): 45-57.

12. In Elizabeth Hall, "Hebb on hocus-pocus: A conversation," *Psychology Today* 3 (1960): 21-28: M. H. Hall, "A conversation with Henry A. Murray," *Psychology today* 2 (1968): 56-63; B. B. Wolman, "Poetry and psychotherapy," *Voices* 6 (1970): 56-59.

13. In P. Swartz, "Perspectives in Psychology, VII. The criteria of validity in observational analysis," *Psychological Record* 8 (1958): 82.

14. Berlyne, 1968, p. 21.

15. J. S. Bruner & R. Taguiri, "The perception of people." in *Handbook of social psychology*, edited by G. Lindzey (Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1954), vol. 2, p. 639.

16. Mannheim in Swartz, 1958, p. 83.

17. D. M. Johnson, "Psychology vs. literature," *Harper Books and Authors* 12 (1961):

1-4; R. L. Van de Castle, *The psychology of dreaming* (New York: General Learning Press, 1971): 2-6.

18. C. Clark, *Shakespeare and psychology* (London: Williams & Norgate, 1936). [*Psychological Abstracts* 12 (1938) # 379]; D. E. Alcorn, "New Testament psychology," *British Journal of Medical Psychology* 16 (1937): 270-280.

19. J. Ruesch & W. Kees, "Function and meaning in the physical environment," in *Environmental psychology*, edited by H. M. Proshansky, W. H. Ittelson, & L. G. Rivlin (New York: Holt, Rinehart & Winston, 1969), p. 144.

20. Dreistadt, "The prophetic achievements of geniuses and types of extrasensory perception," *Psychology* 8 (1971): 27-40.

21. D. G. Singer, "Piglet, Pooh, & Piaget," *Psychology Today* 6 (1972): 71-74, 96.

22. D. W. MacKinnon, "The structure of personality," in *Personality and the behavior disorders*, edited by J. Hunt (New York: Ronald, 1944), vol. 1.

23. A. A. Roback, *A bibliography of character and personality* (Cambridge, Mass.: Sci-Art, 1927).

24. Roback, *The psychology of character*, 3rd ed. (London: Routledge & Kegan Paul, 1952), p. 556.

25. Ibid., p. 24.

26. Ibid., p. 556.

27. Ibid., pp. 556-557.

28. Swartz, " A rose for behaviorism," *Psychological Reports* 27 (1970): 364.

29. D. C. McClelland, *The roots of consciousness* Princeton, N. J. Van Nostrand, 1964), pp. 93-116.

30. M. H. Segall, D. T. Campbell, & M. J. Herskovits, *The influence of culture on visual perception* (Indianapolis: Bobbs-Merrill, 1966). See especially the review of Allen and Gladstone's works, pp. 37-41.

31. S. Rossner & L. E. Abt, *The creative experience* (New York: Grossman, 1970), p. ix.

32. Dreistadt, "An analysis of how dreams are used in creative behavior, *Psychology* 8 (1971): 24-50; C. Martindale, "Degeneration, disinhibition, and genius," *Journal of the History of Behavioral Sciences* 7 (1971): 177-182.

33. R. Macleod, Review of *Experience and Behavior*, by P. McKeller, *Contemporary Psychology* 15 (1970): 332-333. Quotes are from p. 333 and p. 332 respectively.

34. J. Dewey, 1934, p. 83.

35. C. A. Mace, "Psychology and aesthetics," *British Journal of Aesthetics* 2 (1962): 15-16.

36. R. N. Wilson, "Literature, society and personality," *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 10 (1952): 297-305. The quotes are from p. 229 ad p. 298, respectively.

37. Cantil & Bumstead, 1960, p. xiii.

38. Roback, 1952, p. 39.

39. Swartz, 1958. Quotes are from p. 54, p. 82, and p. 84, respectively.

40. J. T. Metcalf, "Psychological studies of literary form," *Psychological Bulletin* 35 (1938): 337.

41. F. X. Barron, Review of *The Creative experience*, by S. Rosner & L. Abt, *Contemporary Psychology* 17 (1972): 4-5.

# الفصل السادس

## الأدب والعلوم الاجتماعية

« هؤلاء ، لن يجيبوا على اى استبيانات أو اى امتحانات سريعة حول شئون العالم ، ولن يوافقوا على تطبيق اى اختبار عليهم حتى لو اجبروا على ذلك ، ولن يجلسوا مع احد من علماء الاحصاء ، ولن يلتزموا بما يقوله اى علم اجتماعي[1]

## فكرة عامـــــة

استخدمت المواد الأدبية بشكل واسع في الدراسات الامبيريقية التي أجريت في العلوم الاجتماعية . وتعد هذه الحقيقة ، اضافة الى المزايا التصورية الأخرى التي أثيرت في الفصول السابقة ، بمثابة الحجة الكبيرة التي تطرح لتأييد استخدام البيانات الأدبية في علم النفس . فـالأدب والعلوم الاجتمـاعية يشتـركـان ، وبشكـل طبيعي ، في نفس الاهتمامات :

فالأغلبية الكبرى من القضايا التي يثيرها الأدب هي ... قضايا اجتماعية : قضايا حول التراث والتقليد ، المعايير ، والأجناس الأدبية ، الرموز ، والأساطير حول علاقات الأدب بموقف اجتماعي معين ، وعلاقاته أيضـا بالنظـام الاقتصادي والاجتمـاعي والسياسي .. وحول وصف وتحديد تأثير المجتمع على الأدب ، وحول وصف الحكم موضـع الأدب في المجتمع[2] .

ويتضح العديد من القضايا الاجتماعية من خلال المجموعة المختارة من الأعمال الأدبية والتي تشتمل على حوالي مائة عمل والتي قام « كوزر » بجمعها تحت عنوان « علم الاجتماع من خلال الأدب » . حيث نظر « كوزر » الى تعليقات الكاتب عـلى الحياة الاجتماعية للانسان ، باعتبارها مصدرا هاما من مصادر البيانات :

« فرغم امكانية ان يكون الأدب اشياء عديدة أخرى ، فإنه ايضا شاهد وشهادة اجتماعية حول طرائق السلوك ، وحول الأخلاقيات وحول التوترات بين الناس ومجتمعهم ، وحول أشكال الاستجابة التي يقوم بها الناس للظروف الاجتماعية والثقافية المختلفة[3] .

ويستمر « كوزر » قائلا بأنه تتوفر لدى الروائي ميزة الحساسية المدربة الخاصة بعملية الادراك ، وكذلك القوة الخاصة بهذه العملية ، وأيضا القدرة على الصياغة[4] . ورغم اعتراف « كوزر » بأن الفن القصصي ليس معرفة علمية ( تتراكم ويتم التثبت منها بشكل منظم ) فإنه قد تقبل المادة الأدبية باعتبارها مادة قابلة للاستفادة منها في النظرية والبحث العلميين . فمن الممكن استخدام التأمل الخاص حول المجتمع والموجود في الأدب ـ كما

يطرح ذلك « كوزر » ـ من أجل معرفة بعض المعلومات حول تلك الجوانب الخاصة من المجتمع ، والتي قد تكون الدراسات التقليدية قد أهملتها ، وسينجم عن ذلك ، دون شك ، توسيع وجهات النظر الاجتماعية الخاصة حول تلك الجوانب . كذلك فان من الممكن اثراء وجهات نظر النقد الأدبي المختلفة من خلال بعض الفهم للعلوم الاجتماعية . وعلى سبيل المثال ، فإنه قد تؤدي المعرفة بالعلوم الاجتماعية الى تفهم اكبر للمؤثرات الثقافية على الاستجابة الخاصة ببعض المتلقين للأدب .

لقد استفاد علم الاجتماع الى ابعد حد من المادة الأدبية ، ومن الممكن ان نجد مراجعات مؤكدة لذلك فيما قام به « كيرن Kern » و « سيوتر Sewter » و « ويت Witte » ، وفي تاريخ اكثر قربا من ذلك يعتبر ذلك التحليل الذي قام به « بارنت Barnett » و« بيرجر Berger » مثالا على وصف علم الاجتماع للمتلقين ، سواء تم تحديدهم باعتبارهم موجودين في الفصل الدراسي او كانوا مجموعة أخرى اكثر نموذجية تبحث عن المتعة والتسلية . وهناك فروع معرفية أخرى قامت بتضمين المواد الأدبية ضمن دراساتها ، وقد قام كتاب عديدون أمثال : « مارانـدا Maranda » و « ماريت Marett » و « شـابيرو Shapiro » و« طومسون Thomson » و« دى فوس De Voss » و « هيبلر Hippler » بمراجعة مدى مناسبة الأدب في الدراسات الانثروبولوجية ، والتي تشمل بدورها على دراسات للحكايات الخرافية والأساطير ، والأدب الشفاهي . كذلك قام « تشارود Charud » بمراجعة مجال الاقتصاد في علاقته بالأدب كما ناقش « آدامز وباورز Adams & Powers » و « دانكان Duncan » و « ماكجرانهان Mc Grandhan » و « بول Paul » العلاقة المناسبة بين الأدب وعلوم اللغة . كما نجد الأمثلة على استخدام الأدب في الصحافة في دراسة « كلاى Clay » . وقد أعلى « هوجارت Hogarth » من قيمة الاسهام العام للعلوم الاجتماعية في الأدب من خلال ما أسماه « الدراسات الانسانية والثقافة الجماهيرية » .

أحيانا ماقامت الدراسات الاجتماعية بالاعتماد على وحدات صغيرة كالفونيم* واضعة في اعتبارها جمهورا كبيرا من القراء مثل الجماعة القومية ، أو المجتمع ، أو الثقافة ، ثم قامت بدراسة خاصة في هذا السياق على الأعمال الأدبية الكلاسيكية ، وأيضا

---

* الفونيم هو اصغر وحدة من وحدات الكلام في اية لغة ، وهو ليس مجرد صوت من اصوات الكلام ، لكنه فئة من هذه الاصوات ، ويمكن تمثيل هذه الفونيمات من خلال حروف الكتابة كالألف والنون والعين مثلا ، ومثل ذلك فان المطابقة بين الفونيمات والحروف تظل مطابقة غير دقيقة ايضا . فالفونيمات في حد ذاتها هي تجريدات معرفية ادراكية ، وفي حد ذاتها هي مستقلة عن انظمة الكتابة ( المترجم ) .

أكثر الأعمال الأدبية مبيعا في وقت معين . وقد قام « لوفينثال Lawenthal » بالعرض المناسب لهذين النمطين من الأدب القصصي ( الأعمال الكلاسيكية وأكثر الأعمال مبيعا ) وكذلك مدى صلاحيتها لأن يستفيد علم الاجتماع منهما . تعتبر الدراما ( أو المسرح ) كذلك من بين أنماط الأدب التي درست ، سواء كانت هذه الدراما تقدم على المسرح أو في الأفلام السينمائية ، أو في التليفزيون ، أو في الراديو . وإضافة الى ماسبق ، هناك ، أيضا ، التراجم والسير الذاتية حول الشخصيات غير الأدبية .

وقد قام « جرينشتاين Greenstein » و « ليتل Little » بفحص مثل هذا النوع من المادة في السياق التاريخي ـ السياسي . أما المقاربة التحليلية النفسية للتراجم الذاتية فتمثلها أعمال « بارنر Barner » و « فيرنج Fearing » و « ماريام Mariam » .

وفي الفصل الثامن من هذا الكتاب ، وفي القسم الخاص حول القارىء قمنا بمراجعة المعالجات النفسية الاجتماعية للتراجم الذاتية . وتعد القصص القصيرة كما تظهر في المجلات الصحفية من بين كل الأنماط الأدبية المتنوعة استئثارا بدراسات الباحثين .

القضايا المطروحة غالبا هي قضايا تتعلق بمشكلات خلافية تتصل باهتمامات الجماهير المباشرة مثل : الفقر ، والسلالة ، والمدنية ، والانحراف ، والمظاهر الغريبة أو الشاذة في الحضارة الحديثة المتغيرة ، أو قد يتم التركيز على جماعات خاصة مثل : مجموعة البيروقراطيين ، والمثقفين ، والشباب . وقد قام « لوفينثال » بمناقشة هذه القضايا وغيرها من القضايا الاجتماعية في سياق الأدب(٦) .

هناك تشكيلة أخرى ، من المواد شبه الأدبية التي درست أيضا ، وهي تشير أيضا الى قابلية النثر للمعالجة الكمية . وتشتمل هذه المواد على كتابات تتصل بالدعاية ، والخطابة ، والتسويق ، والاعلانات ، والعلاقات العامة ، بل وحتى بطاقات التهنئة والتحية ، التي قد تشتمل على سطور وأبيات او عبارات قليلة . وقد ناقش كتاب عديدون الاستخدامات المختلفة للمادة النثرية غير الأدبية في سياق العلوم السياسية ، لقياس الرأي العام ، ولقياس محتوى ووظيفة عملية التخاطب ، ومن هؤلاء الكتاب « بيرلسون Berelson » و« جانوفيتز Janawitz » في كتابهما المشترك ( وخاصة مقالة « بيرسون » ) كما يظهر ذلك أيضا في الكتاب الذي قام« جيرلينر Gerliner» وزملاؤه بجمعه ، وأيضا كتاب « لاسويل » وزملاؤه ( وقد عالج « هوفلاند Hovland » و « وايز » بشكل خاص دراسة التخاطب في علم النفس الاجتماعي وليس في سياق علم الاجتماع ، وهي الدراسة التي يمكن ان تكون متكئة بشكل أكثر مباشرة على الرسائل الأدبية التي يتلقاها القارىء ) .

وقد ثبت أن هناك مدى متسعا من أنواع المواد النثرية واضحة الرفاهة ، غير المألوفة ، وواضحة الصعوبة ، ثبت أنها قابلة للتطويع لاختبار الفروض ، وللتحليل

الكمي ، ولجمع البيانات الموضوعية . وقد اجتذبت الأناشيد الموسيقية الغنائية ، والأغنيات معظم الاهتمام » وقد فحص « بروك Brook » مضمون الموضوعات المتكررة فيها . وناقش « شوادرون Schwadron » العلاقة بين الكلمات والموسيقى . وقام « هورتون Horton » بتحليل الاتجاهات نحو الغزل وكما تعبر عنها من خلال الأغاني . وقام « لوماكس Lomax » بمراجعة الأغاني في المجتمعات غير الغربية باعتبارها شكلا من أشكال التخاطب . وهناك مواد واضحة الصعوبة بدرجة محيرة قد تمت دراستها موضوعيا أيضا . فقام « فيشر Fischer » بدراسة مقارنة بين الأساليب الفنية عبر الثقافات . وقام « سيبالد Sebald » بمقارنة بين كتب الأغاني الألمانية والأمريكية . وقام « كريس Kris » و« ليتس Leites » بفحص مضمون الدعاية الموجود في وسائل اعلام مختلفة ، وفحص « شيلز Shils » و « جانوفيتز » عمليات استدعاء أو تذكر الأوراق الصغيرة الخاصة بالدعاية .

وقام « هاتش وهاتش Hatch & Hatch » بدراسة مسحية حول اعلانات الزواج وقام « ليفين Levin » بمراجعة للكتاب السنوي للشباب النازي والأمريكي . واعتمد « شنايدر ودورنبوخ Schneider & Dornbush » في دراسة لهما على أكثر الكتب الدينية مبيعا . وقام « ستوتزر Stoetzer » بتحليل الصور الموجودة على طوابع البريد . كما استخدم « أوستر Auster » شخصيات الكارتون ( في الرسوم المتحركة ) مثل شخصية « أني الصغيرة اليتيمة » في إحدى دراساته . ورغم ان هذه المواد ليست مواد أدبية فإن الدراسة الامبيريقية لمثل هذه المواد توضح تنوع مصادر وتعدد اهتمامات المنحى الامبيريقي غير المطروقة ، وتكشف ايضا عن قابلية المواد النثرية واضحة التعقيد للدراسة الموضوعية .

يقدم الأدب لنا معلومات اجتماعية شديدة القابلية للتوصيل وشديدة الواقعية ، فهو يقدم لنا بطريقة تعبيرية محكمة تلك المعلومات الخاصة حول المؤسسات ( على سبيل المثال السياسية والاقتصادية والتعليمية منها ، وكذلك المعلومات حول بنية التجمعات الاجتماعية ، والطبقة ، والتحضر ، الديانة ) ، كما يقدم لنا مجموعة كبيرة من الحقائق الاجتماعية حول الجماعات ، والطبقات ، والمعتقدات ، والطموحات والاتجاهات . وهكذا فإن « مارتل Martel » و « ماكال Mc Call » قد استخدما القصص المنشورة في المجلات للحصول على المعلومات التي تقدمها هذه القصص حول تغير الامكانات في المجتمع المتعلقة بالأسرة ، والعمل ، ووقت الفراغ ، وكذلك مايتعلق منها بآثار التصنيع « فغالبا ماتشتمل القصص على عديد من المكونات الاثنوجرافية* الصادقة ، وعلاوة على ذلك ، فإن هذه القصص تكون شديدة الحساسية للتغيرات الاجتماعية الكبيرة »(٧) .

* الاثنوجرافيا هي قسم من اقسام « الانثروبولوجيا » ويكرس هذا القسم للدراسة المقارنة بين الثقافات المختلفة ( المترجم ) .

إضافة إلى قيام الأدب بتقديم معلومات وصفية حول المجتمع ، فإنه قد يتنبأ أيضا بالتغير الاجتماعي ، اوقد يعمل حتى على احداثه . فالأدب الذي ، يعمل كنوع من الضغط مثله مثل أي نوع من أنواع التخاطب ، « ينقل لفظيا المعلومات التي تستخدم لتعديل سلوك الفرد او الجماعة »[٨] . وقد تم التصديق على الفكرة التي مفادها أن الأدب له قوة إحداث الاضطراب في المجتمع وتهديد النظام الاجتماعي من خلال الرقابة التي تفرضها عليه الحكومات المسيطرة .

من الممكن ان تحدث التغيرات في المجتمع باعتبارها أنماطا مختلفة من الخبرات والأحداث التي يقوم الأدب بصياغتها ويؤدي الى التعرف عليها والاعتراف بها ، ومن ثم قد ينتج عن هذه التغيرات بعد ذلك فعل عام . وقد قام « دافيس Davies » بدراسة مسحية مثيرة للاهتمام حول الأدب كمولد ـ أو كمنتج ـ للتغير الاجتماعي . وفي هذه الدراسة قام « دافيس » بتحليل خمسين كتابا من كتب القصص السياسي ( منها على سبيل المثال رواية « كوخ العم توم » لمؤلفتها « هاريت بيتشرستو » ) وقد تعاملت هذه الكتب مع قضايا الأزمنة التي ظهرت فيها ، ومن هذه القضايا مثلا : علاقات القوة ، والاجتماع ، وصراع الطبقة ، والصراع الاجتماعي ، وأهداف العدالة والكرامة ، ومعارضة أو تأييد النزعة الفوضوية ، والطغيان ، والقمع . ومن خلال تحليله للتعبيرات الأدبية ومانشتمل عليه من اشارات إلى الدولة والحكومة وإلى المواطنين عامة أظهر « دافيس » وجود علاقة وثيقة بين النظرية السياسية والحقيقة الأدبية ، كما بين أن الفن القصصي يتوقع حدوث الأحداث الحقيقية .

قد يعمل الأدب أيضا على تكامل او استقرار او تقوية الأحداث الاجتماعية . وقد طرح « هوجارت » في مؤلفه « فوائد معرفة القراءة والكتابة The uses of Literacy » مثلا ، القصة التي فحواها ان قيم ثقافة الطبقة العاملة قد ساعد على تدعيمها وجود تلك المجلات الجماهيرية السيارة التي تقرأها هذه الجماعة .

قد ينشط الأدب ايضا باعتباره وسيلة لتبديد الانفعالات والتي من الممكن ان تؤدي الى افعال ضارة ، لو لم يتم تنفيسها . وذلك من خلال عمليات لعب الدور والتوحد او التماهي Identification مع أدب الاعترافات ، والقصص البوليسية المرعبة وماشابه ذلك وقد تلعب شخصيات نمطية أدبية معينة ( نمط الأحمق مثلا ) ووفقا لما ذكره « كلاب Klapp » دورا تطهيريا Catheric* خاصا بالنسبة للقارىء ، وذلك لأنها تقدم له موضوعا

* الاشارة هنا ترجع الى مفهوم ارسطو عن الدراما المسرحية والتي تقوم بتطهير المشاهدين من انفعالاتهم الزائدة او الضارة من خلال اثارتها لانفعالي الخوف والشفقة او التعاطف لديهم ، وفي التحليل النفسي يستخدم مصطلح التطهير كي يشير الى عمليات التخفف او التحرر من مشاعر القلق والتوتر والتي تحدث عندما يتم احضار الأفكار والمشاعر والرغبات المكبوتة وكذلك ذكريات الماضي من مجال اللا شعور الى مجال الشعور ( المترجم ) .

يمكنه ان يتوحد معه بشكل يتسم بالأمن ، دون أن يشعر بالارتباك الشعوري المحير بدرجة كبيرة .

اجتذب كاتب الأدب ، اضافة الى مضمونه وقارئه ، اهتمام البحث الاجتماعي ( ولو بدرجة أقل ) . وقد ناقش « البرخت » و « ويلسون » ، ضمن غيرهم من الباحثين ، موضع الكاتب داخل الاطار الاجتماعي ، وهو الذي يمكن ان يصنف فيه باعتباره نمطا وظيفيا او مهنيا معينا ، له اسلوب حياته الفريد ( أى ملبسه ، وطريقته في قضاء وقت فراغه ، ومسكنه ، وصورته الخاصة عن ذاته ) . كما انه يحظى بموضع معين في النظام الاجتماعي ، ويتوحد مع القيم التي تتفق مع هذا النظام[٩] . وعلاوة على ذلك ، فإن الأعضاء المنتمين الى الفنون المختلفة ، قد يتم تجنيدهم بشكل مختلف في النظام الاجتماعي ، وتكون لهم علاقات مختلفة مع الجماهير ، كما انهم يختلفون عن بعضهم البعض من جوانب أخرى مثل : الجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي والجانب العرقي وكذلك الجوانب الخاصة بالجذور او المنشأ ( الخلفيات الأسرية مثلا ) والمركز والخلفية التعليمية ... ولا يتأثر فقط اختيار الكاتب لمهنته بالنظام الاجتماعي ، لكن موضوعه واسلوبه وابداعه ومدى الاعتراف به ، كلها ، تتأثر ايضا بهذا النظام . فيعتمد تقبل أحد الكتاب ، وتقبل شكل أدبي معين ، وتقبل اسلوب معين ، على القوى الاجتماعية الكبيرة الموجودة . وقد تتذبذب الانماط الشائعة من الكتاب ومن الأدب من خلال علاقتها بالظواهر الاجتماعية المتغيرة وغيرها من الأحداث الجمعية المؤثرة . وبشكل أكثر تحديدا فإن عمل الكاتب ، ومركزه ، ودوره ، وتقبل المتلقين له ، يرتبط ، كله ، بالاقتصاديات الخاصة بالصناعة ، بما في ذلك باعة الكتب والناشرين .

على كل حال ، فإن الدراسات الخاصة بالصناعة التي تدعم شكلا فنيا بعينه هي دراسات نادرة ، بل انها اكثر ندرة من الدراسات « الامبيريقية » حول صناعة نشر الكتاب المعاصرة بشكل عام . وعلى كل ، فان دراسة « هيرش Hirsch » حول الجوانب الاقتصادية المتعلقة بالصناعة المرتبطة بالموسيقى الشعبية ، من الممكن ان تخدم باعتبارها نموذجا لبحث امبيريقي مناسب . واذا كان لنا ان نستخدم مصطلحات اجتماعية – اقتصادية عامة ، فإن المنهج الجمالي ، من الممكن النظر إليه باعتباره محصلة لمحاولات المنتجين والفنانين لتكييف عملهم ، او جعله مناسبا ، للمتلقين من خلال الحفاظ عليه داخل سياق القيم الشائعة الخاصة بالمجتمع .

# العلوم الاجتماعية في مقابل علم النفس

من الواضح ، من خلال هذا المسح ، لاهتمامات العلوم الاجتماعية المتنوعة والمتسعة بالأدب ، وبالرغم من انشغال هذه العلوم بمواد مكتوبة أخرى غير الأدب ( كالوثائق الشخصية مثلا ) وبدرجة كبيرة ، فإن أهمية الأدب هي أمر معترف به ومقبول من قبل معظم الدارسين الاجتماعيين . وقد أدى الانشغال المشترك بين العلوم الاجتماعية المختلفة بالأدب الى تطوير المادة الخاصة التي ينصب عليها هذا الانشغال ، وكذلك الى حدوث تطورات خاصة في مناهج البحث ، وفي وجهات النظر أيضا .

ويشير الاحصاء الخاص للدراسات التي اعتمدت على تحليل المضمون وكما تظهر ذلك مراجعة « هوفلاند » ( وقد طبق هذا الاسلوب بشكل متكرر على المواد الأدبية ) الى انه من بين كل الدراسات التي أجريت في العلوم الاجتماعية واعتمادا على هذا الاسلوب ، قد اجرى حوالي ١٠٪ منها فقط في مجال علم النفس . وربما أمكن تفسير هذا التفاوت في الاهتمام بالأدب بين علم النفس والعلوم الاجتماعية في ضوء ذلك الفارق التقليدي بين اتجاهات هاتين المجموعتين من العلوم ( علم النفس والعلوم الاجتماعية ) والخاصة بمدى تقبلهما للبيانات الموضوعية لمناهج البحث التاريخية وأسلوب التحليل الوصفي . لقد قام عالم النفس دوما وبشكل عام بتفضيل البيانات الموضوعية ، ومناهج البحث التجريبية ، والتحليل التنبؤي ، وذلك لأن كل هذه الأساليب تتضمن صرامة أكبر . لقد تأثرت التوجهات المتعارضة الخاصة بكل مجموعة من هاتين المجموعتين أيضا بذلك المدى الذي قامت عنده الشخصيات البارزة الكبيرة ، في كل مجال ، بالاستفادة من الأدب ، فقد طرحت الشخصيات البارزة في العلوم الاجتماعية ـ أمثال « ماركس » ، و « فيبر » ، و « سبنسر » ، و « سوروكن » اشارات جادة وهامة للأدب في اعمالهم .

وفي مقابل ذلك ، فإن الشخصيات البارزة الكبيرة في علم النفس ( باستثناء المعالج النفسي غير الأكاديمي « فرويد » ) نادرا ماقامت بذكر مثل هذه الاشارات . هذا إن كانت قد فعلت ذلك على الاطلاق . ( يجب الاعتراف بتلك الصعوبات المتضمنة في عملية فصل علم النفس عن العلوم الاجتماعية ، وذلك لأن التمييز التقليدي الكبير المطروح في هذا الشأن ، والذي مفاده ان علم النفس يهتم بالفرد في مقابل اهتمام العلوم الاجتماعية بالجماعة او المؤسسة الاجتماعية ، هو تمييز غير مناسب ويتضمن تبسيطا زائدا للأمور . كذلك يقوم الفرع الخاص من علم النفس « والمسمى علم النفس الاجتماعي » بتعقيد اى

تمييز بين علم النفس والعلوم الاجتماعية ، وذلك لأنه يشتمل على علماء النفس الذين يكون انشغالهم بالسياق الاجتماعي موجها من خلال اهتمامهم بالفرد والعمليات النفسية الخاصة بهذا الفرد .

وقد اشار « لينهارت Leenhardt » حين قام بالتمعن في هذا التباعد بين علم النفس والعلوم الاجتماعية ، الى ذلك الاسهام الواسع والمتفشي لمصادر اجنبيـة في العلوم الاجتماعية . ومثل هذا التأثير التاريخي والفلسفي ، وهو الذي يتزايد فيه احتمال تضمين الانسانيات في طريقته في التفكير ، هو تأثير يتكرر وجوده بدرجة أقل في ذلك المجال المعزول الخاص بعلم النفس . على كل حال ، وكما سنناقش ذلك فيما يلي من صفحات ، فإن عددا قليلا نسبيا من اهتمام العلوم الاجتماعية المعترف به بالأدب ، هو ماتم توجيهه نحو البحث « الامبيريقي » .

# البحوث حول المواد الأدبية

رغم العدد القليل نسبيـا من المشكلات التي تم بحثهـا امبيريقيـا في العلوم الاجتماعية ، فإن هذا العدد القليل قد قام بالتصديق الملموس على امكانية تطبيق المنحى العلمي على الأدب . وقد اجرى علماء الاجتماع معظم هذه الدراسات ، وقد اجريت عادة على اعمال شعبية منتشرة ، مثل القصص القصيرة التي تنشرها المجلات واسعة الانتشار . وليس المقصود من المراجعة التالية ، والتي تم تنظيمها في ضوء نمط الشكل الأدبي الذي درس ، هو فحص التفاصيل المتعلقة بالاجراءات والنتائج والاستنتاجات الخاصة بهذه الدراسات ، بقدر ماهو الاحاطة بأنواع المواد الأدبية وشبه الأدبية التي استخدمت في انماط مختلفة من المشكلات الموجهة من خلال العلوم الاجتماعية .

**الروايـــة :**

رغم وجود دراسات امبيريقية أقل حول الرواية مقارنة بالدراسات التي أجريت على اشكال ادبية أخرى ، فإن هذه الدراسات قد كانت عادة شديدة الطموح ، كما انها توصلت الى نتائج كيفية أكثر منها كمية . فقد قام « جروسمان » بدراسة ومقارنة خمسين عملا روائيا مشهورا في فترتين مبكرتين من تاريخ الأدب الانجليزي . ومعتمدا بدرجة كبيرة على التحليل الانطباعي المدعم بعملية العد أو الحصر لمتغيرات عديدة ( على سبيل المثال : المكان الذي تحدث فيه الرواية ، والشخصيات الأساسية ، ومشكلات هذه الشخصيات ) وقد تعاملت تحليلاته الذاتية والموضوعية مع دوافع القراء في ذلك الوقت ، وكذلك مع مشاعر هؤلاء القراء الخاصة بالدين وبالنظـام الاجتماعي السائدين في مجتمعهم . وقـام « لوفينثال » بمراجعة الخصائص البارزة المميزة لروايات القرن الثامن عشر ، اضافة الى

المعلومات المتوفرة حول المكتبات وحول مبيعات الكتب ، من اجل الكشف عن تلك الجوانب الخاصة من حياة المجتمع في ذلك الوقت ، مثل اتجاهات القراء الخاصة نحو التفاؤل او نحو اليأس[١٠] .

كذلك اعتمد « وات Wattt » بدرجة كبيرة على مصطلحات كيفية في تفسيره لتحليله الاحصائي لاستجابات عامة الناس واستجابات النقاد لرواية « روبنسون كروزو » وقد ناقش هذه الاستجابات باعتبارها بمثابة الاسقاط لحاجات القراء والنقاد الخاصة ، أى أنهم نظروا الى شخصية « كروزو » باعتبارها ذات نزعة فردية فظة بدائية ، او انه مقاول صارم ، رغم ان هذا لم يكن في مقصود المؤلف . كذلك فحص « لوفينثال » كيفية استقبال او تلقي أعمال « ديستوفيسكي » في ألمانيا من خلال تركيزه على الأيديولوجية السياسية للمتلقين ، وقد شعر الباحث ان هذه الايديولوجية هي ماتدفع القراء للاستجابة للأدب بطريقة خاصة[١١] . ورغم ان هذه الدراسات كانت انطباعية الى حد كبير ، فإن دراسة « روزنجرين Razengreen » الخاصة حول مراجعات الرواية في فترتين زمنيتين كانت دراسة تعتمد اساسا على التحليل الكمي . ولم يصل « روزنجرين » الى اية إستجابات جوهرية حول القضايا الاجتماعية ، لكنه بين أن مثل هذه المراجعات قابلة للتحليل الاحصائي ، وأثبت أنها من الممكن ان تكون اداة ثابتة وصادقة من أدوات التحليل الاجتماعي .

## القصص القصيرة :

قامت بحوث العلوم الاجتماعية بالتركيز الخاص على القصة القصيرة المنشورة في المجلات واسعة الانتشار ، وربما حدث هذا بسبب ماتكون عليه هذه القصص من اختصار مما يجعل القيام بالتحليل الاحصائي عليها اكثر كفاءة ( أو أسرع ) . فقد قام « بيرلسون وسيلتر » بدراسة على حوالي مائتين من القصص القصيرة التي كتبت عبر فترتين من الزمن مع الاهتمام بالصورة الموجودة في هذه القصص حول المركز الاقتصادي ، والمهن ، والأدوار الخاصة ببعض جماعات الأقلية . وقام هذان الباحثان بمقارنة تلك الخصائص الموجودة حول هذه الاقليات في القصص بثقافة هذه الجماعات وكذلك البيانات السكانية المتوفرة حولها . وقام « انجلز Inglis » بدراسة مسحية حول المرأة كجماعة خاصة محرومة من المزايا ، وقام بالتعامل مع صورة بطلات القصص كما ظهرت في قصص احدى المجلات في الثلث الأول من هذا القرن ( على سبيل المثال مايتعلق بالمهنة مثلا ) وقد وجد ان مركز المرأة في هذه القصص يعكس ، وبدرجة مايسبق ، الاتجاهات الفعلية الخاصة بأدوارهم كما تحددها بيانات الاحصاء السكاني .

وتمت دراسات اخرى حول خصائص مميزة اخرى لبطلات القصص في أنماط

اخرى من المجلات . وعلى سبيل المثال ، وجد « فلورا » صورا نمطية stereotype خاصة حول المرأة في مئات عديدة من قصص الكتاب القصيرة في الولايات المتحدة وفي امريكا اللاتينية ( من بين هذه الصور على سبيل المثال : الاعتماد على الآخرين ، السلبية ، وعدم الكفاءة ، والزهو أو الغرور ) ، وقد وجد ان هذه الصور النمطية هي صور متسقة عبر الثقافات والطبقات والمهن المختلفة للقراء .

وقام « جونز ـ هايني وجيرت Johns- Heine & Gerth » بدراسات خاصة حول أبطال القصص الذكور ، وأعمارهم ، ومهنهم ، وخصائص مميزة اخرى خاصة بهم ، وذلك في واحدة من أكثر المجلات انتشارا عبر مدى زمني وصل الى اربعين عاما . وقد وجدا ان هؤلاء الابطال يعكسون قيم القراء ( واعتمادا على بيانات التوزيع ) وذلك بالنسبة لأبعاد عديدة ( من بينها مثلا : الحب ، والنجاح ) . وقام « هيرش » بطرح تحديد فحواه ان صورة العلماء في ٣٠٠ قصة قصيرة من قصص الخيال العلمي قد تغيرت فيما بين عامي ١٩٢٦ ، ١٩٥٠ ، وكنتيجة للتيارات التاريخية والاجتماعية السائدة : فقد أصبح الحل العلمي واحدا فقط من بين انماط عديدة من الحلول المطروحة بالنسبة للمشكلات الاجتماعية ، بدلا من الحل الكبير الواحد ( اى انه تم وضع التكنولوجيا ، والشجاعة ، والذكاء في الاعتبار ايضا ) . كما أن الصورة الكبيرة التي كانت مرتبطة بشخصية العالم قد بدأت في التناقض ايضا .

هناك دراسات أخرى قامت بالتركيز على القيم الاساسية للشخصيات أكثر من تركيزها على الأوصاف الخاصة بالجماعات . فقد قام « ألبرخت » بفحص الدوافع السائدة في عدة مئات من القصص القصيرة ( على سبيل المثال : الزواج كهدف وحيد للحياة ) . وقد وجد ان الأنواع المختلفة من هذه الشخصيات كانت متشابهة فيما يتعلق بتصويرها الخاص لهذه القيم ، وذلك رغم الاختلاف فيما بين هذه المجلات فيما يخص شعبيتها بين قراء يختلفون في خلفياتهم الاجتماعية الاقتصادية . وقد اشارت دراسة قام بها « تافيس Tavis » الى انه من الممكن تسجيل ( اى اعطاء درجات ) الموضوعات الوجودية المتكررة الخاصة بالاغتراب والعزلة وكيفية التوصل الى حلول لهذه الحالات ، في قصص تنتمي الى فترات زمنية مختلفة . وقد تتبع « وايبل » التعبيرات المختلفة عن النجاح في الاعداد المبكرة من مجلة Saturday Evening Past ( وحتى عام ١٩٢٨ ) .

واستنتج « مانفريدي Manfredi » ان القصص المأخوذة من مجلتين مختلفتين من الممكن تسجيلها باعتبارها تقدم وسائل للهروب وخفض مشاعر الحرمان او عدم الاشباع لدى القراء ، ومن خلال المقارنة بين الخصائص المميزة للقصص وبين المعلومات المميزة المعروفة عن القراء . ووجه « مارتل و ماكجال Martel &Mcball » اهتماما خاصا بالجوانب

المنهجية الخاصة باختيار العينة وطريقة تحليل المضمون المتبعة في تحليلهما للقصص المنشورة في المجلات واسعة الانتشار ، وذلك عبر النصف الأول من القرن العشرين . وقاما بالتحديد الكمي لعديد من الأبعاد منها : المواضع او الأماكن المستخدمة في فترات مختلفة ، المركز الاجتماعي للذكور والاناث كما تم تنظيمه من خلال العمر ، والطبقة ، والمهنة ، والتعليم الدراسي ، والوضع الزواجي ، بل لقد اهتما ايضا بجوانب اكثر دقة مثل استخدام مؤشر لتحديد موضع الموضوع الرئيسي في القصة بالنسبة لبعد التحرر ـ المحافظة : واستنتج هذان الباحثان ، كما فعل معظم الباحثين الآخرين ان المصدر الخاص بالمتعة التي تحدثها القصة انما يكمن في تماثلها مع اهتمامات وقيم ومثل وطموحات قرائها .

أجريت بحوث أيضا حول الاختلافات بين الثقافات المختلفة كما تظهرها القصص المنشورة في المجلات . وقد استخدم « جنجلنجر Ginglinger » الأبعاد الخمسين الموجودة في تحليل القيمة لدى « وايت » كي يفحص المجلات الأمريكية والفرنسية ويفحص تمثيل هذه المجلات للقيم الثقافية المختلفة في هاتين الحضارتين . وقام « واين » بالمقابلة بين القيم الأمريكية والقيم السوفييتية في المجلات اعتمادا على المادة المرسومة في القصص والموجودة في مجلتين منتشرتين في هذين البلدين وقد كانت الصور التوضيحية المصاحبة للقصص السوفييتية اكثر اقتصادا واكثر جمالية ، بينما كانت الصور التوضيحية المصاحبة للقصص الأمريكية اكثر تدينا واكثر اجتماعية .

انعكست الاهتمامات بما هو موجود عبر الثقافات ايضا في دراسات انثروبولوجية اجريت على انماط اخرى من المواد الأدبية المختصرة فقد فحص « دى فوس » و « هيلر » الحكايات الخرافية الخاصة بجماعات بدائية عديدة باعتبارها سلوكا تعبيريا خاصا بمؤسسات معينة ويتشابه مع المواد الأكثر تلقائية التي نجدها في الاختبارات الاسقاطية ، وكذلك في محتوى الأحلام ، والموسيقى ، والفن التشكيلي ، والفكاهة . وقام « كولبي Colby » وزملاؤه ، وبطريقة أقل تأثرا بالوجهة العلاجية ، بالتحليل الكمي لأساطير « النافاجو » والاسكيمو ، وذلك في ضوء ابعاد مثل الخصائص المميزة ، والقيم الخاصة بالمنزل واللعب ، والتعبيرات عن الغضب ، والاتجاهات نحو المكان ، ونحو الخير والشر . كذلك قام « كورتين Karten » بتحليلات مماثلة حول الحكايات الخرافية الأثيوبية .

لسوء الحظ ، لم يقم الباحثون باختبار استجابات القراء بشكل مباشر ، لكنهم اعتمدوا ، بدلا من ذلك ، على مضمون القصة ، ويعكس هذا الحذف ، او الاستبعاد ، لاستجابات القرد تحيزا خاصا في مناهج البحث ، وفي تصورات العلوم الاجتماعية ، ويحدث هذا التحيز ، بشكل متسق ، في كل البحوث ألتي أجراها العلماء الاجتماعيون على الأدب .

## الدرامـــا :

اجتذبت الدراما أيضا اهتمـام الباحثـين في العلوم الاجتمـاعية . فقـد قام « ماكجرانهان » و « واين » بدراسة على أكثر المسرحيات الأمريكية والألمانية شهرة في فترتين زمنيتين في ضوء تكرار موضوعات رئيسية وحبكات ونهايات مختلفة ، وكذلك في ضوء وجود انماط مختلفة من الصراع في هذه المسرحيات . وقد وجد هذان الباحثان فروقا عديدة بين هذين القطرين ، فقد وجدا ، مثلا ، ان المسرحيات الأمريكية تعطي اهتماما كبيرا لموضوعات الحب والسلوكيات الاخلاقية ، بينما تقوم المسرحيات الألمانية بالتركيز على النواحي المثالية* وعلى القوة . وقام هذان الباحثان بتدعيم هذه النتائج من خلال استخدام مصادر غير أدبية للمعلومات ( كالاستبيان مثلا ) . كذلك قارن « هيد Head » بين المسرحيات والتمثيليات التليفزيونية الأمريكية والألمانية . وقد وجد أنـه تكرار الموضوعات الرئيسية المختلفة في تمثيليات التليفزيون والمسرحيات الأمريكية هو تكرار متشابه ( على سبيل المثال تكرار موضوع الحب ) اما تكرار هذين النمطين من الدراما في المنتجات الألمانية ، فلم يكن مرتبطا او متماثلا . وقارن « جاردنر L.W.Gardner » بين أنماط مختلفة من برامج التليفزيون في أمريكا وفي اليابان . وقد وجد انه رغم ان هاتين الجماعتين قد اظهرتا نفس الاهتمام بالدراما في التليفزيون ، فإن البرامج التعليمية في التليفزيون الياباني كانت اكثر تكرارا من مثيلتها في التليفزيون الأمريكي ، بينما كانت عروض الأطفال والمنوعات اكثر تكرارا في التليفزيون الأمريكي .

من الممكن ان نجد في مجموعة « القراءات المختارة » التي قام « لازارزفيلد وستانتون » بتجميعها امثلة على الأنماط المختلفة من البحوث التي تمت على مضمون الاذاعة ومستمعيها ، وهي بحوث ذات درجات مختلفة من الدقة البحثية . وتعتبر المقالات التي كتبها « ارنهايم » حول مايسمى « بالأوبرا الصابونية Soap Opera »** والتي كتبها « بيتمان Peatman » حول الذوق في الموسيقى الشعبية ، من المقالات ذات الأهمية الخاصة

* الجدير بالذكر ايضا ان المثالية هي مذهب فلسفي يقول بان الحقيقة المطلقة كامنة في عالم يتعدى عالم الظواهر ، ومن اهم ممثليه في المانيا ، هيجل ، ( المترجم ) .

** وهي مسرحيات اذاعية او تليفزيونية مسلسلة تعالج مشكلات الحياة المنزلية ( المترجم ) .

وذلك بسبب اعتمادها الكبير على البيانات الكمية المشتقة من استخبارات ( او استبيانات ) وأساليب بحثية مسحية في هذا المجال . كذلك ناقش « لازارفيلد » البحوث التي أجريت على المتلقين في ضوء أبعاد عديدة . وقد قامت الدراسات « الامبيريقية » التي قام باحثون امثال « اردیلي Erdelyi » ، و « جاكوبوفتش Jacpbawits » ، و « وايبي Wiebe » بالربط بين عوامل عديدة تتعلق بسلوك المتلقين منها : عدد مرات التكرار لأغنيات مشهورة وفقا لمطالب او تفضيلات المستمعين ، وكذلك ، وفي ضوء جوانب أكثر اقتصادية ، عدد المبيعات ، كذلك تم الربط بين تفضيل مقطوعات مشوقة من الموسيقى ، وبين السلوك الخاص بذهاب المتلقين او المستمعين ، لهذه الموسيقى ، الى السينما ، وذلك عبر فترات زمنية مختلفة ، وأيضا بالنسبة لمجموعات مختلفة عمريا من الناس ، على كل حال ، فإن مايوجد حول الدراما الاذاعية والتليفزيونية من مناقشات هو اكثر مما يوجد حولها من دراسات ، وتوجد هذه المناقشات في عدد كبير من المصادر منها ماكتبه او جمعه باحثون أمثال « هيرتزوج Herzog » ، و « وارنر Warner » ، و « هنري Henry » ، و « ويلسون C. Wilson » في هذا الشأن . ورغم أن هذه المصادر تتعامل مع الدراما ومع ردود أفعال المتلقين وخصائصهم المميزة ، فان معظمها غير مهتم بالدراسات الكمية . لكن هذه المناقشات ، على كل حال ، توحي بامكانيات خاصة تتعلق بالتحديد الكمي لاستجابات المتلقين ، بمن فيهم قراء الأدب .

## الفيلـــــم :

اجتذب « الفيلم » اهتمام العديد من الباحثين الامبيريقيين ، بسبب ـ كما لاحظ ذلك « سمث » و « هوفلاند » ـ وزملاؤهما ـ مناسبة الأفلام الكبيرة لدراسة موضوعات الجماليات والتعليم والدعاية . فقد قام « جونز D.B.Jones » بحصر وتدوين نتاجات « هوليود » من الأفلام عبر سنة واحدة من خلال مصطلحات كمية مباشرة في ضوء تشكيلة كبيرة من الأبعاد منها : القيم التي تعكسها الشخصيات ( مثل قيمـة الأمن مثلا ) والخصائص الديموجرافية أو السكانية ( كالحالة الزواجية مثلا ) والظهور البـارز لموضوعات رئيسية معينة ( كالحب مثلا ) وكذلك الدرجة التي يتم عندها الوفاء أو ـ الانجاز او الالتزام ـ بالقيم والموضوعات الرئيسية . وقد قام « ترستون Thurstone »

* من الخصائص السكانية الاخرى نجد : السن والنوع ( ذكر او انثى ) والمهنة ... الخ ( المترجم ) .

بتطوير مقياس للاتجاه وايضا تطوير استبيان حول أفلام السينما . ومن خلال هذه الأداة قام « باندا Panda » وزملاؤه وكذلك « باتال Patal » بقياسات خاصة حول مجموعات مختلفة من المشاهدين ، وحول الخصائص السكانية المميزة لهم ( كالعمر والنوع ، والخلفية التعليمية ) ، اضافة الى الفروق في شخصيات وفي الأبعاد الثقافية المختلفة الخاصة بهذه المجموعات من المشاهدين . وقام « ويليامز » بدراسة مسحية حول مشاعر الطلاب واهتماماتهم بأنماط مختلفة ، وبموضوعات مختلفة من الأفلام ، واهتم « أناست Anast » كذلك بدراسة تكرار مرات الذهاب إلى السينما .

وقام « وولفنشتاين » ، و « ليتس » بشكل أكثر نظرية : بدراسة مسحية فحصا فيها أفلاما تخص أقطار عديدة عبر فترتين من الزمن ، ومن خلال وجهة تحليلية نفسية من النظر . وعلى المستوى الكمي ، قام هذان الباحثان أولا بحصر أكثر الموضوعات الرئيسية النمطية المتكررة الواضحة في هذه الأفلام ، وقد أصبح هذا الحصر هو الأساس الذي اعتمد عليه المؤلفان في القيام بتأملاتهما حول الدلالة الانفعالية للأفلام بالنسبة لمشاهديها ، وكذلك بالنسبة للثقافات الخاصة بها . واعتمد « سكيف Schiff » على الأحكام الخاصة بالمشاهدين والتي قدروا من خلالها مقدار زمن مداومتهم الظاهرية* بالنسبة لنوعين من الأفلام ، كان النوع الأول منهما من الأفلام الوثائقية ، وكان النوع الثاني من أفلام التربية الفنية ، وقد استخدم « سكيف » تقديرات المشاهدين هذه باعتبارها مؤشرا على مدى اهتمامهم بمتابعة هذه الأفلام . وقد وجد ان المشاهدين قد بالغوا في تقديرهم للزمن الذي قضوه في مشاهدة هذين النوعين من الأفلام وبدرجة متماثلة ، وسواء تم أخذ هذه التقديرات بشكل مباشر عقب الانتهاء من مشاهدة الفيلم ، أو تم أخذها بعد فترة من الزمن .

وقام « أشايم Asheim » بدراسة لفحص القضية الهامة التي فحواها ماإذا كان كتاب ما يحرز فوائد أكثر أم أن هناك اضرارا تلحق به إذا تم تحويله الى فيلم . وقد قام « أشايم » ، خلال هذه الدراسة ، بفحص التغيرات التي حدثت نتيجة تحويل أربعة وعشرين عملا أدبيا من الأعمال الكلاسيكية في تاريخ الأدب ( منها على سبيل المثال : رواية « الكبرياء والهوى »** ، ورواية « أنا كارنينا »***) . ومن أجل قياس الانحراف أو المسافة التي يبتعدها الفيلم عن الكتاب الأصلي ، قام هذا الباحث بمقارنة تحليل المضمون

---

* اى الزمن الذي يعتقدون انهم قضوه في مشاهدة الفيلم وليس الزمن الحقيقي الذي يقاس بالساعة ( المترجم ) .
** من تاليف الروائية الانجليزية « جين اوستن » ( المترجم ) .
*** من تاليف الروائي الروسي الشهير « ليو تولستوي » ( المترجم ) .

الخاص بالموضوعات الرئيسية المختلفة في الكتاب وفي الفيلم ، ومن ذلك مثلا ، ما إذا كانت نهاية الفيلم تؤكد أو تنفي القضية الأساسية في القصة الأصلية . وقد توصل « اشايم » الى نتائج عديدة من بينها انه قد أكد ان عمليات التسلسل الزمنية في القصة غالبا مايتم السير على هديها في الفيلم ، وبشكل يفوق عمليات عدم الالتزام بهذا التسلسل الزمني ، والتي تحدث احيانا ، كذلك وجد هذا الباحث ان معظم الأفلام تشتمل على نهايات مماثلة للنهايات الموجودة في القصص ، وخاصة اذا كانت نهايات الكتب نهايات سعيدة ، وأيضا انه تمت المحافظة على الموضوعات الرئيسية غير السارة اذا لم تكن هذه الموضوعات موضوعات سلبية ، وإذا لم تقم باثارة شكوك المشاهدين حول معتقداتهم الأساسية ، ولم تتعامل مع حالات التردد والاحباط ، والعجز واليأس .

## نقـــــد

لم تقم العلوم الاجتماعية الأخرى غير علم النفس بمقاومة عمليات دراسة الأدب ودراسة الأشكال النثرية الأخرى المرتبطة به . ورغم ان الأمثلة الشائعة وشبه الأدبية والتي استيقت من وسائل الاعلام كانت هي التي درست غالبا اكثر من غيرها ، فإن منظري العلم الاجتماعي وباحثيه لم يترددوا او يتراجعوا عن التعامل مع مصادر للمعلومات يمكن وصفها بأنها غير مألوفة وغير نمطية نسبيا . لقد وجدوا ان المصادر الأدبية مصادر مفيدة ومن ثم فقد قاموا بتحليلها في ضوء الأساليب المنهجية والكمية المتاحة .

على كل حال ، فان هناك العديد من العيوب الخطيرة في هذه الجهود ، وكما اشار الى ذلك الباحثون انفسهم الذين قاموا بها . وعلاوة على ذلك ، فإنه رغم الدور البارز للأدب في العلوم الاجتماعية ، تظل هناك تذمرات ومظاهر سخط فحواها ان معالجة الأدب في هذه العلوم لم تكن متسمة بالكفاءة : « لقد كانت معالجة » مشتتة ، وغير منظمة ، حتى رغم كونها كبيرة الحجم »[١٤] . وكذلك فان « استفادة علماء الاجتماع فقط من الأعمال الأدبية في دراساتهم كانت استفادة نادرة فقط[١٥] . ويجد المرء نفسه مرة اخرى مقاومة كل من علماء الانسانيات والعلماء الاجتماعيين لفكرة اجراء بحوث على المواد الأدبية . لقد كان هناك ، كما يؤكد « بلُوك Black » نوع من الخلط فيما يتعلق بعلاقة الأدب الخاصة بالمجتمع ، أى فيما يتعلق بدور الأدب باعتباره عاكسا للأحداث الاجتماعية ، أو باعتباره مفسرا ، او مستبقا ، او بادئا لها . وهناك نقد عام آخر فحواه ان علم الاجتماع قد وجه اهتماما اكبر الى الأدب بدرجة تفوق كثيرا اهتمامه بالفن . ويرجع هذا كما يقول « كوفاليس

Kavalis » الى ان علماء الاجتماع يشعرون بأن الأدب اسهل في دراسته من الفنون الأخرى . ويجب ان نلاحظ ان هذه الأولوية في توجيه الاهتمام وكذلك مبررها هي عكس ماحدث تماما في علم النفس ( أنظر الفصل الأول ) .

هناك مجموعة من مظاهر الضعف الأكثر نوعية في دراسات العلم الاجتماعي . فكثيرا مايجد المرء سذاجة في استخدام الأساليب الاحصائية في الدراسات الامبيريقية التي تتم على المضمون الأدبي ، ومن خلال هذه السذاجة يجد المرء أن الباحثين قد اقتصروا في تحليلاتهم على عمليات العد او الحصر لبعض الأرقام ، أو أنهم قد قاموا بحساب النسب المئوية دون ان يستخدم اختبارات احتمالية جوهرية ناتجة . كذلك فانه عادة مايتم وصف البيانات ببساطة دون الاشارة الى الثبات والصدق والمعنى الاحصائي الخاص بها . وهناك جوانب قصور اخرى جديرة بالتنويه في مناهج البحث ، وفي اساليب تحقيق الصراحة والاحكام . وعلى سبيل المثال ، فاننا غالبا ما لا نجد اى نوع من انواع الخط القاعدي Base Line ( أو المجموعة الضابطة ) ومن ثم يكون من الصعب تماما الحديث بطريقة ذات معنى عن الفروق او القيام باجراء مقارنات أخرى ذات معنى بين البيانات والاتجاهات العامة للنتائج . وبطريقة متكررة هناك فشل في استخدام معلومات أخرى مدعمة للبيانات الأدبية من مصادر غير ادبية ( على سبيل المثال المعلومات « الديموجرافية » او السكانية ، والمعلومات التاريخية ) .

وتضع هذه العمليات الخاصة باغفال او اسقاط جوانب منهجية هامة ، صعوبات كبيرة امام عمليات تفسير دلالة النتائج التي يتم الوصول اليها . فهل ترجع النتائج او الآثار ، او العلاقات التي توصلنا اليها الى تلك العوامل المفترضة ، ام الى عوامل اخرى غير مناسبة ، ام انها ترجع الى الصدفة ؟ وعلاوة على ذلك ، فانه وبسبب المعلومات القليلة التي تعطى عادة حول الاجراءات ، يجد المرء صعوبة شديدة في معرفة الكيفية التي تم من خلالها التعامل مع مشكلات الثبات واختيار العينة ، وكذلك اختيار الفئات القابلة للقياس . وقد تمت الاشارة سابقا الى الصعوبات التي يعاني منها اسلوب تحليل المضمون ، وهو الاسلوب الرئيسي في تحليل العلوم الاجتماعية للأدب . ومما يساعد على تعقيد هذه المشكلات ، اننا نجد ان الانطباعات الذاتية غالبا مايتم تضفيرها مع التحليلات الكمية ، ومن خلال طرائق مجهولة ، وبدرجة ما من درجات عدم اليقين . وهناك جانب خطير آخر يتمثل انه لا يحدث أى ربط فعلي بين البحوث المختلفة وبعضها البعض ، كما لا يتم متابعة هذه البحوث من خلال دراسات مرتبطة بها . ان مانجده بدلا من ذلك هو العزلة بين الدراسات ، ربما لأن المقدار الكبير من البحوث كان فقط عبارة عن عملية انشغال بعمل ما ،

وهو عمل لم يتم فيه اختبار الفروض الخاصة بشكل متكرر ، واجرى مدفوعا بالفكرة العامة التي فحواها القيام بوصف مايمكن ان نجده ، او من خلال الهدف الاجرائي الذي مفاده ان اسلوبا ماهو اسلوب مفيد . ويعني هذا ان اولوية كبيرة قد وجهت خلال العمل نحو اثبات ان البحوث الخاصة حول الأدب هي امر ممكن .

لوحظت مشكلات أخرى في سياق البحوث التاريخية السيكوبيوجرافية* ( أو الوصفية النفسية ) وخاصة في المصدر الأساسي الذي قدمه « جرينشتاين » و « ليرنر Lerner » حول هذا الموضوع ، ولكنها مشكلات تنطبق بشكل عام ايضا على معظم أنواع التحليل الأدبي . وتشتمل هذه المشكلات على المبالغة في قيمة المحددات النفسية الاجتماعية ، والتأكيد على دور المؤثرات السلبية في حياة الانسان ، والاختيار العشوائي للمصطلحات المستعارة من العلوم الاجتماعية . ونتيجة لذلك ، فإن معظم الجهد المبذول يبدو جهدا غير مؤثر نسبيا ، وذلك بسبب اجدابه المنهجي ، وكذلك بسبب ضعف علاقاته بالقضايا الأكبر وبالنظرية . فبالرغم من وجود عدد كبير من المناقشات التأملية حول الأدب في سياق العلم الاجتماعي ، فإن البحوث الامبيريقية هو عدد قليل نسبيا ، مقارنة بعدد المقالات الفكرية والتأملية والنقدية والوصفية . وهناك عائق آخر للأدب ، ويتمثل في أن الدراسة « الامبيريقية » للأدب قد تم قطعها او فصلها عن التيار الرئيسي للعلوم الاجتماعية ، وهو التيار الذي استخدمت فيه مواد نثرية اخرى غير ادبية ( كالوثائق مثلا ) ضمن أطر نظرية أوسع . فرغم النزعة « الامبيريقية » والكمية الأكبر ، لم يصب الأدب في العلوم الاجتماعية نجاحا يفوق ماحققه في علم النفس .

على كل حال ، فإنه بقدر ماهي عليه هذه النقائص من قصور ، بقدر مايمكن تحاشي العديد منها ، او التعويض عنها ، او التحسين من وضعها الراهن . خاصة اذا اصبح عدد اكبر من الدارسين الموجهين نظريا ، ومن الباحثين المحنكين منهجيا ، اكثر اهتماما بالمواد الادبية واكثر اعترافا باستحقاقها للبحث . وحتى عندما لا يكون مستطاعا التغلب على كل المشاكل المرتبطة بالتحليل الأدبي تغلبا كاملا ( وذلك بسبب الأساس الانطباعي المرتبط بهذه المشاكل مثلا ) فمن الممكن استخدام انواع اخرى من البيانات ، ومن بينها تلك البيانات التي نحصل عليها من المصادر الموضوعية ( كالمقابلات مثلا ) ومن المواد التقليدية ( ومنها السجلات المكتوبة مثلا ) وذلك من اجل تدعيم وتوسيع حدود ماقد يمكن ان يحد من قيمة المعلومات المتوفرة في ايدينا ، بطريقة او بأخرى .

---

* أى بالدراسات التي تقوم بوصف ودراسة السير الذاتية والتراجم الخاصة بالساسة و القادة من خلال التركيز على الخصائص النفسية لهم ( المترجم ) .

رغم الصعوبات الخاصة بالدراسة الأدبية ، فإنه من الواضح ان العالم الاجتماعي ، على عكس عالم النفس ، يتقبل الكاتب باعتباره حساسا للمشكلات المناسبة لهذا العالم الاجتماعي تحديدا . وقد لايكون العديد من اهتمامات العالم الاجتماعي هي نفسها اهتمامات عالم النفس ( على سبيل المثال الجماعة وليس الفرد ) او انهما قد يقوما بتركيز اهتماماتهما على بؤر مختلفة من الموضوع موضع الاهتمام ( مثلا دور المؤسسات الاجتماعية في مقابل العمليات الشخصية ) ومن ناحية اخرى ، وهناك موضوع من موضوعات الاهتمام الأخرى يشترك فيه الأدب مع علم النفس ، ويتعلق بالخبرات الفردية . فالأدب يختار ، ويركز ، وينظم ، ويتسامى او يرتفع بخبرات الناس . وكما أكد اثنان من العلماء الاجتماعيين فان « المادة الأساسية للأدب هكذا هي الخبرة »(١٧) .

فاللغة والكلمات الخاصة بثقافة ما ، سواء كانت ـ هذه اللغة والكلمات ـ أدبية أم لا ( لكنهما تقومان بذلك بشكل خاص اذا كانتا تنتميان الى الأدب ) تعكسان مشاعر واتجاهات أعضاء المجتمع .

يجب ان يشجع اهتمام العلوم الاجتماعية بالأدب كمصدر مناسب للمعلومات ، وكذلك النوايا الطيبة الموجودة في هذه العلوم نحو دراسة الأدب ، وكذلك قدرة العلوم الاجتماعية على القيام بهذا ولو بقدر ضئيل من النجاح ، يجب ان يشجع كل ذلك علم النفس ويؤيده في انشغاله الخاص بالأدب . لقد بدأت العلوم الاجتماعية ، على الأقل ، في تطوير مناهج بحث وأساليب مناسبة يمكن من خلالها الفحص الامبيريقي للأدب . لقد قامت هذه العلوم بتوليد وانشاء فروض بحثية حول المواد الأدبية ، وقد نتج عن هذه الفروض بيانات كمية . وعلاوة على ذلك ، فقد اعترفت هذه العلوم بمخاطر الاعتماد البالغ على الأدب ، باعتباره ممثلا كاملا وانعكاسا كافيا وغير محرف للمجتمع . وهكذا فقد قاموا بتضمين الحقائق الاجتماعية الأكثر دنيوية والمأخوذة من السجلات والوثائق من اجل تجنب ماوجد « البرخت » أنه يمثل سوء الاستخدام الرئيسي في التحليل الأدبي الذي يقوم به العلماء الاجتماعيون ، ويقصد به ، المبالغة في الاعتماد على علم الاجتماع ، والمبالغة في تبسيط الأدب(١٨) .

لم يتم اعتبار التحيزات المختلفة الممكنة لدى الكاتب ، وتحريفات الفنانين لمادتهم ، وكذلك حقيقة ان الكاتب يكتب لنخبة قليلة من المتلقين ، لم يتم اعتبار كل ذلك عوائق لا يمكن الاحاطة بها او التغلب عليها عند استخدامنا للمعلومات الأدبية لأغراض امبيريقية . ان الاعتبارات الخاصة التي تختزل موضوعية احد الأعمال الأدبية هي اعتبارات تختلف في الدرجة عن الاعتبارات التي تطرح فيما يتعلق بأنواع أخرى من البيانات ، وهي اعتبارات تكون شائعة بالنسبة لأي سجل تاريخي . وعلاوة على ذلك ، فان هناك بعض الوسائل التي

يمكن القيام من خلالها بالتعويض » فالكاتب هو مفكر متخصص في الفرد » كما يحاجج ذلك « لوفنثال »[١٩] ولهذا فانه يعتبر احد انواع كتاب التقارير الذين تكون سعة وعمق استبصاراتهم ذات قيمة عالية ، رغم مظاهر الغموض الممكنة الموجودة في عمله .

ان الاتجاهات الايجابية الموجودة لدى الباحثين في العلم الاجتماعي نحو الأدب لا يجب ان تساعد فقطبل ان تدعم اهتمام علم النفس به . وبنفس الدرجة التي يكون عندها الأدب مناسبا للعلوم الاجتماعية ، ينبغي ان يكون مناسبا لعلم النفس ايضا . وفي الفصلين التاليين ، ستتم مراجعة الدراسات السيكولوجية التي أجريت على المواد الأدبية . وتؤكد هذه الدراسات بشكل أكثر مباشرة ، ان الأدب هو مصدر من مصادر المعلومات ، عالية القيمة ، بالنسبة لعلم النفس .

✡✡✡

# القسم الثاني

## نحو تأييد للدراسة الموضوعية للأدب

أشارت الفصول السابقة الى وجود تحفظات خطيرة حول انشغال علم النفس الموضوعي بالأدب ، فهناك مشكلات حقيقية وشكوك مبررة فيما يخص العلاقة الوثيقة بين هذين المجالين . ومع ذلك ، فهناك مبررات عديدة لرؤية علاقة مابين الأدب وعلم النفس ، ورؤية ان هذه العلاقة هي علاقة مفيدة وذات معنى ، وان العوائق التي تقوم امام مثل هذه العلاقة هي عوائق من الممكن الاحاطة بها ومحاصرتها . وفي الوقت الراهن ، فان المطلوب والمناسب هو وجود اتجاه عقلي منفتح نحو مناسبة الأدب وصلاحيته في مجال الدراسات النفسية .

هناك طرائق عديدة يمكن من خلالها تدعيم انشغال علم النفس الجاد بالأدب . وماهو ممكن بالنسبة للدراسة الموضوعية للأدب هو اكبر كثيرا مما قد اشير اليه . فالأدب يكشف عن صلاحيته وفائدته بالنسبة لعلم النفس من خلال طرائق عديدة منها :

(١) ان الأدب يقدم البيانات المناسبة لبحوث نفسية تالية .

(٢) يقدم الأدب التحليلات والتفسيرات الخاصة للموضوعات النفسية الرئيسية ، وهي تحليلات وتفسيرات من الممكن توسيع مداها وتدعيمها موضوعيا بعد ذلك .

(٣) يتوقع الأدب ويستبق الاجابات على الأسئلة والقضايا النفسية المطروحة ، ومن ثم يمكنه ان يقترح او يوحي بالفروض المناسبة لدراسات تالية .

(٤) يقوم الأدب بعرض ، ومن ثم بتوضيح ، الموضوعات السيكولوجية الرئيسية المعروفة .

لهذا فإن الأدب له صلاته المباشرة وغير المباشرة بالبحوث النفسية : فهو يوجد باعتباره مصدرا للمضمون وللتفسير وللأفكار ، التي يمكن اجراء دراسات تالية عليها ، وكذلك يقوم بدوره الخاص في وضع ماهو معروف فعلا من جوانب سيكولوجية في قالب مؤثر .

لقد تمت مواجهة كل الحجج المثارة ضد استفادة علم النفس امبيريقيا من الأدب ، - أو تم وضعها في اطارها الصحيح - في القسم الأول من هذا الكتاب . فالفروق بين هذين النظامين من أنظمة المعرفة ليست فروقا كبيرة ، أو لا يمكن الاحاطة بها ، كما قد تكون قد ظهرت في البداية . فيمكن لعلم النفس ويشكل له مايبرره ، أن يهتم بالأدب : فالأساليب الموضوعية متاحة ، والتجريدات الاحصائية ممكنة ، وقد اظهرت العلوم الاجتماعية انه من الممكن دراسة المواد الأدبية بقدر من النجاح ، وان المعلومات الأدبية من الممكن ان تكون مفيدة كبيانات موضحة ، وكفروض ، وكتحليلات . ومن ثم فإن هناك عدد من المبررات التي تدفعنا نحو تضمين الأدب باعتباره واحدا من المصادر العديدة للمعلومات السيكولوجية حول خبرات الانسان وسلوكه .

على كل حال ، فإنه وبصرف النظر عن عدد وجدارة كل هذه الحجج ، والمناقشات والعروض المنطقية والأمثلة الموضحة ، فإنها تظل ، جميعها ، كافية . فسيظل هامشيا بالنسبة له ، إذا ظل التأمل والعظة هما الأساس فقط لتقييم مناسبة او صلاحية الأدب لعلم النفس . ويجب ان يكون واضحا كذلك ، اضافة الى ماسبق ، ان الدراسات الامبيريقية الملموسة حول الأدب هي امر قابل للاجراء والتنفيذ في حقيقة الأمر ، وان هذه البحوث الكمية تقوم بالمساهمة ، فعلا ، في القضايا السيكولوجية والجمالية والادبية المطروحة . فإذا كان يجدر بنا ان نقترح علاقة ما بين الأدب وعلم النفس ، فإن ثمار هذه العلاقة هي ماينبغي ابرازها ، كما انه ينبغي وضع الخطوط العامة الموضحة للاحتمالات الخاصة بهذه العلاقة في المستقبل . وإلا ، فإن العاملين في مجال الأدب وفي مجال علم النفس سيظلون يشعرون بالارتياب اذا لم يوجد هناك ماهو أكثر من العلاقة السطحية العامة المطروحة بين الأدب وعلم النفس ، وبصرف النظر عن عدد ونوع المبررات المنطقية التي قد يقدمها المرء .

لقد تم تلخيص الأمثلة الملموسة من البحوث الموضحة للفوائد والمعاني الكبيرة الخاصة بالدراسة الامبيريقية للأدب في الفصلين السابع والثامن . فلم تساهم هذه البحوث العلمية بشكل مباشر فقط في فهمنا للأدب ( جذوره الابداعية ، وبنيته ووظيفته ، والاستجابة الخاصة به ) لكن هذه البحوث قد قامت ايضا ، ولو بشكل أقل مباشرة ، بتوضيح مجالات بحثية مختلفة من علم النفس ، وهي المجالات التي استخدمت المادة الأدبية فيها من اجل اغراضها الخاصة غير الجمالية . ولتجنب المخاطرة المتعلقة بالوضع المصطنع او السطحي لهذه الدراسات المختلفة في فئات معينة ، وكذلك اهمال اوجه التماثل والعلاقات بينها ، فقد تم تجميع هذه الدراسات تحت العناوين الرئيسية التالية : دراسات حول المؤلف ( شخصيته وابداعه ) في الفصل رقم ٧ ، وبحوث حول القاريء وحول العمل الأدبي نفسه في الفصل رقم ٨ .

ويقوم الفصل الختامي بتقييم المجهودات السيكولوجية في مجال الأدب على ضوء الانتقادات التي طرحها نقاد الأدب وعلماء النفس ايضا ، ثم ينتهي هذا الفصل باستخلاص الاتجاهات المتعددة التي يمكن ان تستفيد البحوث منها في المستقبل .

☼☼☼

# هوامش الفصل السادس

1. W. H. Auden, "Under which lyre," in *Nones* (New York: Random House, 1951), p. 69.

2. R. Welleck & A. Warren, *Theory of literature* (New York: Harcourt Brace, 1952), p. 89.

3. L. A. Coser, ed., *Sociology through literature* Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1963). p. 2.

4. Ibid., p. 3.

5. L. Lowenthal, "The sociology of literature," in *Communication in modern society*, (Englewood Cliffs, N. J.: Spectrum, 1961).

6. Lowenthal, "literature and sociology," in *Relations of literary study*, edited by J. Thorpe (New York: Modern Language Association, 1967).

7. M. U. Martel & G. J. McCall, "Reality-orientation and the pleasure principle: A study of American mass-periodical fiction (1890-1955)," in *People, society and mass communication*, edited by L. S. Dexter & D. M. White (Glencoe, Ill.: Free Press, 1964), p. 298.

8. C. I. Hovland, "Psychology and the communication process," in Schramm, 1948, p. 59.

9. M. C. Albrecht, "The relationship of literature and society," *American Journal of Sociology* 59 (1954): 425-436; I. Watt, "Literature and Society," in *The arts in society*, edited by R. N. Wilson (Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1964), pp. 299-311; R. N. Wilson, "The poet in American society," in R. N. Wilson, 1964, pp. 1-34, and "F. Scott Fitzgerald: Personality and Culture," in R. N. Wilson, 1964, pp. 271-298. Similar arguments are found in J. H. Barnett, "Research in the sociology of art," *Sociology and Social Research* 42 (1958): 401-405; L. H. Buckingham, "The development of social attitudes through literature," *School and Society* 52 (1940): 446-454. [*Psychological Abstracts* 15 (1941) #1489]; A. Carter, "Sociology in the new literature," *Sociological Review* 20 (1928): 250-255; Charvat, 1949; S. M. Dornbusch, "Content and method in the study of the higher arts," in Wilson, 1964, pp. 363-372; R. Escarpit, "The sociology of literature," in *International encyclopedia of social sciences*, edited by D. L. Sills, vol. 9 (New York: Macmillan & Free Press, 1968); R. Fernandez, "Dostoyevsky, traditional domination, and cognitive dissonance," *Social Forces* 49 (1970): 299-303; M. Lerner & E. Mims, Jr., "Literature," in *Encyclopedia of the social sciences*, edited by E. R. A. Seligman (New York: Macmillan, 1935), vol. 9, pp. 523-543.

10. Lowenthal, 1961.

11. Lowenthal, "The reception of Dostoevski's work in Germany: 1880-1920," in Wilson, 1964, pp. 122-147.

12. M. C. Albrecht, "Does literature reflect common values?" *American Sociological Review* 21 (1956): 722-729.

13. P. F. Lazarsfeld, "Audience Research," in *Reader in public opinion and communication*, edited by B. M. Janowitz (Glencoe, Ill.: Free Press, 1953), pp. 337-346.

14. J. H. Barnett, "Research in the sociology of art," *Sociology and Social Research* 42 (1958): 403.

15. Coser, 1963. p. 2.

16. F. I. Greenstein & M. Lerner, eds. *A source book for the study of personality and politics* (Chicago; Markham, 1971), pp.78-98.

17. Lerner & Mims, 1935, p. 525.

18. M. C. Albrecht, Review of *The novel and society*, by I. Watt, *Transaction* 6 (1969): 54-55; see also, Wilson, 1952.

19. Lowenthal, 1961, p. xiii.

# الفصل السابع

## دراسات حول المؤلف : الابداع والشخصية

تعتبر شخصية الكاتب وابداعه من الموضوعات التي تثير اهتمام علماء النفس ، فقد تعامل هؤلاء العلماء مع هذه الموضوعات عبر تاريخ هذا العلم . وتعتبر البحوث السيكولوجية في هذين المجالين من البحوث ذات القيمة بالنسبة الى نقاد الأدب ، هذا إذا كان الفهم لديناميات شخصية الكاتب سيساهم في فهم عمله ، وفي فهم العملية الأدبية لديه ، وفي فهم استجابات او ردود افعال القراء لأعماله . ويعتبر موضوعا الابداع والشخصية من الموضوعات المرتبطة ببعضها البعض ، كما انهما يتداخلان ـ فعادة مايعتبر الابداع جانبا من جوانب الشخصية ـ لكن علماء النفس الذين يعملون في كل مجال من هذين المجالين يختلفون في مقاربتهم ومعالجتهم للمادة الأدبية . فبينما تتضمن دراسة الشخصية ، عادة ، فحصا لأعمال احد المؤلفين ، فان دراسة الابداع ـ وبشكل نمطي ـ تقوم بالتركيز على حياة مجموعة من المبدعين المعاصرين ، وغالبا ما لا يكون هؤلاء المبدعون لا من المبدعين في مجال الأدب ، ولا من المبدعين في مجال الجماليات* .

سنقوم بتركيز معظم هذا الفصل على مجال الابداع ، هذا رغم أن نزرا يسيرا من بحوث الابداع هو الذي وجه نحو دراسة مؤلفي الأدب . لقد أجريت بحوث الابداع بشكل اكثر نشاطا مقارنة بالدراسات الخاصة بالشخصية الأدبية ، وقد حدث هذا منذ اطلاق السوفييت لسفينة الفضاء « سبوتنيك » في خمسينيات هذا القرن ، عندما اعطيت الأولوية لاكتشاف وتعضيد الموهوبين . ومن الممكن ان نجد مجموعات مختارة من المقالات والدراسات حول الابداع وكما تمثل ذلك في كتب مثل « الابداع وصقله Creativity and its cultivation » لأندرسون Anderson ، و « مقاربات معاصرة للتفكير الابداعي Contemporary Approaches to creativity » لجروبر وزملائه Gruber et al., ، و « الآفاق المتسعة في الابداع Widening Horizons in creativity » لـ « تايلور W.Taylor » و « الابداع Creativity » لـ « فيرنون Vernon » . وهناك مراجعة عامة للدراسات التي أجريت حول موضوع الابداع لدى « جولان Golann » كما قام « بايتيل Beittel » بمراجعة مسحية للبحوث التي أجريت حول الابداع في الفنون البصرية . ورغم علامات الاهتمام هذه فإن بحوث الابداع مقارنة بالبحوث التي أجريت في موضوعات بحثية أخرى في مجال علم النفس ، تظل بحوثا محدودة . وقد أشار « جيلفورد » الى ان هذه البحوث تمثل فقط ماهو اقل من ١٪ من نسبة العناوين البحثية الحالية في مجلة الملخصات السيكولوجية Psycholo-

---

* ويعتبر هذا من الثغرات الموجودة في معظم دراسات الابداع المعاصرة حيث انها غالبا ماتقوم بالتركيز على العلماء وتقوم بإهمال الفنانين ( المترجم ) .

gical Abstracts[1] وربما ، بسبب الجذور العملية والتربوية لدراسة الابداع ، يجد المرء اهتماما أقل موجها نحو رجال الأدب والفنون الأخرى مقاربة بالاهتمام الأكبر الموجه نحو الأشخاص « غير الجماليين » ، أى نحو العلماء والمهنيين الآخرين ، ورجال الأعمال ، (كما في بحوث « القصف الذهني Brainstorming » ) وطلاب الجامعات ، وأطفال المدارس . ولم تقم بحوث الابداع في العادة ، بالتمييز بين الابداع الأدبي وبين غيره من مناشط الابداع . وتم ، بدلا من ذلك ، تجميع كل انواع الابداع ، وبشكل نمطي مع بعضها البعض . ولهذا السبب فإن مراجعتنا لبحوث الابداع ستركز الى حد كبير على البحوث التي أجريت على الفنانين المبدعين في مجالات اخرى غير الأدب ، وكذلك على انماط المبدعين خارج مجال الفنون .

# الابداع والعقل

كان « جالتون Galton » هو الذي بدأ الدراسة الامبيريقية للابداع ، وذلك من خلال فحصه لسلاسل النسب العائلية الخاصة بعدة مئات من العباقرة والرجال النابغين في مجالات عديدة ، وقد اشتملت هذه السلاسل على روائيين ، وكتاب مسرح ، وشعراء . وقد كان « جالتون » يأمل من خلال إظهاره أن اسلاف وذرية الرجال الناجحين يمتلكون أيضا ذكاء مرتفعا ، كان يأمل في اثبات الطابع الوراثي للعبقرية . على كل حال ، فإن التشابهات في الذكاء بين الأقارب ، من الممكن أن تعزى أيضا إلى البيئات الخصبة المشتركة . ومع ذلك ، فإن هذا الجهد الذي قام به « جالتون » ، كان أول دراسة حول العبقرية ، كما انه بدأ استخدام مناهج البحث الراسخة وشجع على استخدامها ، وأيضا بدأ في استخدام الاحصاء ، وشجع على استخدامها .

وتظل قضية وراثة العبقرية أو الإبداع ، وكذلك العلاقة بينها وبين الذكاء ، قضية خلافية حتى اليوم ، رغم ان ذلك لا يحدث في السياق الجمالي . وتركز القضايا المطروحة هنا حول دراسة الأطفال الموهوبين ، كما تقوم بالتركيز على اكتشاف الوسائل التي يمكن من خلالها تشجيع الابداع خلال العملية التعليمية . وتتمثل وجهة النظر القائلة باستقلال الابداع عن الذكاء في كتابات مثل « كتاب الابداع والذكاء : استكشافات حول الأطفال الموهوبين » : . Creativity and Intelligence Explorations with gifted children لمؤلفيه « جيزلز وجاكسون Jebzeles & Jackson » ، كما أن هناك مقاربة نقدية بديلة أخرى حول هذه المشكلة يطرحها « والاش وكوجان Wallach & Kagan » في كتابهما « أشكال التفكير لدى الأطفال الصغار : دراسة حول التمييز بين الابداع والذكاء » Modes of thinking in young

children: A study of the creativity intelligence distinction. ويشكل خاص في الفصل الثامن من هذا الكتاب . كذلك نجد مراجعة جيدة للخلاف الدائر حول الذكاء والابداع في مقالة « هدسون » المسماة « قضية الابداع The question of creativity » كما أن « هدسون » قد ساهم أيضا بدراسة كبيرة حول الجوانب التربوية من الابداع وذلك في كتابه المسمى « أشكال الخيال المتقابلة Contrary Imaginations » . وهناك ايضا مراجعة مسحية جيدة للتعريفات ، والنظريات ، والمشكلات الخاصة بالابداع داخل السياق التربوي لدى « نيلر Kneller » في كتابه « فن وعلم الابداع The Art and Science of creativity » .

استخدم باحثون أخرون أيضا التراجم الذاتية التاريخية التي اعتمد عليها « جالتون » كمصدر للبيانات الخاصة بالرجال العباقرة ، وقد توفر لدى « كوكس Cox » محكمون قاموا بتقدير نسب الذكاء الخاصة بعدة مئات من النابغين وعلى اساس التراجم او السير الذاتية لهم . وقد كان متوسط نسبة ذكاء المجموعة التي اشتملت على الشعراء والروائيين وكتاب المسرح ( ومعهم ايضا رجال السياسة والعلماء ) هو ( ١٦٠ ) ، وكانت أعلى نسبة ذكاء مقدرة خاصة بالفلاسفة ووصلت الى ١٧٠ درجة ( وكانت أقل نسب الذكاء خاصة بالعسكريين حيث وصلت هذه النسبة الى ١٢٥ ، وهي نسبة تظل رغم ذلك مرتفعة عن نسبة ذكاء الناس العاديين وهي ١٠٠ درجة ) وكانت نسبة ذكاء الموسيقيين هي ( ١٤٥ ) والفنانين التشكيليين هي ( ١٤٠ ) وهي نسب أقل الى حد ما من نسب ذكاء الكتاب . كذلك اعتمد الباحث « وايت White » على تحليل السير الذاتية للعباقرة في فحصه لخاصية « تنوع الاهتمامات Versatality » لدى ثلاثمائة من النوابغ الذين عاشوا مابين عام ١٤٥٠ ، وعام ١٨٥٠ .

وقد كانت المجموعات التي قدرت على أنها تمتلك أكبر معدل للتمكن أو الاقتدار competence من مجموعات المهن الثلاث وعشرين التي تمت الدراسة عليها ، هي مجموعات الفلاسفة ، والساسة ، والعلماء ( كانوا متمكنين في ٧,٥ من المجالات التي بحثت ) وجاء بالقرب منهم الشعراء والروائيون في ٦,٧ من المجالات ) ومن بين الفنون الأخرى ، والتي قام بتمثيلها من ١١ ـ ٢٦ شخصا في كل مجال في هذه الدراسة حصل الموسيقيون على أقل درجة من درجات تنوع الاهتمامات ، بينما وصل الفنانون التشكيليون الى مستوى متوسط من هذه الخاصية ( ٤ درجات ) أما داخل المجالات الابداعية التي ظهر فيها التمكن ، فقد كان الشعر هو المجال الذي يتكرر ذكره أكثر من غيره ( وكان ترتيبه الثالث من بين ٢٣ مجالا ) وجاء المسرح بعده ( وكان ترتيبه الثالث عشر ) ثم الفن التشكيلي ( الرابع عشر ) ، والموسيقى ( الخامس عشر ) ثم الفن القصصي ( الثامن عشر ) . وقد

كان « جوته » و « بنيامين فرنكلين » هما أكثـر من ظهرت لـديهم خاصيـة « تنوع الاهتمامات » في هذه العينة . وكان المصور « رمبرانت » هو أقل من ظهرت لديه هذه السمة . هذا رغم ان هذه المجموعة ككل كانت متنوعة الاهتمامات بدرجة فائقة ، مقارنة بالجمهور العادي من الناس .

استخدمت التراجم والسير الذاتية ايضا لدراسة سمات أخرى لدى الموهوبين . فقد قامت « راسكن Raskin » بمقارنة التراجم والسير الذاتية الخاصة بما يربو على الف من النوابغ في العلم وفي الأدب ، وقد اشتملت هذه الدراسة على فنانين ومؤلفين ، حدد نبوغهم من خلال عدد السطور التي كتبت عن كل شخص منهم . وبالنسبة لأبعاد عديدة مثل : طول العمر ، والفترة الابداعية من الحياة ، والتأثير الأسري ، والعديد من العوامل البيئية المبكرة الأخرى ، ووجود سمات مزاجية واجتماعية عديدة ( مثل المرح والمثابرة ، والدلائل المتوفرة على العصاب ، وسبب الموت ) ، وقد أشار بحثها المسحي هذا إلى أن عامل عدم الاستقرار او الاتزان العقلي يبدو انه له دوره الاكبر لدى رجال الأدب ، مقارنة بالعلماء ( وهي قضية ستظهر مرة اخرى في هذا الفصل ) ، وان كل انواع العباقرة يظهرون قدرا غير مألوف من القدرات المتنوعة ( كما قرر ذلك وايت سالفا ) . وأن رجال الأدب كانوا يتميزون بأنهم أكثر اعتمادا على الآخرين ، وأكثر انفعالية ، وأكثر مرضا من العلماء . كذلك قام « ربينيو Rubinow » بدراسة حول التراجم الذاتية ، فحص خلالها عمليات ارتقاء الشخصية الخاصة بـ ٢٥٠ فردا ، وقد اشتملت هذه العينة على شعراء وكتاب ، ضمن غيرهم من الفنانين والمهنيين الآخرين غير الفنانين . وقد ظهر ان المراحل المختلفة والمتنامية من النمو كان يتم التعبير عنها بشكل متسق في الأعمال والأحداث والخبرات الخاصة بحياة هؤلاء الأفراد . رغم أن هذه التراجم والسير الذاتية هي مادة مناسبة لدراسة الشخصية ولدراسة الابداع ، ورغم أن هذه التراجم والسير مقصود منها أساسا إبراز هذه الجوانب ، فإن هذا الشكل الأدبي لم يحظ إلا بالنزر اليسير نسبيا من الاهتمام من جانب علماء النفس . ورغم أن الدراسات التي ذكرناها آنفا قد استخدمت مادة مشتقة من السير والتراجم الذاتية ، فإنها لم تقم بربط هذه المادة بتحليل آخر لشخصيات المؤلفين ، خاصة اذا كانوا مازالوا على قيد الحياة ، كما لم يتم فحص مصادر أخرى للمعلومات حول الابداع ( كالانتاجية الابداعية مثلا ) وأيضا لم يتم التحليل المباشر للمنتجات الابداعية بحثا عن شواهد مدعمة ( من خلال تحليل مضمون الموضوعات الرئيسية في هذه النواتج مثلا ) وتعتبر دراسة « سكوير Squire » حـول الموسيقـار « فرانك » مثالا موضحا في هذا الاتجاه . وقد تعود بعض مبررات عمليات الاسقاط او التجاهل هذه لبيانات هامة من جانب الباحثين في مجال الابداع ، الى عدم وصول اساليب

كتابة السير الذاتية والتراجم الى مستوى من النضج يتسم بالكفاءة ، وهو جانب من جوانب القصور قام « ايديل Edel » بالتركيز عليه في تفسيره للأسباب الكامنة وراء اهمال هذا الشكل عندما يكون الاهتمام موجها نحو دراسة الأدب في حد ذاته . كذلك فإن بروز المناحي غير الامبيريقية والتحليلية النفسية في مجال التراجم والسير قد أدى ، كما لاحظ « جاراتز Garratz » الى عدم تشجيع المناحي الموضوعية في هذا الشأن . وبشكل عام ، على كل حال ، فإن المشكلة الرئيسية انما تتمثل في تلك الصعوبات التي يواجهها علم النفس في التصنيف والتحليل الموضوعي لبيانات ومسودات شخصية .

لقد استمر منحى « جالتون » موجودا في اتجاهات عديدة ، غير استخدام التراجم والسير الذاتية ، وبشكل عام ، فإن منحاه يحدد النجاح من خلال عدد الانجازات المحددة التي حققها المرء ، ويحافظ هذا المنحى ايضا على اهتمامه القوي بدور الذكاء ، ويعلي تماما من قدر قيمة القياس . وقد نظر « تيرمان Terman » وهو الذي استخدم الاسلوب الطولي Longitudinal Method* في البحث ، والذي يقوم على اساس دراسة الأشخاص الأحياء فعلا ، وليس حياة عباقرة الماضي ، نظر إلى الذكاء باعتباره العامل المهيمن في النجاح . وقام « تيرمان » ومساعدوه ولعدة عقود من الزمن بدراسة انجازات عدة مئات من الأفراد الذين تم الحصول على نسب ذكائهم عندما كانوا مازالوا أطفالا صغارا . وعلى كل حال ، فإن هؤلاء الباحثين لم يقوموا بالتركيز الخاص على الابداع .

يرتبط المجهود البحثي الذي قام به « جيلفورد » ، ومن خلال تأكيده على العقل وقياسه ، بشكل أكثر مباشرة بالابداع[٢] . وقد تخصص « جيلفورد » في اسلوب التحليل العاملي ، وهو نوع من الطرق الاحصائية الارتباطية المتعددة التي تبحث عن الجوانب المشتركة القليلة في عدد شديد الاتساع من البيانات . ويمكن استخدام هذا الاسلوب لاستخلاص تلك السمات العقلية التي تميز بين القدرات المختلفة في الفنون المختلفة . أو في المقابلة بين الفنون وبين غيرها من المناشط الابداعية . ورغم أن العدد الكبير من العوامل التي تم اكتشافها يظل عوامل مؤقتة ، فإنها ، وبشكل عام ، تحدد الشخص المبدع

* في الطريقة الطولية او التتبعية ـ وهي من طرائق البحث المألوفة في دراسة نمو وارتقاء الاطفال الكبار ـ يقوم الباحث بتتبع نفس المجموعة من الافراد عبر مدى معين من الزمن قد يطول وقد يقصر ، ملاحظا التغيرات النفسية والجسمية المختلفة التي تحدث لديهم عبر العمر ( المترجم ) .

باعتباره مفكرا وحلالا للمشاكل . ويقابل هذا التوجه المعرفي نحو الابداع ذلك التركيز الخاص الذي قام به معظم الباحثون الآخرين على الأبعاد الأكثر تعلقا بالشخصية . وتشتمل العوامل المعرفية في الابداع على الطلاقة Fluency ( طلاقة الأفكار والتعبيرات والكلمات والترابطات ) والمرونة Flexibility والأصالة Originality .

قام « جيلفورد » كذلك بدور كبير في التمييز بين التفكير الافتراقي divergent والتفكير الاتفاقي convergent : ويتحرك النمط الأول من التفكير بعيدا عن الاستجابات المتوقعة والمعروفة سابقا . بينما يتحرك النمط الثاني نحو الاستجابات المعروفة فعلا من قبل والأكثر قابلية للتحديد ايضا . ولم تحل حتى الآن بكل مقنع قضية ما إذا كان التفكير الافتراقي هو النمط النموذجي المميز أكثر للتفكير الابداعي ، أو أن هذين النوعين من التفكير يتم استخدامهما بشكل متماثل خلال التفكير الابداعي . وتاريخيا كانت الفكرة العامة ، والتي فحواها ان الابداع يشتمل على اشكال متعارضة من التفكير في نفس الوقت ، فكرة مثيرة للجدل والتفكير ، وهي تظل كذلك في وقتنا الراهن ايضا . وداخل التراث التحليلي النفسي ، اطلق « روزنبرج » على الاستخدام الابداعي لصور عقلية متعارضة اسم « التفكير اليانوسي »* « Janusian Thinking » ورغم تشابه هذا المصطلح مع مصطلح « التفكير الافتراقي » لدى « جيلفورد » ، فإنه يظل مستخدما بطريقة مجازية أكثر منه مفهوما قابلا للقياس .

قام المنحى الخاص حول الابداع ، الذي يقوم بالتركيز على العقل ، بتطوير طرائق للقياس النفسي شديدة الدقة والإحكام . وعلى كل حال ، فإن الطريقة المحكمة قد لا تكون دائما بمثابة الميزة ، حيث ان المرء قد يقوم بالاعتماد الزائد على الاختبارات ، ويقوم بالاعلاء الزائد من قيمة الارتباطات الموجودة بينها . فمن الممكن ان يوجد ايمان كبير جدا بأن وسائل القياس تكشف تلقائيا عن العملية الابداعية . وعلى سبيل المثال ، فإن هناك انشغال بالغ بالقياس في مجال اختبار الذكاء ، مو مجال شديد القرب من الابداع والعبقرية ، ومجال يوجد فيه ايضا قدر كبير من البراعة الفنية العالية في أساليب البحث ، كما توجد فيه أيضا مخططات تصنيفية جوهرية على ما يبدو . ومع ذلك ، يتميز موضوع الذكاء بندرة التفسيرات ، والافتقار الى نظرية ، وغياب البحوث التجريبية حول طبيعة العمليات الأساسية فيه حول وظائفها المختلفة . وربما كانت هذه الصعوبات العامة

---

* يانوس هو اله البوابات عند الرومان تم نحته على هيئة تمثال بوجهين احدهما ينظر الى الداخل والآخر ينظر الى الخارج ، وفي ذلك اشارة رمزية الى عالم الباطن وعالم الظاهر ، عالم الغموض وعالم الوضوح ، عالم الدنيا وعالم الآخرة ... الخ ( المترجم ) .

المتعلقة بالقياس النفسي هي مادت بباحثين مثل « ديلاس وجافر Deltas & Gover » الى تلخيص وجهة نظرهما حول منحى « جيلفورد » التحليلي العاملي حول الابداع بطريقة متشائمة ، قالا فيها :

« هناك افتقاد لنجاح هذه الأدوات فيما يتعلق بكفاءتها التنبؤية ، وكذلك في ارتباطها بالابداع الظاهر وبمؤشرات أخرى على الأداء الابداعي »[٣] .

وقد قاما بتوجيه اللوم الى « عدم حسم البيانات » في ضوء مجموعة متنوعة من الأسباب الخاصة والتي تشتمل على الكفاءة المشكوك فيها لطرق التحليل العاملي الخاصة المستخدمة ، والتي يوجد منها العديد في حالة خلاف مع بعضه البعض ، وكذلك الأساليب المستخدمة في جمع البيانات ، والتي يستخدم معها التحليل العاملي بعد ذلك ، وعلى سبيل المثال مثلا : كيف يتم اختيار الأفراد الذين يجرى عليهم البحث ، وما المحكات المستخدمة في اختيارهم من بين المحكات العديدة الموجودة ؟ . وتشتمل صعوبات عديدة أخرى ، خلال المعالجة الخاصة بالابداع من وجهة نظر معرفية عقلية ، ليس فقط على الاستخفاف الإهمال للمحددات الشخصية ، وخاصة الدافعية منها ( وهي صعوبة يقابلها ضيق الأفق الخاص الذي تمثله تلك الدراسات التي تقوم بالتركيز على الشخصية وتهمل العقل ) ولكن ايضا على اهمال الوظائف المعرفية الأخرى غير العقل ، ومنها على سبيل المثال : الانفتاح الادراكي ، والوعي ، والانتباه .

من بين الفروع الثابتة الأخرى في تراث « جالتون » ، وخاصة في تركيزه على عدد الانجازات الملموسة الفعلية كمؤشر على النجاح ، تلك الدراسات التي اعتمدت اساسا على نواتج الابداع . فانتاجية العباقرة لها ميزة أنها قابلة للملاحظة بطريقة أكثر مباشرة من قابلية ذكائهم للملاحظة . ومن ثم تكون هذه النتاجات اكثر قابلية للوضع في شكل كمي وأكثر قابلية للوفاء بمحكات الثبات المطلوبة أيضا .

ولعل افضل الأمثلة على الباحثين الذين استخدموا منحى الانتاجية في دراسة الابداع « ليمان Lehman » ، ذلك الذي قام ، ببساطة ، بحصر عدد الأعمال المتفوقة التي انتجها عدد من النوابغ في مهن مختلفة في مختلف أعمارهم . وكانت النتيجة هي رسما بيانيا مصورا للعلاقة بين الابداع ( اى المنتجات الابداعية ) ، وبين العمر والمهنة ، وقد كان الاتجاه العام فيما بين الأشكال المختلفة للأدب على النحو التالي : كتبت الأغاني والمواويل في الأعمار المبكرة ( من ٢٥ ـ ٣٠ سنة ) ثم جاءت المسرحيات التراجيدية أو المأساوية ( من ٣٥ ـ ٤٠ سنة ) اما الروايات فكتبت في أعمار متأخرة مقارنة بغيرها ، ( من ٤٠ ـ ٤٥ سنة ) .

كان من الأمور الحاسمة في اسلوب « ليمان » هو استخدام اجراءات محكمة لضمان حصر الأعمال الابداعية للمبدعين فقط ، وليس مجرد الاعمال العادية التي يكثر انتاجها . وللوفاء بهذا الهدف ، ارتكز تحديد المكانة الخاصة بالأشخاص المبدعين واعمالهم على اساس مجموعة من الأحكام التي قدمها مجموعة من الخبراء ، وكذلك على اساس تحليل لبيانات السير الذاتية والتراجم الخاصة بهؤلاء المبدعين . وتظهر الحساسية الخاصة المتعلقة بإمكانية الاستخدام الواضح لأسلوب العد الاجمالي للمنتجات ، في دراسة « ليمان » حول سنوات الكتاب الابداعية ، وكما تعكس ذلك أفضل اعمالهم المنتجة . فقد وجد « ليمان » عندما استخدم عدة مئات من الأعمال القصصية التي أنتجها مايربو على مائة من المؤلفين الموتى ، والذين وصفهم مجموعة من الخبراء ووصفوا اعمالهم بالاهمية ، فقد وجد « ليمان » أن العدد الأكبر من الكتب عالية القيمة والاهمية فقد انتج عندما كان هؤلاء المؤلفون في الأربعينيات المبكرة من حياتهم ، وهو عمر يزداد فيه أيضا احتمال ان تصبح كتبهم من أكثر الكتب مبيعا . على كل حال ، فإن العمر الذي نشر فيه أول كتاب هام للمؤلفين كان أبكر من ذلك إلى حد ما ، أى في الثلاثينيات المتأخرة من حياتهم . وعلاوة على ذلك ، فإن الرجال والنساء يختلفون أيضا ، حيث أن النساء ينتجن العدد الأكبر من كتبهن الهامة في الثلاثينيات المتأخرة من حياتهم ، وبشكل أكثر تبكير إلى حد ما ، مما هو الحال لدى الرجال . ( وعلى كل ، فإن عينة المؤلفات من النساء ، والمفترض انها أقل بدرجة معتبرة من عدد المؤلفين من الرجال لابد وأن تحد من صدق هذا التعميم ) ويبدو أن هذه التمييزات العمرية ( على الأقل لدى الرجال ) هي تمييزات عامة تماما : فقد صدقت في معالجات أخرى للكتب الهامة ، وحول مؤلفين أحياء ، وبالنسبة لمؤلفين من أربع أمم أوروبية مختلفة .

من جوانب القصور في تحليل « ليمان » ان بياناته تمثل بشكل زائد انتاجية الناس صغار السن ، ومن ثم فإنها تمثل السنوات المبكرة من الابداع ، وذلك لأن اجراءاته لم تضع في اعتبارها عمليات الفقد التي حدثت لمبحوثين أكبر سنا من خلال الموت . وقد قام « دينيس Dennis » للتغلب على هذا التحيز بفحص الانتاجية الخاصة بعينة من كتاب المسرح ، والروائيين ، والشعراء اضافة الى مجموعة اخرى من المبدعين في مجالات أخرى ، وقد عاش كل هؤلاء المبدعين حتى وصلوا عمر الثمانين على الأقل . وقد وجد « دينيس » أن سنوات الذروة الانتاجية بالنسبة لكل المهن كانت هي الأربعينيات ( وهي فترة متأخرة ، الى حد ما ، عن الفترة التي حددت في عينة ليمان ) ، ثم جاءت بعدها الذروة الخاصة بالثلاثينيات . وإضافة الى ذلك ، فإن الأفول أو الذبول في الانتاجية الابداعية يحدث لدى الفنانين ( ولسوء الحظ لا توضح لنا بيانات « دينيس » ذلك بالنسبة لكل فن على

حدة ) خلال السنوات المتأخرة من حياتهم ، أكثر مما يحدث لدى المفكرين أو الباحثين ، وبدرجة أقل ، إلى حد ما ، مما يحدث لدى العلماء .

من بين المبررات العديدة المقدمة لتفسير هذا الذبول السريع لدى المجموعة الفنية ، يبدو أن أكثر هذه المبررات معقولية هو المبرر القائل بأن الفنانين يقل لديهم احتمال أن يعملوا مع متعاونين آخرين معهم ، وهو شكل من أشكال المساعدة نجده موجود لدى الباحثين والعلماء ، وقد يقوم هذا العامل بالتعويض عن مستوى الطاقة الأكثر انخفاضا ، الذي يوجد في الأعمار المتأخرة . وعلى كل ، فإن الذبول الابداعي لدى الفنانين قد يكون أمرا نسبيا فقط . فالفنانون أكثر انتاجية من غيرهم ، في سنوات أعمارهم المبكرة حيث أنهم يحتاجون إلى وقت أقل للتدريب ، ولجمع البيانات ، وللنشاطات البحثية مقارنة بغيرهم من الباحثين والعلماء . وتظهر الانتاجية لدى مجموعات الباحثين والعلماء بدرجة أكبر في سنوات متأخرة ، أى أن العدد النسبي من الاسهامات غير الفنية تكون أكثر نسبيا من كمية الأعمال التي تنتج خلال السنوات المبكرة من الحياة .

ويرتبط بالعمر والابداع ، ولكن عند الطرف الآخر من حيز الحياة ، ماوجده « بليس Bliss » من أن ترتيب الميلاد Birth order للكتاب والشعراء كان متأخرا عن الترتيب الخاص بالعلماء ، فقد تزايد احتمال ان يكون العلماء من المولودين أولا بين اخوتهم ، وكانوا كذلك ، وبشكل أكثر تكرارا من الأطفال الوحيدين* واضافة الى ذلك ، فإنه وبين المؤلفين ، تزايد الاحتمال بالنسبة للروائيين وكتاب القصة القصيرة لأن يكونوا من المولودين المتأخرين في سلسلة الأطفال داخل الأسرة ، ومقارنة بالشعراء . ويساهم مثل هذا النمط من البحوث في فكرة « أدلر Adler » حول ترتيب الميلاد ومشاعر الحاجة الى القوة أو الجبروت .

رغم طرائق العد الخاصة التي قدمها « ليمان » و « دينيس » لتحديد مواضع الأعمال التي يزداد احتمال حدوث واستمرار النتاجات الابداعية فيها . فإنهما لم يفحصا بشكل مباشر المبررات الخاصة بهذه الأحداث ( اولماذا تختلف بين المهن المختلفة ) . ان البحث الخاص حول متغيرات الشخصية الموجودة في الابداع ، هو مايحاول أن يصل الى هذه العوامل السببية .

---

* اى لم يكن هناك اخوة أخرون لهم داخل الأسرة ( المترجم ) .

# الابـــداع والشخصيـــة

تمسك التحليل النفسي التقليدي بوجهة النظر التي مفادها أن جذور الابداع تمتد في الشخصية . وقد فسر هذا النمط من التحليل النفسي بشكل خاص الابداع باعتباره شكلا من أشكال اللا شعور المقنَّعة ( أى المرتدية للأقنعة ) والذي يتحرك باعتباره آلية دفاعية متسامية تعمل على منع حدوث العصاب . وأيًّا كانت جدارة وفائدة هذه الوجهة من النظر ، فإنها ظلت منيعة إلى حد كبير ضد أى هجوم امبيريقي من جانب علم النفس . حيث تقوم الحجج التحليلية النفسية على تعميمات مأخوذة من دراسات حالة قليلة او عامة في أفضل حالاتها . وعلى كل حال ، فإن العديد من الأعمال الحديثة التي قام بها محللون نفسيون يوحي بوجود اتجاه ما نحو المزيد من الجهود الموضوعية ، هذا رغم ان هذه الجهود تظل قليلة الاحاطة فيما يخص التصميم البحثي واستخدام البيانات الكمية . وعلى سبيل المثال ، فان « ميلنر Milner » قد حاجج قائلا بأن الجهود الابداعية ( كالرسومات ) للمرضى الذين يخضعون للعلاج تقوم بتأكيد تشخيص المعالج للمشكلة وتكشف بشكل فعال عن الحالة الراهنة للعلاج . وقام « روثنبرج » وبطريقة شديدة القرب من الاهتمامات الأدبية ـ ، بتحليل الرموز في مسرحية « أوجين اونيل »* المسماة « مجيء بائع الثلج » . وقد استخدم في دراسته بيانات من المسودات وعمليات المراجعة والتنقيح التي قام بها الكاتب على المسرحية ، وكما اعتمد على التراجم التي كتبت حول حياة هذا المؤلف ، وعلى المقابلات التي أجريت معه . وهناك جانب آخر من جوانب دراسة الابداع يتناسب مع السياق العيادي ويتمثل في استخدام اختبارات الشخصية مع الأفراد المبدعين ، وخاصة مايسمى بالاختبارات الاسقاطية مثل « اختبار رورشاخ » ( بقع الحبر ) .

في مقابل هذا المنحى التحليلي النفسي والعيادي ، والذي يقوم بالتركيز على الجوانب اللا شعورية الكئيبة والمرضية من الابداع ، فإن علماء نفس أمثال « فينيك Vinacke » قد قاموا بتفسير الابداع باعتباره قدرة سوية توجد بدرجات متفاوتة لدى جميع الناس . وفي

---

* يوجين اونيل ( ١٨٨٨ ـ ١٩٥٣ ) : كاتب مسرحي امريكي ، يعتبر من ابرز ممثلي المذهب التعبيري في المسرح ( المترجم ) .

ضوء هذا الرأى ، تم النظر الى الموهوبين باعتبارهم يخضعون أقل من غيرهم للمؤثرات الضارة في الطفولة ، وفي نفس الوقت يقومون بالاستفادة الكبيرة من الخبرات الخاصة ، ومن عمليات التدريب . ويعتبر فرض « مارتنديل » الخاص حول « نقض الكف disinhiition » مثالا يشير الى مدى الحركة التي تحركها البندول بعيدا عن وجهة النظر التي تنظر الى الابداع باعتباره نوعا من الجنون ( رغم ان هذه الفكرة مازالت مستمرة في التفكير الشعبي ) . ويتمسك هذا الفرض بأن الافتقار الى الضبط او التحكم لدى المبدع ، ليس خاصية عصابية ، لكنه عملية معرفية تعمل على تسهيل العمليات الخاصة بالحماس والامتداد العقلي ، وكذلك التصميم على أمر ما ، وباختصار فإن « نقض الكف » هو الأصالة . فإذا كانت هذه الوجهة من النظر صحيحة ، فإنها قد تعكس محدودية الحقيقة النمطية الشائعة حول الفنان باعتباره اندفاعيا ( وهي موضوع سنناقشه بعد ذلك ) . وهناك تأثيرات اخرى هي بمثابة العكس تماما لتأثير « فرويد » وتتمثل في التفسيرات الحالية للابداع ، وكما يمثلها المعالج النفسي « روجرز Rogers » ، باعتباره مرادفا للصحة العقلية الطيبة ، ولعمليات التوافق النفسي المطمئنة .

لكن التأثير الفرويدي مازال مهيمنا على عمل « ماكينسون Mackinson » وهو واحد من اكبر الباحثين في مجال الابداع ، وعلى كل ، فإنه رغم بروز الموضوعات الرئيسية التشخيصية النفسية والعيادية في عمله ، فإن دراساته - رغم كل شيء - هي دراسات امبيريقية . وإضافة الى ذلك ، فإنها دراسات تتخذ وجهة كلية ، وتفسر الابداع باعتباره يعكس الشخصية الكلية للمبدع ، وليس سمة خاصة أو عادة منعزلة . وتتمثل اجراءات « ماكينون » العامة ( والتي اتبعها آخرون الى حد كبير ) في اختيار عينة من المبدعين في مهن أو مجالات مختلفة ، وعلى أساس احكام قرنائهم ( كناشري الصحف ، وعمداء أو مديري المدارس مثلا ) ثم يتطوع الأفراد الذين تم اختيارهم كعينة ، بعد ذلك ، لتطبيق « بطارية » ( أى مجموعة ) كبيرة من اختبارات الشخصية ، والاتجاهات ، والذكاء عليهم ، ثم تقارن النتائج الخاصة بعينة المبدعين هذه بالنتائج الخاصة بعينة اخرى غير مبدعة ( وتسمى المجموعة الضابطة ) ، وتتم المضاهاة بين المجموعتين فيما يتعلق بمعظم الأبعاد المناسبة ( كالسن ، والنوع ، والمهنة ، و - « بشكل اكثر أهمية » - النجاح في العمل ، أو في الحياة ، مثلا ) ، وذلك من أجل اكتشاف الفروق التي يمكنها أن تلقي الضوء على طبيعة الابداع . ومن الممكن وصف هذا النوع من مناهج البحث باعتباره شبيها بتوجيه بندقية رش ( أو خردق ) الى الابداع* ، فالاسلوب مفيد في المراحل الوصفية

---

* مايقصده المؤلف ان البحث لا يستطيع عندما يستخدم مثل هذه الاساليب الا ان يلمس السطح الخارجي للابداع فقط ( المترجم ) .

المبكرة من البحث . ولا يتم جمع البيانات هنا بسبب وجود فرص خاصة أو نظرية خاصة ، ولكنه يتم بسبب وجود توقع خاص بأن شيئا ما ، مفيدا ، سيتم الكشف عنه .

وعلى شاكلة معظم الباحثين في مجال الابداع ، لم يقم « ماكينون » ، عادة ببحث الابداع الجمالي ، كما لم يقم غالبا بالمقارنة بين الأنماط الابداعية الجمالية المختلفة ، وقد كان معظم مفحوصيه من العلماء والمهندسين والمتخصصين في الرياضيات . وتعتبر دراسته الموسعة حول « مهندسي العمارة » استثناء يشذ عن القاعدة ، وربما كان اختيارهم قد تم بسبب وضعهم الخاص الذي يتمثل في كونهم فنانين ، ومهندسين ، ومصممين ، ورجال أعمال ، في نفس الوقت . ومن أجل توضيح اجراءاته ، ونتائجه ، نقول أنه كانت معه مجموعة من علماء النفس ذات ألفة بالمعماريين المبدعين ( بعد أن قاموا باختبارهم لعدة أيام ) . وقد قامت هذه المجموعة من علماء النفس بمراجعة الصفات التالية على انها تصف هذه المجموعة من المعماريين بشكل خاص باعتبارهم : متنبهين ذهنيا ، وأذكياء ، ويتحملون المسئولية ويتسمون بالطموح ، ويتسمون بالكفاءة ، ومتعاونين ، ومتحضرين ، ويمكن الاعتماد عليهم ، وودودين ، ومرحين ، يتسمون بالدهاء وسعة الحيلة ، ونشطين ، واثقين من أنفسهم ، وكادحين ، وصادقين ، وأيقاظ الضمير ، وخياليين ، ويحكمون العقل ، ومغامرين ، ومستقلين ، ومتسعى الاهتمامات ، ومتوافقين ، ومؤكدين لذواتهم ، ويتسمون بالعزم والتصميم ، وممتلئين بالطاقة والنشاط ، ومثابرين ، ومخلصين ، وفردانيين ( أى يسلكون في فكرهم وعملهم مسلكا مستقلا )[٦] .

وقد أدت مجموعة كبيرة من الاختبارات الإضافية التي تستعمل فيها الورقة والقلم ، وكذلك مجموعة من الاختبارات الاسقاطية، الى تحديد الخصائص المميزة لرجال العمارة المبدعين وللمجموعات الأخرى التي اشتملت عليها هذه الدراسة ومن خلال قوائم كبيرة من السمات مماثلة للقائمة السابقة .

وبشكل عام ، يبدو أن هذا النوع من البيان او الفهرسة لسمات الشخصية يقوم بالتمييز بين المبدعين وبين غير المبدعين ، والذين لا تكون درجاتهم عليه لدى المبدعين . ويظهر المبدعون كذلك ثقة أعلي بالنفس ، وتقبلا أكبر للذات ، وقدرا أكبر من العزم والتصميم على الهدف ، واستقلالا في الحكم والاتجاه والسلوك ( أى عدم انصياع او مسايرة ) ، وانفتاحا على مشاعرهم الخاصة وعلى الخبرات الجديدة ، وتفضيلا للأشكال المركبة . وعلاوة على ذلك فإن الفروق في نسب الذكاء لايبدو انها ذات تأثير بعدما يتم تجاوز حد أدنى معين ، وتتفاوت النقطة الخاصة بهذا الحد الأدبي من مهنة الى اخرى . وقد وجد

أن الارتباط بين نسبة الذكاء والابداع ، في أغلب الحالات ، يدور حول ٤٠, ، وهو بمثابة العلاقة المتواضعة بينهما ( لكنه تظل دالة احصائيا ) .
( والجدير بالذكر ان الحد الأقصى للعلاقة الارتباطية هو ١ صحيح وأن القيم المرتفعة التي تصل الى ٦٥, وحتى ٨٠, هي أمور غير مألوفة في مجال العلاقة بين نسب الذكاء والابداع ) . وعلى كل حال ، فإن حجم الرقم الخاص بالعلاقة بينهما مازال منخفضا بدرجة تكفي للسماح بعديد من الاستثناءات الخاصة حول العلاقة التي يمكن ان توجد بين الذكاء والابداع .

فيما يتعلق بالفكرة النمطية الشائعة حول العبقري المجنون ، وجد « ماكينون » أنه رغم ان المبدعين قد تظهر لديهم بشكل واضح مشكلات شخصية أكثر مما يظهر لدى المجموعات الأخرى من غير المبدعين ، فإن هؤلاء المبدعين يتعاملون مع هذه المشكلات بشكل أكثر اقناعا مما يفعل غيرهم . ونتيجة لهذا التوافق ، تتوفر لدى المبدعين صحة عقلية أفضل مما يتوفر لدى غيرهم . وكتبت هذه النتيجة المتناقضة ظاهريا ، وتنفي في نفس الوقت الصورة الكاريكاتورية الشائعة عن الفنان . فرغم أنه قد ينظر ويسلك بشكل مضطرب ، فإن هذه مجرد علاقات خارجية وسطحية فقط . فمقارنة بالناس العاديين ، يمتلك المبدع تحكما أفضل في الدوافع غير المعروفة واللا شعورية ، والتي يتم التسامي بها . وقد وجد « ماكينون » ، بالرغم من الأساطير المتناقضة الشائعة حول المبدعين ، ان هؤلاء المبدعين لا يختلفون عن الناس العاديين فيما يتعلق بوجود تاريخ لحياة سعيدة لديهم ، وكذلك في وجود ظروف طيبة ومفضلة حدثت خلالها عمليات نموهم وارتقائهم .

تنعكس هذه الاستنتاجات والتي تزيد - بدلا من أن تخفف - من غموض الصورة الخاصة بسواء normality الابداع ، أيضا في الاستنتاجات الخيالية لدى الفنانين والمبدعين على اختبار « الرورشاخ » والتي قام « دوديك Dudek » بمقارنتها باستجابات مجموعة من المهنيين ( كرجال الاعمال مثلا ) ، وباستجابات مجموعة من غير المبدعين أيضا . ولم يجد « دوديك » أية فروق كمية بين مجموعتي المبدعين من الفنانين وغير الفنانين ( فقد أظهرت المجموعتان استجابات مركبة متماثلة اكثر مما اظهرت ذلك المجموعة الأخرى العادية التي تم بحثها ) ، ومع ذلك فقد اختلفت المجموعتان المبدعتان عن بعضهما البعض فيما يتعلق بردود الأفعال الكيفية . فقد كانت تعليقات المجموعة المبدعة من الفنانين متناسبة مع الصورة النمطية الشائعة عن العبقري المجنون .

وقد أوصت مقارنات عيادية أخرى قام بها « مايدن Myden » بين الأفراد الباحثين ، والتي تمت من خلال الاعتماد على اختبارات اسقاطية اخرى شبيهة باختبار « الرورشاخ » ، وكان هؤلاء اوفراد قد اختيروا باعتبارهم مبدعين سواء في المجال الفني أو

غير الفني ، أوجت له بخصائص اضافية اخرى خاصة بالابداع تتفق مع الصفات الفرويدية التقليدية الموجودة ( كالدور الخاص لعملية النكوص مثلا ، وكذلك القلق ، وتكامل الأنا والهو ) . « فالفنان المبدع [ هو ] شخص يتميز بالذكاء الفائق ، وهو شخص ينشط بشكل شديد القرب من امكاناته . انه موجه عقليا نحو العالم الخارجي ، مع وجود حياة داخلية ثرية ، واحساس قوي بدوره في الحياة . انه ـ وبطريقة صحيحة ـ غير مساير ، ومهتم بالانجاز ، وقليل الكبت لمشاعر الهو »* (٧) .

كذلك قام « مونستربرج » و « ميوسين » بالمقارنة بين الاستجابات الخاصة لطلاب الفنون ، وبين الطلاب الآخرين الذين لا يدرسون الفنون وذلك بالنسبة « لاختبار تفهم الموضوع TAT » ( ضمن غيره من الاختبارات ) وذلك فيما يتعلق بواحد وعشرين فرضا من فروض التحليل النفسي ( منها مثلا ان هناك صراعات أكبر لدى الفنانين مع والديهم مقارنة بغيرهم ) وقد تم اثبات كل الفروض ماعدا أربعة منها ، وذلك رغم ان هذه الفروض لم تكن بالضرورة تتناسب مع نظرية « فرويد » فقط .

وتعتبر دراسة « رو Roe » هي الدراسة الوحيدة ( من بين الدراسات التحليلية النفسية او غير التحليلية النفسية ) التي تعارض الفرضية التي فحواها ان المبدعين يختلفون عن غير المبدعين في بعض الأبعاد الهامة . وقد قامت « رو » بدراسة رسومات ، وتراجم ، وسير ذاتية ، وكتابات نقدية منشورة ، تخص عشرين من الرسامين والمصورين الأمريكيين الأحياء ، اضافة الى بيانات تم الحصول عليها من مقابلات شخصية معهم ، وكذلك تطبيق اختباري الروشاخ و « تفهم الموضوع » عليهم . وباستخدام معايير محددة ، ولم تجد « رو » الا فروقا قليلة بين الفنانين وبين غيرهم من الأفراد :

« فلا توجد سمات شخصية او عقلية ، ولا ثوابت في تاريخ حياتهم ، تجعلهم يتميزون عن غيرهم وتطلقهم بعيدا عن كل الأشخاص الاخرين »(٨) .

وكان الأمر غير المتوقع بدرجة أكبر ، هو أن نصف الفنانين كانوا « يفتقرون على نحو مخيف » إلى مايدل على يسر ، أو سهولة الادراك Perceptual Facility لديهم ، وإلى مايدل على الخيال الابداعي أيضا ( على اختبار الروشاخ )(٩) . كما لم توجد أية عوامل بيئية مشتركة في خبراتهم الحياتية ، أو في خبراتهم الفنية ، أو في مؤثراتهم الأسرية . وبسبب المكانة السابقة لـ « رو » كباحثة في مجال السمات التي تميز الأفراد في المهن المختلفة ، فإن استنتاجها السلبي فيما يخص الصفات الخاصة للفنانين المبدعين هو أمر جدير بالذكر :

---

* أى الجانب الغريزي من الشخصية وفقا لتصور فرويد الخاص ( المترجم ) .

« لا يوجد ( أى شيء ) يمكن اعتباره محددا فريدا لاختيار هؤلاء الأفراد للتصوير كمهنة ، أو لنجاحهم فيه »(١٠) .

حظيت الفروق بين أنماط المبدعين باهتمام أقل مقارنة بما حظيت به الفروق بين المبدعين وغير المبدعين من اهتمام . وقد تمسك « ماكينون » ، بناء على خبرته البحثية الكبيرة ، بأن هناك جوانب تشابه أكثر مما يوجد من فروق بين الأنماط المختلفة من المبدعين ، وأن الفروق بين المبدعين وغير المبدعين أكبر من الفروق الموجودة بين المبدعين وبعضهم البعض . وأحد الفروق الجديرة بالتنويه والتي اقترحها « ماكينون » وغيره من الباحثين في المجال ، والتي قيل أنها تميز بين النمط الفني والنمط العلمي من المبدعين ، يتمثل في أن النمط الفني من المبدعين يتخارج externalize بذاته ، ويتوحد ، ويتعاطف ، ويسقط Project ذاته على البيئة ، بينما يقوم العالم بالمعالجة أو التعامل الأكثر نشاطا مع العالم الخارجي .

تعتبر مجموعة المؤلفين الأدبيين المبدعين هي المجموعة التي تلقت أقل قدر من اهتمام الباحثين ، مقارنة بمجموعات المبدعين الأخرى . وفي واحدة من الدراسات القليلة حول شخصية المؤلفين الأدبيين ، قام « ويلسون » بدراسة حول الشعراء استخدم فيها الاختبارات الاسقاطية وبيانات مشتقة من المقابلات الشخصية(١١) . وقد شعر هذا الباحث بأن التقييمات الذاتية التي طرحها هؤلاء الشعراء كانت تقييمات خاصة وفريدة ، وذلك لأن وضعهم المنعزل ، والغريب ، داخل المجتمع الأمريكي كان متصارعا مع حاجتهم الخاصة للتواصل مع الآخرين .

أدت أشكال المحدودية المرتبطة بأنماط المبدعين الذين تمت دراستهم ، إلى إهمال الأشكال التقليدية من التعبير الجمالي . وهناك مشكلة أخرى لا يمكن تجنبها تتمثل في صعوبة الحصول على كتاب وفنانين يتعاونون في المشروعات البحثية الامبيريقية ، وذلك لأن أعضاء هذه الحرف غالبا مايحكمون على الدراسات الاحصائية والمعملية ، وربما على أى جهد منظم لاستكشاف الابداع ، باعتبارها نشاطات متسمة بالبلاهة ومادية النزعة . وحتى اذا وافق المؤلفون المدققون وأصحاب الخبرات والمدربون على التعاون مع الباحث بشكل كامل ، فإن ذاتيتهم ، عالية التطور ، قد يصعب غالبا دراستها وتصنيفها والتعامل معها كميا .

وتظهر المشكلة الخاصة باستخدام وتقييم التعليقات حول الابداع والتي يقدمها فنانون مبدعون بشكل واضح في دراسة « هندرسون ولندور Henderson & Lindover » التي قاما فيها بفحص الأعمال المتعلقة بالسير الذاتية والتراجم والخاصة بحوالي مائة كاتب وموسيقار وفنان تشكيلي . فرغم وجود مايربو على خمسمائة تعبير يشير الى الابداع ، أمكن

استخلاصها من هذه الكتابات ، فانه قد كان في امكان الباحثين التصنيف الثابت لنصف هذه التعبيرات فقط في ضوء الأبعاد السيكولوجية ( كما ظهر ذلك مثلا في البعد الخاص بمصدر وسرعة أفكارهم : بسرعة من خلال الإلهام ، أو ببطء من خلال العمل الشاق ) ورغم اتفاق الباحثين ـ كل على حدة ـ على أن هذه التعبيرات تشير الى الابداع ، فانهما لم يتفقا حول الكيفية التي يمكن من خلالها وضع هذه التعبيرات في فئات من اجل اكتشاف اية نماذج متسقة في العملية الابداعية ، وبحيث يمكن استخدام هذه النماذج في التمييز بين الانماط الثلاثة من الابداع ( في الأدب ، والموسيقى ، والفن التشكيلي ) . وفي محاولة منهما لفرز هذه المادة بشكل له نظام معين ، استطاع هذان الباحثان ان يتفقا فقط على فئات عامة وغامضة ذات فائدة محدودة ( مثلا : العوامل الشعورية في مقابل العوامل اللا شعورية ، والمصادر الانفعالية في مقابل المصادر العقلية للالهام ، والاستبصار في مقابل العمل الشاق ) وبدلا من ان يقوم الباحثان بالترك التام لهذه المادة التي يمكن ان تكون مفيدة ، فانهما قد قاما بحصر عدد هذه التعبيرات ( بصرف النظر عن مضمونها ) بالنسبة لهذه الحرف الثلاث عبر ثلاثة قرون ، وقد كان ممكنا من خلال هذا التحليل القيام بفحص للفروق العامة في التعبيرات التحليلية للذات ، والتي قدمها الأنماط الثلاثة من المبدعين عبر الزمن .

وكان الشيء المثير للدهشة هو ان الفنانين التشكيليين والموسيقيين قد قدموا عددا اكبر من التعبيرات او التعليقات الذاتية الخاصة حول الابداع ، مقارنة بالكتاب ( وهو اتجاه وجد انه متسق عبر الزمن ) . وربما كان هذا راجع إلى أن التصوير والموسيقى يعبران عن تصورات الفنان للابداع بشكل غير مباشر فقط ، وقد لا يحدث هذا مطلقا ، وبحيث يحتاج أصحاب هذه الأنماط الجمالية من الابداع الى توصيل مشاعرهم من خلال مصادر خارج عملهم . وفي مقابل ذلك تتوفر لدى مؤلفي الأدب وسائل أكثر مباشرة للتعبير عن ذواتهم ، من خلال أعمالهم الأدبية . وتوجد هناك محاولات أخرى للحصول على تحليل ذاتي من الدرجة الأولى خاصة من العلماء والمتخصصين في الرياضيات . وقد قامت « باتريك Patrick » بمراجعة هذه المحاولات ( كمقدمة لدراستها الخاصة حول الشعراء ) وتشتمل هذه الدراسة على قصيدة للشاعرة « آمي لويل »* تعبر فيها عن اعتراضاتها على المشاركة في هذه الدراسة . ويمكننا أن نجد لدى « سينوت » كذلك تعليقا مختصرا حول قيمة التقارير الاستبطانية الخاصة التي يقدمها المبدعون .

---

* « آمي لويل » ( ١٨٧٤ ـ ١٩٢٥ ) : ناقدة وشاعرة امريكية مشهورة ، من رواية المدرسة الخيالية في الشعر ( المترجم ) .

من الممكن ارجاع ذلك النقص الواضح في اهتمام علماء النفس بالتقارير الاسترجاعية Retrospective أو التقارير الاستبطانية Introsective والتي يقدمها المبدعون حول ابداعهم ، سواء تم التعبير عنها في مقابلات شخصية ، أو خلال مادة مشتقة من السيرة الذاتية ، من الممكن ارجاعه الى المقاومة الخاصة الشائعة والتاريخية لدى علماء النفس للتعامل مع ماهو ذاتي ( انظر الفصل الاول ) . ويتعقد غموض أى نوع من البيانات الشخصية بشكل اكبر عندما يكون الشخص المبحوث فنانا وعندما يكون الموضوع الذي يبحث هو تلك الظاهرة الخاصة والمرهفة المسماة بالابداع . وقد صاغ « فرنون » ضد المشكلة على النحو التالي : ـ

« نادرا مايحتمل ان يكون الفنانون والعلماء ملاحظين واعين وصادقين فيما يتعلق بعملياتهم العقلية الخاصة ، وفيما يخص اساليب عملهم الخاصة ، وتكون الصعوبة مضاعفة في الموسيقى والفن التشكيلي وذلك لان يصعف وصف طبيعة الالهام في هذه النشاطات بطريقة لفظية »(١٢) .

و « ماكينون » على وعي بالنتائج المترتبة على المشكلة ، التي من الواضح انه لا يمكن تجنبها والخاصة بدراسة عينات محدودة من أنماط المبدعين . على كل حال ، فإنه قد أكد أن الانجازات الابداعية الخاصة بهؤلاء الذين رفضوا المشاركة في دراساته ، لا تختلف عن الانجازات الخاصة بهؤلاء الذين قبلوا المشاركة فيها . ورغم ذلك ، فإنه قد اعترف أيضا بأنه قد تكون هناك فروق أخرى بين المشاركين وغير المشاركين في هذه الدراسات ( في الشخصية مثلا ) قد لا تكون واضحة بنفس القدر الخاص بالانجازات . وقد أكد « بارون » ، وهو من الباحثين النشطين الذين واصلوا التراث الخاص بالعالم « ماكينون » في استخدام الاختبارات لوصف شخصيات المبدعين ، أيضا وجود ذلك التشابه الجوهري بين كل أنماط المبدعين . ورغم أن عينات « بارون » كانت مقصورة بدرجة كبيرة على مبدعين غير جماليين ، فقد شعر بأن الشواهد المتاحة قابلة للتطبيق أيضا على كل أنماط الابداع : « سيكون من قبيل الخطأ .. اقامة تعارض بين الخيال الفني او الخيال الشعري ، وبين الخيال العلمي »(١٣) . أما « ويلسون » الذي عمل مع الشعراء ، فقد اتخذ وجهة معارضة من النظر :

« ينبغي على المرء التمييز بين الجهد الفني الابداعي ، وبين غيره من أشكال الابداع . فرغم مايبدو من وجود العديد من أوجه الشبه بين الابداع الفني وبين غيره من أنواع الابداع ، خاصة الابداع العلمي ، فإنه سيكون من قبيل المخاطرة أن نذهب بعيدا في تعميمنا الخاص بهذا الشأن »(١٤) .

ويظل موضوع الاختلاف او التشابه بين الأنماط الجمالية في المجلات المختلفة قضية غير محلولة ، قضية تنتظر المزيد من البحوث التي تجرىٰ على مجموعات خاصة من المفحوصين المبدعين .

وتظل الأبعاد الشخصية للمبدعين ، وخاصة مايتعلق منها بالسمات ذات المكون المعرفي النشط ( كالأصالة ، واستقلال التفكير ، والحكم الجمالي ) تظل تشكل موضوعا سائدا بين موضوعات الاهتمام لدى الباحثين في مجال الابداع . وبشكل خاص ، تلقى البعد المتعلق بتفضيل المبدعين للمركب والجديد من الموضوعات والأشكال ، وكما يقاس باختبار « بارون ـ ولش للفن Barron-Welsh Art Scale » اهتماما كبيرا[١٥] . حيث يعكس تفضيل المركب اتجاها ينشأ عن توجه الشخص الانتباهي والادراكي الخاص ، كما انه اكثر عمومية وشيوعا من أى سمة من السمات الشخصية النوعية ، أو من أى مجموعة خاصة من السمات والقدرات . وقد أظهر « روزن » أن درجات طلاب الفنون ، على اختبار « بارون ـ ولش » هذا ، لا تختلف عن درجات الفنانين المحترفين ، كما ان هذه الدرجات لم تختلف مع اختلاف كمية التدريب التي تلقاها هؤلاء الطلاب في مجال الفنون ، مما يشير الى ان هذا الاختبار يقيس شيئا آخر غير القدرة الفنية النوعية . وقد أظهرت المقارنات بين المهن المختلفة أن تفضيل المركب يبلغ أعلى درجاته لدى الفنانين ( كانت درجتهم هي ٣٩ ) ثم جاء المعماريون بعدهم ( وكانت درجتهم هي ٣٧ ) ثم الكتاب بعدهم ( ٣١,٥ ) ثم الباحثون العلميون ( ٢٤ ) وأخيرا غير الفنانين ( ١٣,٩ )[١٦] . وتشير هذه الدرجات الى وجود فرق حاد بين أنماط المبدعين وغير المبدعين ، كما أنها توحي بوجود فروق ( ليست بنفس الحدة ) بين مجموعات المبدعين المختلفة .

## نقد بحوث الابداع والشخصية :

رغم وجود الاهتمام ، ورغم الاتساع في البحوث التي تناولت شخصية المبدعين ، فإن المجال مازال يفتقر الى وجود تماسك نظري مناسب ، ومازال يفتقر أيضا ، نتيجة لذلك ، إلى تفسير يتسم بالكفاءة لارتقاء الابداع والعمليات الخاصة به . وقد وصل « ماكلير وشونتز Mackler & Shontz » من مراجعتها الشاملة للمجال إلى الاستنتاج النقدي التالي :
« لا توجد نظرية ، صغيرة أو كبيرة ، تقوم بالوصف الكفء لعملية الابداع . ولا يوجد أى تعجب ، ولو صغير الشأن ، بخصوص ماهو موجود من خلط نظري وبحثي في المجال .. فلم يتم بعد التقييم العميق لكفاءة النظرية أو البحث في هذا المجال »[١٧] .

وبينما وجد « ديلاسي » و « جاير » من مراجعتهما لبحوث الابداع أن هناك الكثير من الجوانب التي يمكن اطراؤها في المجال ، فإنهما قد لاحظا رغم ذلك وجود مجموعة كبيرة

من الأخطاء منها : وجود محكات غير محددة او غامضة للابداع ، ووجود عينات صغيرة الحجم ، وإهمال العديد من المتغيرات مثل الذكاء والمستوى الاقتصادي الاجتماعي والمكانة الاجتماعية والخبرات السابقة ، والنوع أو الجنس ، وهناك أيضا صعوبة القيام بمقارنات بين دراسات استخدمت مقاييس مختلفة للاستجابة ، وكذلك وجود أدوات قياس غير صادقة ، ووجود تحيزات استجابة غير مرغوب فيها ، وغياب الدراسات الطولية ، وغياب دراسات المتابعة واعادة انتاج نفس النتائج ، ووجود عمليات كثيرة من الخلط بين التحليلات الاحصائية وبين تفسيراتها . وقد استنتج « روزنبرج » بسبب مظاهر عدم الكفاءة في بحوث الابداع هذه أن القليل من الأمور هو فقط مايمكن الاعتماد عليه او قبوله بشكل ثابت فيما يتعلق بالابداع :

« ان مشكلة الابداع مشكلة يكتنفها الغموض او التأمل المبهم ، والتعريفات المشوشة ، وأحكام القيمة ، والنصائح التحليلية النفسية ، والوزن الساحق المعطى للتأمل الفلسفي الذي يعود في تاريخه الى العصور القديمة . ونتيجة لذلك ، فإنه لم يتم التطوير بعد لمناهج البحث الامبيريقية ، المتسمة بالكفاءة الخاصة ، لدراسة الابداع »[١٨]

وقد أدان « هدسون » بوجه خاص عمليات الخلط والفوضى الموجودة في التعريفات المطروحة حول الابداع[١٩] . فقد تمت المساواة بين الابداع وبين السمات الجيدة والجديرة بالاعجاب ( كالجدة ، والأصالة ، والانتاجية ، والصحة العقلية مثلا ) ، لقد تم تهذيب الموضوعات القديمة من خلال مصطلحات جديدة ، ومن خلال ذلك تم اعطاء انطباع زائف بأن حلولا جديدة قد تم اكتشافها ، وقد استمرت مفاهيم عديدة موجودة ومتمسك بها لانها ، ببساطة ، مفاهيم مرتبطة بالموضة اوماهو شائع الآن . وهناك مشكلة اخرى تتصل بالتعريف لاحظها « شابيرو » وتتمثل في عدم الاهتمام بتحديد محكات الابداع . فبسبب وجود طرائق مختلفة لتحديد الشخص المبدع ( ومن ذلك مثلا : انتاجاته ، اوشهرته ، أو قصة خياته ، او حكم أحد الخبراء ، او الاجماع العام عليه ) ، فإن كل طريقة من هذه الطرائق ستتطلب أسلوبا مختلفا في الدراسة .

هناك مجموعة أخرى من الانتقادات جاءت من جانب العلماء الاجتماعيين الذين لاحظوا اغفال أو تجاهل التحليل الاجتماعي في دراسة الابداع . وقد لاحظ « لاسويل » ، معلقا ، انه قد تم اهمال العديد من القضايا الاجتماعية مثل : تاثير السياق الاجتماعي على العمل ، وتاثيره على استخدام شكل خاص دون غيره ، والعلاقة بين النتاجات الجمالية المختلفة ، ودور المتلقين ، وكذلك ، والأكثر شيوعا ، اهمال دراسة علاقة المؤلف والقاريء والعمل بالتاريخ ، والقيم ، ودوافع الجماعة ، والمجتمع ، والثقافة[٢٠] . وعلى نفس الشاكلة ، قامت « ميد Mead » بانتقاد البحوث السيكولوجية وذلك لأنها اهملت وظيفة

الابداع في المجتمع ، حيث تقدم جماعات هذا المجتمع ، ومؤسساته ، المعايير ، والسياق الذي قد ييسر ، أويتعارض مع ، التعبير والمضمون الابداعيين . وقد أشارت « ميد » أيضا الى دور المؤثرات الجمعية ولا الفردية في الابداع ، مقدمة خلال ذلك أمثلة من الثقافات التي تختلف في تقبلها وفي تعريفها للجدة والأصالة .

هناك انتقاد كبير أخر يقوم على اساس ذلك الفشل غير المتوقع الذي واجهته بحوث الابداع في دراستها للنتاجات الابداعية لهؤلاء الأفراد الذين قامت هذه البحوث بقياس شخصياتهم . حيث يشير « سكاجر Skager » وزملائه التحليلية العاملية حول تقييم الفن بواسطة الخبراء وتقييمه بواسطة عامة الناس ، إلى المدى الذي يمكن عنده المرء أن يقترب من الابداع من خلال فحص الناتج الابداعي . وليس من المدهش ان نجد انه قد تمت الاشارة الى أن هذين النمطين من المفحوصين ( الخبراء وعامة الناس ) يستخدمون محكات مختلفة لتقييم الابداع . وربما كان الشيء غير المتوقع هو ماظهر من أن عامة الناس قد اظهروا اتفاقا اكبر فيما بينهم فيما يتعلق بتقييماتهم للفن أكثر مما أظهره الخبراء ، والأمر الأكثر اهمية هو ماظهر من أن هناك خاصية مختلفة للفن تقوم الأنماط المختلفة من الشخصيات بالانجذاب اليها اكثر من غيرها . ومن الممكن بطبيعة الحال الامتداد بهذه المقاربة التحليلية العاملية ، من القيام بتحليل لطبيعة الموضوع المنبه وطبيعة الملاحظ أو المتلقي له إلى تحليل لشخصية الفنانين الذين قاموا بانتاج هذه الأعمال التي يتم طرح الأحكام بشأنها .

ورغم أن دراسة « سكاجر » وزملائه تعاملت مع الناتج الابداعي ، والمتلقي له فإنها ، ولسوء الحظ ، لم تتعامل مع الموضع الخاص بالفنان في هذا المنظور الثلاثي . وقد قام « شانتجميها Sikszentmihalyi » و « جتزلز » في دراسة لهما بالتركيز على الفنان وعمله ، ومن خلال السبر العميق المباشر لاتجاهاته ، بينما هو يعمل ، وقد كانت تطرح على الفنان أثناء العمل أسئلة مثل :

« لماذا تقوم بتنظيم المواد بهذا الشكل ؟ ، ماالذي كنت تفكر فيه ؟ هل تستطيع أن تغير هذه اللوحة ؟ » ومع ذلك ، تظل هذه الدراسة أيضا غير كاملة ، وذلك لأنها لم تحصل على استجابات الآخرين ( سواء كانوا من عامة الناس أو من الخبراء ) بالنسبة لهذا العمل ، كما أنها لم تستكشف شخصيات الفنانين أو المتلقين للفن .

الشيء المدهش هو أن نجد باحثين في مجال الشخصية ، يتبنون الاتجاه الكلي ، ومع ذلك يفشلون في فحص الموضوع الفني ، أو استجابات المتلقين له . إن دراسة الفنان هي أمر هام إذا أردنا الوصول الى صورة كاملة حول الابداع ، لكن هناك أيضا النتاجات الخاصة بتعبير هذا الفنان عن نفسه ، وأيضا استجابات الآخرين لعمله . وفي مجال

دراسة الأدب ، ستعمل العملية الخاصة والتي تشتمل على الجمع بين دراسة وشخصية الأديب وفحص كتابته ، وكذلك دراسة استجابات القراء ( مع وضع السياق الاجتماعي في الاعتبار ) ، ستعمل على زيادة معرفتنا بالابداع . إن المنحى الشامل مترابط الجوانب في دراسة الجماليات قد يكون منحى نفيسا في الاجابة على اسئلة سيكولوجية تقليدية حول الأدب مثل :كيف تؤثر شخصية الكاتب ـ إن كانت تؤثر ـ على كتابته ؟ وإلى أى درجة ، إن وجدت ، يعكس العمل الأدبي شخصية كاتبه ؟ وما الأشياء التي يستجيب لها القارىء أكثر من غيرها في العمل ؟

يقوم النمط الأكثر تقليدية من البحوث حول شخصية المؤلفين ، في مقابل البحوث حول الابداع ، بفحص الناتج الابداعي فقط ( وفي بعض المناسبات يزود هذا الفحص بمواد مشتقة من السيرة الذاتية ) ، وذلك ربما بسبب عدم وجود الشخص المبدع أو اتاحته للدراسة . وعلى غير شاكلة بحوث الابداع ، فإن الدراسة النفسية للأدب هي دراسة تاريخية ، ونادر ماتقوم بدراسة الشخصية غالبا مقصورة ، بالضرورة على اعادة بناء ، أو إعادة تركيب ، حيوات المؤلفين الموتى ، من خلال عمل تخميني ، يقوم على اساس كتاباتهم ، فإن بحوث الابداع لا يتوفر فيها هذا الاستثناء الخاص باستبعاد الفحص لنواتج أحد الفنانين ( ويرجع هذا الحذف أو الإهمال بشكل خاص إلى عدم إتاحة الفنانين كمبحوثين ) . ويلتمس المجال هنا ، ويتوق إلى ، نقطة التقاء مشتركة بين المهتمين بالشخصية ، كما تنعكس في الأعمال الأدبية ، وبين القائمين ببحوث الابداع ، على أن يتم ذلك بالنسبة لشخصيات الأحياء من المبدعين .

***

# الشخصية كما تنعكس في عمل المؤلفين

يمثل البحث الذي قام به « ماكوردي » أفضل من غيره تلك المحاولة التي تتضمن استخلاص شخصية المؤلف من عمله ، ثم استخدام هذا الاستخلاص كوسيلة مساعدة في التحليل الأدبي ، فقد قام « ماكوردي » بتحليل أعمال « سوفوكليس »* والاخوة « برونتي »** و « د . هـ . لورنس »*** وشكسبير ، ومن خلال مجموعة متنوعة من الأساليب الكمية مثل : حصر الصفحات التي تظهر فيها شخصيات مختلفة ، وعدد السطور التي تنطقها كل شخصية من الشخصيات المختلفة في العمل ، وكذلك حصر وعنونة أسماء وسمات الشخصيات الموجودة في العمل . وقد مكنت هذه الاحصاءات ، إضافة الى التفسيرات الذاتية ، « ماكوردي » من استخلاص الموضوعات الخاصة بين الشخصيات . وقد ساعد هذا التحليل على فهم العمل ، كما قدم أيضا بعض المعلومات حول شخصيات المؤلفين .

هناك جهد كبير آخر قام به « هول ولند C.S. Hall & Lind » ، حين قاما باجراء « تحليل المضمون » على الروايات الثلاث لـ « كافكا » وقد قام هذان الباحثان بوضع الشخصيات القصصية على متصل كمي Continuum يمتد من المودة والصداقة التامة وحتى العدوان ، وقاما من خلاله بتفسير وجهات نظر الشخصيات حول مدى طيبة أو صلاح الناس . وقام هذان الباحثان ايضا بالمقارنة بين هذا التحليل وبين معلومات مشتقة من السيرة الذاتية

* « سوفوكليس اوسوفوكل » ( ٤٩٦ ـ ٤٠٦ ق . م ) مؤلف مسرحي يوناني ، يعتبر احد اعظم المسرحيين التراجيديين في الادب اليوناني القديم ( المترجم ) .

** الاشارة هنا بوجه خاص الى الروائية الانجليزية « اميلي برونتي » ( ١٨١٨ ـ ١٨٤٨ ) مؤلفة رواية « مرتفعات وذرنج » ( عام ١٨٤٧ ) ، وإلى اختها « تشارلوت برونتي » ( ١٨١٦ ـ ١٨٥٥ ) مؤلفة رواية « جين اير » ( عام ١٨٤٧ ) ( المترجم ) .

*** « ديفيد هربرت لورنس » ( ١٨٨٥ ـ ١٩٣٠ ) روائي انجليزي يتسم بنزعة حسية في أعماله ( المترجم ) .

« لكافكا » ، خاصة مايتعلق منها بأحلامه التي سجلها . وقد وجدا ، بشكل عام ، ان هذه الروايات تكشف عن فرد شديد التركيب او التعقيد بدرجة كبيرة اكثر مما يمكن ان يتنبأ به المرء على اساس معلومات السيرة الذاتية فقط .

كذلك استخدم « وايت » تحليل المضمون ، مطبقا اياه على رواية السيرة الذاتية لدى « رايت » والمسماة « الصبي الأسود » ، ومستخدما فئات أخذت من أبعاد « موراي » الاكلينيكية ( العيادية ) حول الدافعية ( والتي شكلت الأساس لاختبار تفهم الموضوع ) ولم تتعارض نتائجه بشكل عام مع الانطباعات الذاتية المقبولة بشكل عام حول العمل ، بل انها ايدتها ، وفي بعض الحالات ، قامت البيانات الموضوعية بتعديل النتائج الموجودة سابقا والقائمة على اساس التحليل التقليدي ، كما انها قامت بالامتداد بحدودها أيضا .

كذلك قام « روزنترج » و « جونز » بتحليل تصور « درايزر Dreiser » الخاص حول المراة ، وقاما بترسيخ قواعد دراستهما على أسس تعتمد على طرائق كمية عديدة خاصة بتحليل السمة ، وقاما بتطبيق هذه الطرائق على احدى روايات « دريسر » . وقد كان قصدهما الأساسي هو التوضيح والكشف عن الفوائد الخاصة بمناهج بحث معينة اكثر من اهتمامهما بتطبيق النتائج على التحليل الأدبي . وقد تم الدمج بين نتائجه وبين الترجمة الذاتية المكتوبة عن « دريسر » وقد كانت هذه النتائج متفقة مع تقديرات المحكمين الخاصة حول سمات الشخصيات الأدبية .

كانت دراسة « بويرسكي وكرامر B uirlski & Kramer » هي الدراسة الوحيدة التي عارضت وجهة النظر الشائعة التي فحواها وجود علاقة بين شخصية المؤلف وبين عمله . فلم يجد هذان الباحثان أية علاقة بين الحاجة الشخصية الى الانجاز والانتماء لدى عشرة من المؤلفين الذين نشرت أعمالهم ـ وكما قيست هذه الحاجة من خلال اختبار تفهم الموضوع ـ وبين وجود مثل هذه الموضوعات الرئيسية في قصصهم القصيرة . على كل حال ، وكما يسلم بذلك الباحثون التجريبيون ، فإن هذا الفشل الظاهري في ايجاد علاقة بين المبدع وعمله ، قد يشير فقط الى ان المحددات اللا شعورية تلعب دورا صغيرا جدا في مضمون القصة ، دورا أقل مما توقعه من قبل . وعلاوة على ذلك ، فان السياق الاجتماعي ، الذي يعمل فيه الكاتب قد يقوم بالتأثير بشكل جوهري على محتوى حاجاته اللا شعورية . لقد قام تحليلهما بالقاء بعض الأضواء على الرابطة المعقدة وغير المباشرة التي يمكن ان تميز العلاقة بين شخصية المؤلف وبين عمله ، وعلى الحاجة الى تفسير تلك العلاقات المركبة المتوقعة من خلال اساليب وطرائق بحثية محكمة يمكنها الاقتراب بشكل مقنع ، وكفء ، من هذه المناطق الأساسية المتشابكة .

## الدراسة التجريبية للابداع :

تركز بحوث الابداع وكذلك دراسات شخصية المؤلفين كما تنعكس في اعمالهم ، جل جهودها ، غالبا وبشكل استثنائي ، على الفروق الفردية ( في الذكاء والشخصية مثلا ) كما انها تعتمد بالضرورة وبدرجة كبيرة ، على الطرائق الوصفية في البحث ( كتحليل المضمون والاختبارات والارتباطات مثلا ) ورغم ان مثل هذه الاهتمامات ، وكذلك المنحى المطلوب للقيام بدراستها ، من الأشياء الشائعة والمفيدة ، فإنها ـ هذه الاهتمامات والمنحى الخاص بها ـ تميل بطبيعتها الى اهمال العمليات السيكولوجية الأكثر عمومية والموجودة داخل كل انسان . كما انها لا تطوع نفسها بسهولة للبحث التجريبي ، وبطريقة تجعل المتغيرات المناسبة قابلة للمعالجة والضبط الأفضل . فالأبعاد الأكثر عمومية والتي يشترك فيها معظم الناس ، كانت دوما ، وبشكل مألوف ، تشكل جانبا من علم النفس التجريبي العام . وتشتمل هذه الأبعاد على موضوعات الادراك ( والذي يتعلق بطبيعة الموقف والمهمة المدركة ) والتعلم ( أى دور عمليات التدريب ، والاستبصار ، والتذكر ) والانتباه ( والوجهة الخاصة بالانتباه ) والتفكير ( حل المشكلات ، والصور العقلية ، والخيال ) .
ولا يتكرر ظهور مثل هذه الموضوعات ، او ظهور الدراسة التجريبية الخاصة بها في دراسات الابداع . بل ان هناك ، وبدلا من ذلك ، وكما تمت الاشارة من قبل ، اهتماما أقل بالموضوع الابداعي والموقف الابداعي والاستجابات المتنوعة للمتلقي للموضوع الابداعي ، في مقابل الاهتمام الأكبر بالشخص المبدع . وقد اشار « هيلجارد » ، والذي كان يتحدث باعتباره من علماء النفس التجريبيين ، الى ذلك التجاهل الواضح لمثل هذه الموضوعات في بحوث الابداع ، وربما كان الافتقار الى الاهتمام بمثل هذه الموضوعات هو ماأدى الى مثل الاستنتاج غير السار التالي :

تعتبر الحالة التي عليها المجال غير مرضية الى حد ما ، وهكذا فإن علماء النفس قد طرحوا أسئلة أكثر ، إلى حد بعيد ، من الاجابات التي قدموها »[٢١] ..

كانت هناك محاولات قليلة فقط هي التي حاولت دراسة الابداع من وجهة نظر تجريبية ، ربما بسبب كون المنهج التجريبي أكثر تحديدا في مداه وأقل إثارة من بحوث الشخصية . لقد فسر الابداع بشكل عام باعتباره ينتمي الى الاطار العام لبحوث التفكير ، اى باعتباره نوعا من حل المشكلات بطريقة غير لفظية . وهكذا فإننا نجد ان « ويستكوت »

يشير الى الابداع باعتباره شكلا من أشكال « تكوين المفهوم بشكل تصادفي « Incidental concept formation ، كما يتحدث « ميدنيك » و ميدنيك « Mednick & Mednick عن الابداع باعتباره نتيجة للعادات الفكرية التي تقوم باحداث الترابط بين الأفكار . وعلى كل حال ، فإن الدراسات التي نشأت ، من خلال هذه الوجهة المعرفية من النظر قد قامت فقط باللمس غير المباشر لموضوع الابداع . لقد اعتمدوا في دراساتهم وبشكل نمطي على اناس عاديين بدلا من ان يعتمدوا على مبدعين فعليين ، وعلى مهام عادية بدلا من ان يعتمدوا على مهام ابداعية ( وعلى سبيل المثال فقد كان يتم سؤال عينة عشوائية من طلاب الجامعة ان يحلوا مشكلة من مشكلات التعلم ) . ولسوء الحظ ان العديد من الدراسات المضبوطة ، والأكثر صلاحية بشكل مباشر للجماليات الأدبية هي دراسات قديمة تماما . فقد وجد « مورفي Murphy » ان العلماء وطلاب الأدب يتشابهون مع بعضهم البعض فيما يتعلق بالسرعة التي تتم بها استثارة التداعيات الحرة في أذهانهم من طلابها ، ولكنهم يختلفون عن بعضهم البعض في عدد البنود او الموضوعات التي يقوم كل منهم بتكرارها . كذلك وجدت « واشبورن Washburn » وزملاؤها ان الشعراء يعطون استجابات أكثر مقارنة بالعلماء فيما يتعلق بالقوائم الصماء ( غير ذات المعنى ) وكذلك الألوان التي تقدم لهم كي يستجيبوا لها .

في مقابل هذه الجهود المحدودة ، هناك قدر طيب من البحوث التجريبية والتي أوحت بها صياغة « والاس Wallas » الكلاسيكية لمراحل التفكير الابداعي . فقد وصف « والاس » الابداع باعتباره عملية متدرجة ، تبدأ من عملية الاعداد Prepartion ( أي جمع المعلومات ) وتتلوها عملية الاختمار Incubation ( وهي فترة لا تتضمن أي نشاط واضح أي ضمني مقصود ) وتجيء بعد ذلك مرحلة الاستبصار Insight ثم أخيرا تجيء مرحلة التحقيق ( أو التنفيذ ) Verification . وقد تمت دراسة الجوانب المختلفة من هذا التحليل الوصفي ، والذي أيدته الملاحظات القائمة على اساس الشواهد القصصية ، او الخاصة بالحكايات عن المبدعين . ففي دراسة غير تجريبية تقوم على اساس التصور المتدرج أو المتسلسل لمراحل الابداع ، قام « دريستات » بفحص المحتوى الرمزي للأحلام التي ذكرها الفنانون ، والعلماء ، والمخترعون ، وذلك كي يفهم دور هذه الأحلام في مرحلتي الاعداد والاختمار . وقد وجد هذا الباحث أن أحلام العلماء والمخترعين تميل الى ان تعبر بشكل مباشر عن حلول لمشكلات محددة ، بينما كانت أحلام الفنانين التشكيليين والموسيقيين ، والروائيين ، متعلقة فقط وبطريقة غير مباشرة ، بحلول بعيدة أو كلية .

وتشير دراسة « ويلسون » إلى التركيب الخاص التي تتسم به مراحل الابداع ، وقد استخدم هذا الباحث في دراسته هذه مايسمى بالتحليل الاسترجاعي Retrospective

Analysis ، وفيه كان الشعراء يقومون بالوصف الزمني لتسلسل الأحداث التي تمر بهم اثناء كتابتهم للشعر(٢٢) . ورغم انه لم يقم بالعرض المنظم لبيانات دراسته هذه ( وقام بدلا من ذلك بعرض أمثلة من تعليقات الشعراء في هذا الشأن ) ، فإن الدور الحميم للمشاعر والاتجاهات الشخصية في هذه المراحل ، كان أمرا واضحا . وقد عرض « هايمان Hyman » أنماطا مختلفة من المعلومات التي تم الحصول عليها قبل حل المشكلات مباشرة ، وقد وجد ان هذه المعلومات المدخلة Inputs تقوم بارساء وجهات معينة من التفكير لها تأثيراتها الايجابية والسلبية على مرحلة الاعداد . كما قام « شانتجميها وجيتزلز » بدراسة اهتمام الفنان بالاكتشاف خلال النشاطات الابداعية الفعلية ، وقاما ايضا بدراسة الاستراتيجيات المختلفة لحل المشكلات لديه .

قامت « باتريك » باجراء أكثر البحوث التجريبية مباشرة وشمولا حول دور المراحل الأربع للابداع . ففي المعمل ، قامت بعرض نفس اللوحة ( منظر طبيعي ) على مجموعة من الشعراء ومجموعة ضابطة من غير الشعراء . ثم طلبت منهم كتابة قصيدة تثيرها هذه اللوحة فيهم . وقد امكن القيام من خلال مثل هذا الموقف المضبوط بعمليات ملاحظة متروية لسلوك المجموعتين ، وكذلك القيام بتسجيل تعليقاتهم ، سواء كانت هذه التعليقات تلقائية او غير تلقائية ، اثناء اداء المهمة المطلوبة وبعدها ايضا . ومن بين النتائج الكبيرة لهذا البحث الهام ( ولسوء الحظ انه قد تم عرض البيانات من خلال جداول وصفية دون أى تحليل احصائي ) ، أن « باتريك » قد وجدت أن المراحل الأربع للابداع هي عبارة عن أحداث مرنة ، ويسهل حلول بعضها محل البعض الآخر ، أكثر من كونها مراحل منفصلة ومتتابعة . واضافة الى ذلك ، وجدت هذه الباحثة ايضا انه رغم ان قصائد المبحوثين المبدعين قد حكم عليها بواسطة أربعة من الشعراء بأنها أكثر معنى وأكثر دلالة من انتاجات المجموعة الضابطة ( ولم يتم ذكر القيمة النسبية لهذه القصائد ) ، فان التشابه بين هاتين المجموعتين كان أكثر من الاختلاف بينهما وذلك بالنسبة لأبعاد أخرى عديدة منها : ان المجموعتين قد أظهرتا وجود أربع مراحل للابداع ، وانهما أخذتا نفس الوقت في الكتابة ، وكتبتا أنماطا متماثلة من القصائد ، واستخدم افرادها كلمات متشابهة في كتابتهم .

اما الفروق التي ظهرت بين المجموعتين فمن ضمنها أن أعمال الشعراء قد اشتملت على موضوعات أكثر كما وكيفا ، وقد كانت هذه الموضوعات أقل ارتباطا بالمنبه البصري الأصلي الذي كتبوا عنه قصائدهم ( المنظر الطبيعي ) كما ان قصائد الشعراء كانت اكثر اتصالا بأمورهم الشخصية الخاصة .

لقد قام الفنانون ( وكذلك العلماء ) في موقف مضبوط آخر بالأداء المماثل جوهريا لأداء الشعراء ، ومن ثم فقد أيدو وجهة النظر القائلة بأن هناك فروق قليلة ( وإن كانت حاسمة ) بين أنماط الابداع الفني والأدبي ، وبين أنماط الابداع الجمالي والعلمي ، وبين كل انماط الابداع بين النشاطات الخاصة بعامة الناس . وقد أظهر الفنانون التشكيليون تماثلات أكثر ، مثلهم في ذلك مثل الشعراء ، مع المجموعة الضابطة المصاحبة لهم ، أكثر مما كشفوا عن وجود فروق بينهما ، وعلى سبيل المثال : فإن المجموعتين ( الفنانين وغير الفنانين ) قد كشفتا عن وجود المراحل الأربع للابداع ، هذا رغم ان الفروق التي كشف الفنان التشكيليون عن وجودها بينهم وبين غير الفنانين ، كانت أكبر من التي كشف عنها الشعراء مقارنة بغير الشعراء ( وربما كان ذلك راجعا الى ان مهارات الرسم والتصوير الزمني تتطلب ، على عكس الكتابة ، نوعا خاصا من التدريب ) . ورغم أن هذا البحث محدود القيمة بدرجة واضحة نتيجة للاصطناع المصاحب للمواقف ( المصطنعة ) الذي اجرى من خلالها ( في كل عمليات التجريب في المعمل ) ، فإن ٨٠٪ من الشعراء عندما طلب منهم المقارنة بين انتاجاتهم في ظل هذه الظروف وبين انتاجاتهم الأكثر تلقائية في ظل ظروف الابداعية قد قالوا بأن القصائد التي انتجوها في ظل الظروف التجريبية تعتبر ممثلة لعملهم العادي المألوف دون اختلافات كبيرة . وتصديقا على واقعية الأعمال التي انتجت في المعمل ، كانت مجموعة من المحكمين قادرة على تحديد هوية أعمال الشعراء ، على أساس معرفة هؤلاء المحكمين السابقة بشعرهم المنشور ، كذلك كانت هناك نية لدى العديد من الشعراء لنشر القصائد التي أنتجوها في المعمل .

تشتمل المشكلات الخاصة باجراء العمل مع مبحوثين مبدعين في موقف المعمل على التغلب على الاصطناعية الخاصة بالموقف المعملي ، وكذلك على تقرير ماإذا كنا سنقوم بالملاحظة المباشرة أم بشكل سري ، وأيضا على الحكم على ثبات وصدق التعليقات التي يقدمها المبحوثون ، وكذلك التعويض والتخفيف من الصعوبات التي يواجهها المبحوثون في القيام بعمليات الاستبطان ، وقد اقترح « زانوف Tsanoff » منذ وقت مضى انه من الممكن تفادي العديد من هذه الصعوبات من خلال دراسة المسودات الأولى للكتابة لدى الشاعر ، وهي المسودات التي قد يمكنها ان تكشف بشكل مباشر ، لكنه واقعي ، عن تفكيره . ( وقد اشارت « باتريك » أيضا إلى عملية فحص ما قامت بها للمفكرة الخاصة بالشاعر « كولريدج » في محاولة لاعادة تركيب أو اعادة بناء تصور ما حول عملياته الابداعية[٢٣] . على كل ، فإن مثل هذا المنحى يشتمل على مجموعته الخاصة من الصعوبات ، وهي الصعوبات التي ربما أدت إلى إهمال استخدامه . وتشتمل هذه الصعوبات على عدم الاتاحة بشكل عام للمسودات الأولى ، وعلى الحاجة الى المعرفة الأدبية من أجل فهم

المخطوط الأدبي وفهم التنقيحات المختلفة التي جرت عليه ، وكذلك ، وهو الأكثر خطورة ، تلك الشكوك المتعلقة بما إذا كانت أفكار المؤلف الأولى ممثلة بالضرورة فعلا في مسودته الأولى . وبالرغم من هذه المشكلات ، فإن « روزنبرج » قد استخدم مسودات المخطوطات هذه ، اضافة الى المقابلات الشخصية ، في تحليله للالهام الشعري[٢٤] . ورغم ان دراسته هذه لم تجر باعتبارها دراسة رسمية ، فان تحليله الانطباعي يوحي بأن الإلهام ليس دائما هو نقطة البداية في الابداع ، وانه قد يكون اقل اهمية من مزاج اللحظة Mood الخاصة بالشاعر أو من حالة التوتر لديه .

هناك دراسة قام بها « جاردنر وجاردنر H. Gardener & J. Gardener » يجدر بنا أن ننوه بها ، فرغم ان هذه الدراسة قد تعاملت مع مهارات كتابة وحكى القصص لدى الأطفال ، وبصفة خاصة مع تلك القدرات التي ترتبط بمتغيرات مثل الشخصية ، فأنها دراسة هامة في هذا السياق وذلك لوجود امكانات منهجية كثيرة موجودة فيها من الممكن ان تكون مفيدة في دراسة الكتابة الابداعية لدى المحترفين[٢٥] . فبناء على الطريقة التي يتم اكمال القصص بها وتذكرها من خلالها ، تم الحصول على بيانات موضوعية حول فهم حبكة القصة ، وحول أصالة نهايات القصص ، وحول الحساسية للاسلوب ، وأيضا حول الاحتفاظ ذهنيا بالحقائق والتفاصيل الكبيرة . وقد تم النظر الى مثل هذا النمط من البيانات ( والذي يمكن الحصول عليه ايضا من الطلاب الدارسين للكتابة ومن الكتاب المحترفين ايضا ) باعتباره يعكس ارتقاء عمليات الفهم والابداع ، والتواصل ( أو التوصيل ) والاحتفاظ ذهنيا بالمادة المركبة .

قد يبدو المنحى التجريبي وكأنه منحى غير طبيعي ، أو منحى يتعامل مع قضايا جمالية ثانوية نسبيا ، وخاصة عندما تتم مقارنته بثراء أو خصوبة ، وصلاحية بحوث الشخصية والابداع . ومهما كان الأمر ، فإن عدد البحوث التي أجريت من خلال هذا الاسلوب هو عدد قليل ، مقارنة بأنواع البحوث الأخرى ( كالتي تمت من خلال تحليل المضمون مثلا ) ومن ثم فسيكون من غير المناسب ، ومن قبيل التسرع ، أن نحكم على كفاءة هذا الاسلوب في التعامل مع القضايا الأدبية . والأكثر من ذلك ، أن التجريب يشتمل على جوانب كثيرة من جوانب القوة ( منها على سبيل المثال امكانية التحكم ( أو الضبط ) في الموقف وفي أبعاده المختلفة ) . ومن الممكن أن تقوم جوانب القوة هذه بالتعويض عن ذلك المدى المحدود ، بالضرورة ، المرتبط بهذا الاسلوب . وقد يكون من الممكن اخضاع الموضوعات الخاصة بالعمل الأدبي وقارئه ، والتي سنقوم بمراجعتها في الفصل القادم ، بسهولة نسبية لعمليات التجريب ، مقارنة بالصعوبة المصاحبة لمحاولات فهم الخصائص الأكثر فردية والمميزة للشخصية والابداع .

رغم ان الابداع هو موضوع مثير للاهتمام في ذاته فانه هام وجدير بالانتباه في نفس الوقت ، وانه قد ادى نتيجة لذلك الى وجود مناقشات ومجهودات بحثية كثيرة حوله ، فلم تتوفر بشأنه ، رغم ذلك ، حصيلة كبيرة مرتفعة القيمة من المعرفة الامبيريقية الخاصة بالسمات والعمليات التي يشتمل عليها الابداع ، ومازالت تحيط بالموضوع العديد من المشكلات التصورية والمنهجية ، وربما يرجع هذا إلى أن بؤرة الاهتمام المألوفة لدى الباحثين كانت هي الشخص المبدع وليس الموضوع المبدع او الاستجابات التي تظهر بالنسبة له . وهما من الأبعاد التي يمكن ان تكون اكثر قابلية للشروع في دراستها موضوعيا بسبب موقعها الخاص خارج المبدع . ولهذا فان الاستراتيجية الأفضل قد تكون هي التحول نحو وظائف سيكولوجية اخرى لها صلاتها الوثيقة بالابداع والشخصية . وتشتمل هذه الوظائف على طبيعة العمليات المعرفية والدافعية لدى المتلقى ، وعلى مضمون وبنية العمل الأدبي اللذين يثيران استجابات خاصة . وستتم معالجة هذه الموضوعات في الفصل القادم . ان دراسة مثل هذه الموضوعات لها ميزة أخرى ، تتفوق بها على الدراسة التي تقوم بالتركيز على الابداع فقط ، وتتمثل هذه الميزة في أن هذه الموضوعات مرتبطة بشكل أكثر مباشرة بالمواد الأدبية . اضافة الى ماسبق ، فان البحوث التي سنراجعها في الفصل القادم لها صلاحيتها بالنسبة لمدى متسع من الموضوعات السيكولوجية ، كما ان العديد منها ، رغم انه ليس مرتبطا بشكل مباشر بالاهتمامات الجمالية ، قد يتعلق بشكل غير مباشر بالعمليات الاساسية المتضمنة في هذه الاهتمامات .

☼☼☼

# هوامش الفصل السابع

1. J. P. Guilford, "Creativity: Retrospect and prospect," *Journal of Creative Behavior* (1970): 149-168.

2. Guilford, "Creative abilities in the arts," *Psychological Review* 44 (1957): 110-18; "Traits of creativity", In *Creativity and its cultivation*, edited by H. H. Anderson (New York: Harper 1959), pp. 142-161; a recent updating of his work is found in "Creativity," *Journal of Creative Behavior*, 1970, note 1. A good general review of the factor analytic approach represented by Guilford can also be found in T. A. Razik, Psychometric measurement of creativity," in *Explorations in creativity*, edited by R. L. Money & T. A. Razik (New York: Harper & Row, 1967), pp. 301-309.

3. Dellas & E. K. Gaier, "Identification of creativity," *Psychological Bulletin* 73 (1970) p. 59.

4. Ibid.

5. C. Martindale, "Degeneration, disinhibition, and genius," *Journal of the History of the Behaviorual Sciences* 7 (1971): 177-182.

6. D. W. McKinnon, "The personality correlates of creativity: A study of American architects," in *Creativity* edited by P. E. Vernon (Baltimore: Penguin, 1970) p. 293.

7. W. Myden, "Interpretation and evaluation of certain personality characteristics involved in creative production," *Perceptual and Motor Skill, Monograph Supplement* no. 3, 9 (1959): 158.

8. A. Roe, "Artists and their work," *Journal of personality* 15 (1946): 2-3.

9. Ibid., p. 3.

10. Ibid., p. 7.

11. R. N. Wilson, "The poet in American Society," *The arts in society*, edited by R. N. Wilson (Englewood Cliffs, N. J. Prentice-Hall, 1964), pp. 1-34.

12. P. E. Vernon, ed., *Creativity* Baltimore: Penguin, 1970), p.53.

13. F. X. Barron, "The psychology of creativity," in *New directions in psychology II*, edited by T. M. Newcomb (New York: Holt, Rinehart & Winston, 1965), p. 88.

14. R. N. Wilson, "Peotic creativity: Process and personality," *Psychiatry* 17 (1954): 163.

15. Barron, "The disposition toward originality," *Journal of Abnormal and Social Psychology* 15 (1955): 478-485.

16. MacKinnon in Vernon, 1970, pp. 289-311.

17. B. Mackler & F. G. Shontz, "Creativity: Theoretical and methodological considerations," *Psychological Record* 15 (1965): 237-238.

18. A. Rothenberg, "The Iceman Cometh," 1969, p. 549.

19. L. Hudson, "The question of creativity," in Vernon, 1970, pp. 217-234.

20. H. D. Lasswell, "The social setting of creativity," in Anderson, 1959, pp. 203-221.

21. E. R. Hilgard, "Creativity and problem solving," in Anderson, 1959, p. 163.

22. C. Patrick, "Creative thought in poets," *Archives of Psychology* 26 (1935), #178.

23. Rothenberg, "Inspiration, insight, and the creative process in peotry," *College English* 31 (1970): 172-183.

24. H. Gardner & J. Gardner, "Children's literary skill," *Journal of Experimental Education* 39 (1971): 42-46.

# الفصل الثامن

## دراسات حول العمل الأدبي وقارئه

الوالدين* . ( كذلك ناقش « اوجيليفي » في نفس المقالة السيرة الذاتية للمصور « مارك شاجال »** في ضوء وجود الموضوع المتكرر الخاص بالطيران في لوحاته ) . كذلك قام « ماكليلاند » و « فريدمان » بالربط بين الحكاية الشعبية الخاصة حول ذئب القيوط*** ، وهي أمثولة Allegory ( حكاية مجازية ) دينية منتشرة في قبائل عديدة من قبائل الهنود الحمر ، وبين الممارسات الخاصة بتربية الأطفال ، ومن خلال اعتبار هذه العلاقة تعبيرا من تعبيرات الحاجة عن الانجاز . وقام « ماكليلاند » وزملاؤه في دراسة اخرى بالربط بين موضوعات متكررة ، مثل القلق والاعتماد ، في الفولكلور الشائع لدى جماعات عديدة ، وبين حدوث سلوك تعاطي المسكرات في هذه الثقافات . ولم يكن تعاطي المسكرات مرتبطا بالقلق الخاص بكسب الرزق ، كما أنه ايضا كان أقل احتمالا في حدوثه في الثقافة التي تعتنق قيما تنعكس في حكاياتها ومنها قيم الاحترام ومساندة الذكور . واستخدم « كلاينبرج Klineberg » الأدب الصيني لبحث قضية التعبير بالوجه عن الانفعال . وقد وجد بعض جوانب التشابه ، وبعض جوانب الاختلاف ، بين الأساليب النمطية المستخدمة في التعبير بالوجه في الصين وفي الغرب ، وأيد من خلال ذلك النظريات النسبية ( التي تؤكد اهمية التعلم ) وأيضا النظريات العالمية ( الفطرية ) حول الطبيعة البشرية .

لقد قامت دراسات « ماكليلاند » المتسعة حول الحاجة الى الانجاز وكما لخصها في كتابه المجتمع المنجز ( أو مجتمع الانجاز ) وهو الدافع الى الكفاح من أجل النجاح ووفقا لمعايير داخلية خاصة حول التفوق ، قامت ـ هذه الدراسات ـ بالاستخدام الحر للمصادر الأدبية : كالحكايات الشعبية ، والأغاني والمواويل ، والأساطير الخرافية ، والأدب الانجليزي من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر ، والقص الأسباني في العصور الوسطى ، والشعر الاغريقي القديم ، والخطب والأحاديث ، والابيجرامات . وكان « ماكليلاند » ينظر الى الأدب باعتباره انعكاسا لقيم المجتمع ، كما انه استخدمه باعتباره مصدرا غير مباشر للمعلومات حول دافعية الانجاز في المجتمعات القديمة ، وهي تلك المجتمعات التي تكون البيانات الأخرى عنها متناثرة او غير متاحة . وقد بين « ماكليلاند » أن التعبير المرتفع عن الحاجة للانجاز في الأدب لدى المجتمعات القديمة كان يسبق عملية النهوض الاقتصادي لأحد المجتمعات ، ومن خلال استخدامه لكمية التجارة أو عدد المباني التي تشيد ، باعتبارها من ضمن المؤشرات الاقتصادية المناسبة . فعندما يصل

---

* ويعني هذا انه كلما زاد وجود سمة السيطرة لدى الوالدين خلال عمليات التربية كلما قلت الأفكار الخاصة حول الطيران لدى الاطفال والعكس صحيح ايضا ( المترجم ) .

** مارك شاجال ( ١٨٨٧ ـ ١٩٨٨ ) رسام فرنسي ، روسي المولد ، عرف بغنى الالوان واتساع الخيال ( المترجم )

*** ذئب صغير يوجد في امريكا الشمالية ( المترجم ) .

النمو الاقتصادي للمجتمع الى ذروته ، فان العادات الشخصية الخاصة بالاستقلال والكفاح تصبح غير مناسبة وذلك لأن الأثرياء يمكنهم شراء الخدمات من الآخرين ، ويتلقى الأطفال بشكل خاص تدريبا أقل على الاستقلال . ونتيجة لذلك تعتري دافعية الانجاز حالة من الخمود أو الهبوط ومن ثم فإنه يتوقع حدوث الأفول - أو الانحطاط - الاقتصادي خاصة ، والاجتماعي عامة في هذا المجتمع .

استخدمت دراسات أكثر قربا ( من حيث تاريخ نشرها ) حول الحاجة للانجاز ( وكذلك حول القوة والانتماء ) الأدب كمادة للدراسة . وقد اعتبرت كتب القراءة المقررة على الأطفال بوجه خاص ، مؤشرات جيدة لدوافع المجتمع ، وباعتبارها المكافيء او الجانب الحديث المماثل لأساطير المجتمعات البدائية وحكاياتها الخرافية . وقد تم النظر الى القصص الموجودة في هذه الكتب باعتبارها تعكس قيم جماعة معينة بطريقة خيالية ومثيرة للاهتمام ، وفي الوقت نفسه ، لا تكون هذه القصص محصورة - في محتواها - ومتعلقة فقط بطبيعة اجتماعية بعينها أو بمجموعة معينة من الأحداث التاريخية . وقد كشف « دي تشارلز وموايللر Decharms&Maeller » ، وتأييدا للافتراضات السابقة ، ان الحاجات التي تم التعبير في كتب القراءة المقررة على الأطفال في الولايات المتحدة خلال الفترة من ١٨٠٠ - ١٩٥٠ كانت متقدمة زمنيا على المؤشرات الاقتصادية الموضوعية الخاصة بهذه الفترات . وعلاوة على ذلك ، تمكن « رودن Rudin » من استخدام كتب القراءة الخاصة بخمسة عشر قطرا ، ومن استخدام المضمون الدافعي الموجود فيها ، للتنبؤ بطريقة ناجحة بالمدى الذي يمكن ارجاع اسباب الموت المختلفة في هذه المجتمعات الى اسباب ذات أصل سيكولوجي . فحينما كان دافع القوة The Power Motive هو الموجود في كتب القراءة هذه ، كان هناك تزايد في احتمالات حدوث الموت نتيجة لسلوك عدواني ( ومن أمثلة هذا السلوك مثلا : القتل ، الانتحار ، تعاطي الكحوليات ) وفي مقابل ذلك ، فإن أشكال الموت الكابحة Inhilutory ( كالقرح لمثل قرحة المعدة مثلا ) ، والتوتر الزايد ، كانت مرتبطة بالتعبيرات الخاصة عن دافع الانجاز . وقد أشار التحليل الذي أجرى على بيانات أخرى ذات علاقة بكتب القراءة المقررة في المدارس الابتدائية الى ان المواطنين في المجتمعات عالية الانجاز ، في مقابل مواطني المجتمعات منخفضة الانجاز يشاهدون افلاما اكثر ( ربما كوسيلة للتنفيس عن التوتر الداخلي ) ويكشفون عن انتاجية من الكتب بالنسبة لعدد السكان بدرجة أقل ( ربما لأن القراءة تتطلب مزاجا تأمليا بدرجة أكبر ) .

قد يمكن دراسة الحاجة للانجاز بشكل أكثر مباشرة في ضوء تفضيلات الأفراد وانتاجاتهم الأدبية . وقد قام « ناب Knapp » و « جارلو Garlutt » بحساب الارتباطات بين الحاجة للانجاز وبين تفضيلات الأفراد لأنماط مختلفة من الاشارات المجازية للزمن .

ووجد « ماكليلاند » و « فرايدمان » ان القصص القصيرة التي كتبها أفراد يختلفون في دافعية الانجاز الخاصة بهم ( وكذلك في مدى شعورهم بالجوع ) تقوم ـ هذه القصص ـ بالتعبير عن هذه الحاجات بطريقة مناسبة . كذلك قام « هنلي Henley » بدراسة مسحية حول القصص القصيرة التي كتبها كتاب محترفون ونشروها في مجلات واسعة الانتشار عبر مدى زمنين يتجاوز الستين عاما ، واكتشف وجود تناقص في الحاجة للانجاز ، وظلت الحاجة الى الانتماء ثابتة ، بدلا من أن تتزايد وكما هو متوقع .

قامت الدراسات الخاصة بالاتجاهات ، وكما تنعكس في الأعمال الأدبية ، إضافة الى الدراسات التي اهتمت بالانجاز ، بالتركيز على الاتجاهات نحو الأرقام ، ونحو الانفعالات ، ونحو الحياة والموت . وفي دراسة أجراها « لندور » ، قام مجموعة من المحكمين بتقييم الموضوعات الرئيسية الايجابية والسلبية الموجودة فيما يتجاوز مائة مقتطف ـ أو اقتباس ـ تتعلق بالأرقام وغيرها من المفاهيم الكمية . وبصرف النظر عن الزمان أو المكان الذي جاءت منه هذه المقتطفات ، فانها قد اشارت الى اتجاه سلبي نحو الاحصاء ، وهو اتجاه يماثل تلك المقاومة التي يظهرها معظم الناس تجاه استخدام المفاهيم الرقمية ، وكذلك الحذر الخاص بعلماء الانسانيات ازاء التحليل الرقمي للموضوعات الجمالية .

قام « لندور » كذلك بالمقابلة بين تركيز علم النفس على الانفعالات السالبة ، كالقلق ، والخوف ، والجوانب النفسية المرضية ، في بحوثه ونظرياته ، في مقابل تكرار وجود الانفعالات الايجابية والانفعالات السلبية في عناوين وفي مضمون خمسة أشكال أدبية مختلفة قام بدراستها . فقد كانت هذه الأشكال الأدبية المختلفة . القصائد ، والابجرامات ، والروايات ، والمسرحيات ، والقصص القصيرة ، تقوم بالاشارة المتسقة والمتسعة ـ في أغلب الحالات ـ الى الانفعالات الايجابية ، وليس الانفعالات السلبية . ويوحي مثل هذا المؤشر الأدبي الايجابي الشائع ، والذي قد يعكس قيما اجتماعية وثقافية معينة ، بأن وجهة نظر علم النفس السالبة حول الانسان ، وكما يظهر في انشغال علم النفس الواضح بالانفعالات السالبة ، قد لا تكون بالضرورة هي وجهة النظر الوحيدة .

ان اهتمام علم النفس بالجوانب الخاصة بالأمراض وبالجوانب المتشائمة من الحياة قد يكون محصلة لعوامل عديدة من بينها : الأهمية الفريدة لمثل هذه الموضوعات ، وملائمة مثل هذه الجوانب للدراسة ، او ان ذلك كان مصادفة تاريخية .

وتعتبر معالجة « هول » لمضمون المواد الأدبية معالجة تحليلية نفسية موجهة لدراسة الاتجاهات السلبية والايجابية في الأدب نحو الحياة والموت وذلك من خلال بعض المقتطفات او الاستشهادات الأدبية ، وقد لخص « هول » هذه الوجهات من النظر حول الموت كما يلي :

« عبر هذه القائمة المدروسة من المقتطفات الأدبية هناك اعتقاد سائد بأن الموت هو أمر جيد ، ولكن ، وبعد هذا الاعتقاد مباشرة يجيء التصور المعارض له والذي فحواه ان الموت هو أمر سيىء . ثم تأتي بعد ذلك التكرارات الخاصة بموضوعات متكررة مرتبطة بموضوع الموت مثل : حتمية الموت ، الموت باعتباره نوعا من النوم ، قوة الموت وضعفه ، غموض الموت وظلاله ، الستر النبيل للموت ... وقد ظهر أن خوف الانسان من الموت هو أضعف كثيرا من انجذاباته نحو ، وذلك لأن هناك قدر من الحنين اكبر مما يوجد من الخوف »[٢] .

أما الحياة ، وكما تم التعبير عنها في المقتطفات او الاقتباسات الأدبية ، فقد تم النظر اليها في ضوء مايلي :

« تصدرت المشاعر السلبية القائمة بعدد من الاقتباسات قدرها ٧٥ اقتباسا ، وقد تم التعبير عن هذه المشاعر بتعبيرات مثل : « كأس مرير » ، « حمى راعشة » ، « فاجعة » ، « مرض طويل » ، « عبء شديد » ، « بلاء طويل الأمد » ، « كئيبة وباعثة على الضجر » ، « مزعجة » ، « يكثر فيها الظلم » وهي ايضا « وادي الدموع » . أما الحياة ، وبمصطلحات ايجابية ، فهي : جيدة ، حلوة ، ثمينة ، عظيمة ، مسلية ، مرحة ، سارة ، عزيزة ، لعبة »[٣] .

قام « هول » بعد ذلك بالمقارنة بين الموضوعات المتكررة الخاصة بالحياة والموت ، وقد توفر لكل منهما ـ أى الحياة والموت ـ نفس العدد من العناوين الايجابية والسلبية تقريبا ، فقال :

« كان هناك شاعر واحد فقط قام بتشبيه الحياة بالنوم ، بينما كان هناك ٢٩ شاعرا قاموا بتشبيه الموت بالنوم . ومن ناحية أخرى ، فقد تم اعتبار الحياة نشاطا ايجابيا فعالا ومتطورا ٤٩ مرة ، بينما نظر الى الموت على انه كذلك مرة واحدة فقط . وتكرر الحديث عن حتمية الموت ، وكونه حقيقة لاشك فيها كثيرا ( ٣٣ مرة ) ، اما حتمية الحياة وكونها حقيقة لاشك فيها فتم الحديث عنها بشكل نادر ( مرة واحدة ) . وتم الحديث عن قوة الحياة مرة واحدة ، وعن قوة الموت سبع عشرة مرة . وتم الحديث عن نبل وعظمة الحياة مرة واحدة ، وعن نبل وعظمة الموت سبع مرات . وتم تصور الحياة والموت على أنهما يشتملان على قدرة كلية يتسمان بأهمية ضئيلة عددا مماثلا من المرات ( عشرين مرة بالنسبة للحياة وسبع عشرة مرة بالنسبة للموت ) . ونادرا ماتم وصف الحياة باعتبارها « ظلا » كما حدث بالنسبة لوصف الموت . ولم يتم النظر الى الموت ابدا على انه قصير ، كما حدث بالنسبة للحياة . وقد تم النظر الى الحياة على انها رحلة اكثر مما تم النظر الى الموت على أنه كذلك »[٤] .

وفي مقارنته بين هذه التصورات الشعرية حول الحياة والموت وبين تصور « فرويد » لها استنتج « هول » أن ربما لم يكن هناك أى شاعر قد استبق صياغة « فرويد » للطبيعة الجدلية لغرائز الحياة والموت »(٥) .

أجرت « هلسون Helson » دراسة كمية حول الاتجاهات ومن خلال الاطار الخاص بالمحلل النفسي « كارل يونج » الخاص بالتحليل للأعماق النفسية . وقد قامت هذه الباحثة بفحص مايربو على سبعين عملا من اعمال الخيال المكتوبة للأطفال ومنذ عام ١٩٣٠م ، وتمثل هذه الأعمال مدى متسعا من المضمون ، وقد قامت هذه المؤلفة بتفسيرها باعتبارها تعكس الاسقاطات الخاصة بمؤلفيها ( وليس الاسقاطات الخاصة بالأطفال ) . وقد قامت مجموعة من المحكمين ذوي المعرفة بأدب الأطفال بتقدير أصالة الأعمال وتقدير أبعاد أخرى عديدة فيها ( منها مثلا : مكان وزمان الأحداث ، المزاج الخاص للشخصيات ، الاسلوب ، الحاجات ) . وقد وجدت « هلسون » ان الأعمال الأدبية التي حكم عليها باعتبارها ابداعية كانت متميزة وبشكل ثابت عن غيرها من الأعمال في ابعاد عديدة ( من ذلك على سبيل المثال : أنها تعبر عن انفعالات أكثر ) . كذلك قام « مويلن Mullen » بالمقارنة بين الاتجاهات الفرويدية والاتجاهات اليونجية ( نسبة إلى يونج ) حول الرموز الجنسية وذلك من خلال فحص بعض المقالات العلمية المكتوبة حول موضوعات جنسية في اللغة الفرنسية والألمانية والاسبانية ، ولم يوجد هناك اى اتفاق بين الموضوعات الخاصة التي تم فحصها في هذه المقالات وبين ماهو مكتوب عنها لدى « فرويد » وأتباعه ، أولدى « يونج » واتباعه ، وتعتبر هذه النتيجة نتيجة مضادة لما يقال لدى أصحاب هاتين المدرستين عن عالمية أنماط الرموز الجنسية .

لقد قام باحثون عديدون بدراسات مسحية حول الاتجاهات والانفعالات التي تعكسها الأغاني التي يتم تلحينها وغناؤها ، وهي شكل من اشكال النثر قريب الصلة بالأدب . فقام « هانيت Hannett » بتنظيم مضمون آلاف من الأغنيات الناجحة القديمة والحديثة وذلك في ضوء تصنيفات عديدة ( منها على سبيل المثال : الرومانسية ، العاطفية ، الحربية ) ثم قارن هذه الاتجاهات بالاتجاهات التاريخية المصاحبة لظهور هذه الأغنيات . وقد وجد ان الموضوعات والأخيلة النرجسية والعاطفية المتكررة تتزايد عبر الزمن ، وأن الأغنيات التي تنتحب على موت محبوب قد تناقصت عبر الزمن . وقد أدت هذه النتائج مع غيرها من النتائج ( كالنتيجة التي ظهر منها مثلا ان هناك أغان معينة مفضلة لدى المرضى خلال العلاج ) وكذلك عمليات التحليل التاريخي ، الى استنتاج فحواه ان الأغاني المنتشرة تعبر عن اتجاهات لا شعورية طفولية ، تتعلق بشكل خاص بالعلاقة بين الأم وطفلها ، وأنها تعبر ، وهو ماقد يثير الدهشة ، عن موضوعات حزينة أو كئيبة سائدة

ومتكررة اكثر من تعبيرها عن موضوعات متكررة تتسم بالبهجة . كذلك اظهر « كارى Carey » الذي كان أقل ميلا نحو التحليل النفسي في اتجاهه ، ان حوالي مائتي اغنية تقريبا من الأغنيات المعاصرة ومن الأنواع المختلفة ( ومنها على سبيل المثال الأغنيات الحزينة واغنيات « الروك اندرول » الراقصة ) ينبغي تصنيفها في ضوء الاعتقادات الخاصة حول الذات وحول المجتمع ، وحول عدم الشعور بالرضا ، وحول الحاجة الى الاستقلال ، وكذلك علاقة المرء بالطبيعة . وقد قام « شودرون » بالمناقشة لموضوعات مثل العلاقة الفلسفية والتاريخية بين الموسيقى والأغاني ـ دورهما واستخداماتهما ، والانجاز الخاص بالمزج الناجح بينهما ـ كما ناقش كذلك التمييز الخاص بين الموسيقى التي تصاحبها الكلمات ، والموسيقى التي لا تصاحبها الكلمات .

## تعبير الأدب عن العمليات المعرفية

تعتبر الدراسات النفسية التي قامت بفحوص حول عمليات التفكير كما يعكسها المضمون الأدبي ، أكثر تكرارا من الدراسات التي أجريت من خلال اتجاهات تميل الى تغليب التجريبي على الاتجاه الوصفي والارتباطي في الدراسة . وتعطينا البحوث التي اجريت حول « الصور العقلية كاستجابة للشعر » مثالا موضحا لهذه المقاربة التحليلية للمشكلات الجمالية . وقد كانت الدراسات المبكرة في هذا المجال ، على أى حال ، محدودة القيمة من خلال افتقارها الى مناهج البحث المتقنة ، والأساليب الاحصائية المناسبة[٦] . وبشكل عام يقرأ المبحوثون في هذه الدراسات ، بصوت مرتفع ، أو من خلال قراءة صامتة ، قصائد شعرية ، أو مقاطع من قصائد ، لشعراء مختلفين راسخين في المجال . وبناء على الاستبطانات اللفظية للقراء ، يتم الحصول على البيانات الخاصة حول انماط ، وتكرار ، وحيوية الصور التي أثارتها القصائد في أذهان من قرأوها ، وقد كشفت هذه البيانات ، عادة ، عن مظاهر اتساق في المعلومات الخاصة بالصور فيما بين الأشخاص وبعضهم البعض ، او داخل الصور الخاصة بالشخص الواحد ، كما تم الكشف ايضا عن بعض الفروق او التشابهات الموجودة بين القصائد وبين الشعراء في قدرتهم على اثارة الصور العقلية في أذهان القراء ، كما كشفت ايضا عن علاقة الصور الخاصة بقصيدة ما وبين معناها والرموز الخاصة فيها والصعوبة المتعلقة بها . وهناك نتيجة خاصة توصل اليها « فالانتين Valentine » فحواها ان الاستمتاع الجمالي الخاص بالشعر وقدرة هذا الشعر على احداث السرور بشكل عام ، انما يعتمدان على ما إذا كانت الصور العقلية التي يثيرها هي صور تلقائية أم لا[٧] .

تتصف معظم البحوث المبكرة حول الصور العقلية بعيوب عديدة تحد من قيمتها ، ومن هذه العيوب مثلا : غياب الجدولة الاحصائية المنظمة للنتائج ، او استخدام هذه الجدولة في حدها الأدنى عند التحليل ، والعدد القليل من المبحوثين الذين أجريت عليهم الدراسات ، وعدم ثبات الأسلوب الاستبطاني ، والاعتماد على الشعر ، واهمال الأنواع الأخرى من النثر ، والخلفية الاجتماعية ( أى التي لا يتم وصفها بدقة ) للمبحوثين ، وكذلك الحال بالنسبة لتدريبهم السابق ، وقدراتهم التحليلية . وأيضا الافتقار الى قياس مناسب لتراكيب المواد الأدبية ، ولخصائص أخرى موجودة فيها . ويبرز العديد من هذه الصعوبات ، على نحو واضح ، في دراسة طموحة قام بها « لي » مابين عامي ١٨٩٧ ، ١٨٩٩ .

وقد كان الفنانون الذين اشتركوا في هذه الدراسة ( وكانوا من النحاتين والمصورين ولم يكن من بينهم كتاب ) يقرأون ويتذكرون فقرات عديدة من النثر القصصي او غير القصصي ، وتمت المقارنة بين عمليات الاحتفاظ العقلي لدى الفنانين بهذه المواد وكما قيست من خلال الاستبيانات والمقابلات الشخصية ، وبين مثل هذه العمليات لدى غير الفنانين ، وبالنسبة لأنماط الصور الخاصة بالمواد ( سواء كانت بصرية أو سمعية ) . وبالنسبة لحيوية هذه الصور ايضا . ولسوء الحظ ، فان ماتم عرضه بالنسبة لكل مبحوث كان هو البيانات التفصيلية فقط ، دون أية محاولة للتحليل الرقمي ، او التأليف بين هذه البيانات ، او التنظيم لكل هذه المتغيرات التي تمت دراستها . ورغم كل هذه النقائص ، فإن مثل هذه الدراسات المبكرة تكشف لنا - على الأقل - عن تلك البدايات المبكرة للمنحى « الامبيريقي » الخاص بدراسة الصور العقلية في الأدب ، وهو موضوع وجهت اليه وفرة هائلة من المناقشات التأملية . وتستحق مثل تلك الدراسات المبكرة ان يعاد اجراؤها من خلال اتفاق منهجي اكبر .

هناك اجراء آخر أكثر موضوعية من الاستبطان يتمثل في عد او حصر الصور الموجودة في الأعمال الأدبية . فعلى سبيل المثال ، قام « سبرجيون Spurgeon » بحصر عدد وأنماط الصور الموجودة في أعمال « شكسبير » ، من أجل ان يقارن بين هذه الأعمال وبعضها البعض ، وكذلك من أجل ان يختبر مايتعلق بالأصل أو المؤلف الحقيقي لهذه الأعمال* . واستخدم « دودلي » أنماط الصور الفعلية الموجودة في أشكال أدبية مختلفة كأساس لتصنيف المضمون والموضوعات الأدبية الرئيسية[٨] . على كل حال ، فإن نقادا

---

* يتعلق هذا بما اثير حول ان بعض اعمال « شكسبير » - او كلها - لا تنتمي إليه ، وانها تنتمي لمؤلفين اخرين ، منهم الفيلسوف « فرنسيس بيكون » مثلا ، وهي قضية ثبت بطلانها ( المترجم ) .

مثل « فريدمان » قد تذمروا من مثل هذا النوع من التحليل الأدبي القائم على اساس اسلوب العد ، قائلين بأن هذا الاسلوب شديد التبسيط ، وذلك لأنه يتجاهل خصائص أخرى أكثر اهمية في النثر ( منها على سبيل المثال قصد ، أونية ، المؤلف ) .

وجه الاهتمام كذلك الى خصائص معرفية خاص بالأدب غير الصور العقلية ، فقد وجه الاهتمام بشكل خاص الى المجاز ، والصيغ او التعبيرات المتكررة ( الكليشيهات ) Cliches ، والتعبيرات البذيئة ، وقد تمت مناقشة المجاز كثيرا بسبب أهميته الواضحة في الأدب ، وفي العلم ( وكما يظهر في النماذج الخاصة Models الموجودة في العلم ) ، وفي علم النفس . فقد قام « ناب » في دراسة « امبيريقية » بفحص فئات عديدة من المجاز ( منها مايتعلق بالموت أو الضمير مثلا ) . باعتبارها مؤشرا على دوافع واتجاهات رمزية عميقة الجذور . وقد وفر هذا الباحث ، في البداية ، مجموعة من الاستعارات والمجازات التي تم تقديرها على أنها تتناسب مع موضوعات عديدة ، ثم قام بعد ذلك بحساب الارتباطات بين هذه التعبيرات المجازية وبين الصور العقلية التي تستثيرها . كذلك قام « آش Asch » بدراسة مسحية قام خلالها بفحص الخصائص العقلية والنفسية الشائعة ( أى الخصائص الفراسية Physiognomic ) التي تشير اليها التعبيرات المجازية بطريقة مشتركة ( كأن نقول مثلا : شخص دافيء ، أو الوان دافئة ) وذلك عبر اللغات غير المرتبطة الخاصة بست جماعات من البشر . وقد وجد « آش » ان هناك تكرارا يفوق التوقع للاشارات المجازية المشتركة بين هذه اللغات ، وذلك فيما يتعلق بعمليات الادراك الخاصة للموضوعات والأحداث والأشخاص عبر هذه الثقافات . وقام « سايجل Siegel » بحصر وتدوين أشكال الكلام والتشبيهات الخاصة لدى الفيلسوف « شوبنهور » كوسيلة لتيسير عملية الفهم لأعماله . واستخدم « هونكامارا Honkamara » المنبهات البصرية ، وكذلك الكلمات - ولكن بدرجة أقل - لدراسة الشكل الفراسي من الإدراك لدى الأطفال ( وهي عملية قد تكون هي التي تقف وراء المعنى المجازي ، ومن الممكن أن نجد مناقشة عامة لهذه الظاهرة لدى « فيرنر Werner » ) .

قام « لندور » كذلك بدراسة حول الاستجابة للتعبيرات المتكررة الشائعة ( مثل « الطبيعة البشرية » ، وصدق أو لا تصدق » ) وقد قام بعض المحكمين بوضع تقديرات لهذه التعبيرات المتكررة باعتبارها ذات معنى ، رغم أنهم كانوا يعرفون أنها مجرد « أكليشيهات » وهي نتيجة تتعارض مع مزاعم البلاغيين القائلة بأن « الصيغ المتكررة » او الشائعة هي من حيث التعريف ، بلا معنى . وقد اعتمد استخدام الأفراد لهذه « الصيغ المتكررة » أو عدم استخدامهم لها على مقدار التدريب السابق لديهم ، وقد كان الطلاب المتخصصون في اللغة الانجليزية يستخدمون هذه الصيغ المتكررة بدرجة أقل من الطلاب

المتخصصين في دراسات اخرى ،ورغم أن الطلاب المتخصصين في علم النفس ،قد توفرت لديهم قاعدة ما لتقييم هذه « الصيغ المتكررة » في ضوء الاحالات السيكولوجية الموجودة فيها ، فإنهم وجدوا هذه « الصيغ السيكولوجية المتكررة » صيغا مقبولة بالنسبة لهم . ويتباين استخدام الصيغ النمطية المتكررة هذه ايضا مع تفاوت الذكاء ( وكما تقوم العلاقات او الدرجات الدراسية باظهاره مثلا ) فقد كان الطلاب الذين يحصلون على معدلات درجات اقل يستخدمون الصيغ النمطية المتكررة هذه بدرجة اكبر من الطلاب الذين يحصلون على معدلات درجات افضل .وهكذا فإن مدى امكانية تقبل هذه الصيغ قد يرتبط بنوعية التفكير ، وكما يؤكد ذلك علماء البلاغة .

كذلك تم فحص معنى التعبيرات البذيئة ، وبشكل ما يتعلق بتماثلها مع الوظيفة الرمزية للأحلام ،فكل من التعبيرات البذيئة والأحلام يعبر بشكل غير مباشر عن العمليات اللا شعورية . فقد قام « هول » بتصنيف مايربو على سبعمائة تعبير بذيء ، وحوالي ثلاثة آلاف رمز من رموز الأحلام ، تشير ، كلها ، إلى تعبيرات وموضوعات جنسية ، إلى ثلاث عشرة فئة مختلفة . وقد اشار تحليله الى ان الأحلام والتعبيرات البذيئة ، وعلى نحو متشابه ،يشيران الى عمليات عقلية تم قمعها وإلباسها أقنعة معينة .

« قبل أن يكتشف « فرويد » وزملاؤه المدى الذي توجد عنده الرموز الجنسية في هذا العالم ، كانت هناك شواهد موجودة في العالم من التعبيرات البذيئة ،ولم تظهر أية وظيفة جسمية أخرى في أشكال الكلام ، كما ظهرت وظيفة الجنس ، .. ويزخر عالم الأحلام بالرموز الجنسية ، فتكثر في هذه الأحلام التمثيلات الخيالية لهذه الرموز ، مثلما تكثر في كلام اليقظة ايضا »(٩) .

قام « لندور » كذلك بدراسة حول دلالات الديمومة أو الاستمرارية الموجودة في عدة مئات من التعبيرات عن الزمن ، بما في ذلك الاستعارات والتعبيرات النمطية ( كما في قولنا « سريع كالومضة » مثلا ) وكذلك الكلمات المفردة ( كما في قولنا « حالا » ) . وقد طلب من المبحوثين ان يضعوا التعبيرات الخاصة عن الزمن في فئات عشر للزمن ،تمتد من الثواني وحتى آلاف السنين . وقد ظهر أن التعبيرات التي تشير الى الماضي قد أوحت للمشاركين في الدراسة بفترات أكبر من الزمن ، مقارنة بالتعبيرات التي تشير الى الحاضر او المستقبل . وعلى عكس الفكرة النمطية الشائعة ، لم توجد فروق بين الجنسين في تحديد مدى معين للاستمرار بالنسبة للتعبيرات المختلفة عن الزمن .

ان الخاصية الأكثر عمومية ، ومع ذلك الأكثر ارهافا ، للأدب ، هي أسلوبه. وقد بين « جاردنر » أن الأطفال المتفاوتين في أعمارهم كانوا حساسين بدرجة واضحة للفروق الدقيقة في الأساليب الفنية . وقد كان هؤلاء الأطفال قادرين على اكمال القصص المكتوبة

بأساليب مختلفة من خلال نهايات صحيحة ، مما يشير الى قدرتهم على تحديد الجوانب المرهفة ، او الدقيقة ، من الاسلوب ، دون أن يكونوا قادرين بالضرورة على الحديث اللفظي عما يستجيبون له(١٠) . وقد قام « مارتنديل » بالتجريب الجسور مع خصائص اسلوبية مختلفة للشعر ، وبعض هذه الخصائص حقيقي ، وبعضها الآخر تمت استثارته ، وقد استخدم في دراساته هذه محكات عديدة للقصيدة الشعرية منها : التنافر او التعارض الموجود منها ، والجدة الخاصة بها ، واثارتها للتوقع ، والصور العقلية الموجودة فيها ، والتي تستثيرها . وقد استخدم « مارتنديل » بيانات مأخوذة من التحليل التاريخي من التنبيه المعملي ، لتفسير الفروق والتغيرات بين التقاليد الشعرية المختلفة ، وكذلك لتطوير نظرية حول الابداع .

## بنية النثر الأدبي

لا يقوم الاسلوب باستثارة استجابة معرفية لدى القارىء فقط ، لكنه يشكل الأساس ايضا لوصف الخصائص البنيوية المميزة للمواد النثرية المختلفة ، وكذلك لتحديد الفروق بين هذه المواد ( وتلقى العلاقة الداخلية بين هذه الموضوعات الضوء على تلك التعسفية الخاصة بتقسيم المقاربة السيكولوجية للأدب الى اجزاء اوفئات . وقد كشف « لي » عن توجه بالغ المحدودية نحو الاسلوب لدى بعض الكتاب ، ومن خلال اعتمادهم على عناصر لغوية معزولة الى حد ما ، وكما يظهر ذلك في الأفعال في كتابات « دي كوينسى »* وفي استخدام « كارليل »** للزمن المضارع . وقارن « جيلمان » و « براون Gilman & Brown » بشكل أكثر اتساعا ، المقالات المتماثلة في محتواها لدى « ايمرسون »*** و « ثورو » وأظهروا وجود التشابه بينهما في بعض الجوانب مثل : الاشارة للشخص الوحيد ، وعدد مرات النفى ، ونسبة الأسماء المجردة إلى الأسماء العيانية ، والأنماط المختلفة من تركيبات الجملة . ويعكس هذا التشابه الاسلوبي تماثلا شخصيا بين هذين الكاتبين من كتاب المقالات ، وذلك بالنسبة لأبعاد عديدة ، منها مثلا : صورة الذات والعدوانية .

يمكننا الوصول الى مقاربة كمية شديدة الوضوح حول الاسلوب من خلال اسلوب التحليل العاملي . فقد استطاع « كارول J.B.Carrol » أن يستخلص مجموعة كبيرة من

---

* توماس دي كوينسي ( ١٧٨٥ ـ ١٨٥٩ ) : كاتب وناقد انجليزي ، عرف بإدمانه الافيون ( المترجم ) .

** توماس كارليل ( ١٧٩٥ ـ ١٨٨١ ) : كاتب ومؤرخ وفيلسوف انجليزي ( المترجم ) .

*** رالف والدوا يمرسون ( ١٨٠٣ ـ ١٨٨٢ ) : فيلسوف وشاعر امريكي ، يعرف مذهبه باسم « مذهب التعالي » ( المترجم ) .

القيم الرقمية من خلال تحليلاته العاملية لأشكال نثرية مختلفة ، منها الروايات والمقالات ومادة المجلات ، واعتمادا على بعض المقاييس مثل عدد الكلمات ، ونسبة فئات الكلمات والجمل ، وأيضا مقياس « المميز الدلالي » الذي قدمه « أوسجود » . وقد ظهرت عوامل كمية عديدة باعتبارها تشير الى الاسلوب منها : بعد التقييم العام ( جيد - رديء ) والأثر الشخصي ( انفعالي - عقلي ) والبعد الزخرفي او التزييني ( متالق بلاغيا ومطنب في مقابل للاسلوب البسيط ) ثم هناك أيضا بعد « التجريدية » المميز الاسلوب . وقد اشتملت دراسة « برنتـون » و « دانيسلون Brinton & Danielson » التحليليـة العامليـة حول المضمون الأدبي القصصي كمادة أساسية تدخل في التحليل - ليس فقط على العناصر اللغوية المنفصلة كطول الجملة مثلا - ولكن أيضا على وحدات أكبر مثل أشكال الكلام ، في محاولة لاحداث الدمج والتكامل بين عوامل سياقية أكبر . وقد اشارت العوامل العشرون التي ظهرت من هذا التحليل ، بدرجة أقل ، الى الخصائص المميزة للشكل الأدبي ، وبدرجة اكبر الى طبيعة قاريء الأدب ( من ذلك مثلا : عمر هذا القاريء وشخصيته ) . وتشير مثل هذه النتائج مرة اخرى الى صعوبة فصل استجابة القاريء عن محتوى الأدب وبنيته السيكولوجية .

تمت دراسة الخصائص البنائية المميزة للشعر من وجهة نظر اختزالية محكمة* أيضا . وعلى سبيل المثال فقد استعان « روبلى Robiee » و « واشبورن » بمجموعة من المحكمين الذين قاموا بدورهم بتقدير التناغم الخاص بالأصوات المختلفة ( أى الأصوات المتحركة ، والأصوات الساكنة ، والأصوات الحلقية ) وقام « جونز E.S.Jones » بدراسة حصل من خلالها على تفضيلات الأفراد المختلفة للكلمات غيرذات المعنى . وقد تم النظر الى مثل هذه المواد باعتبارها قابلة للمقارنة مع الكلمات الواقعية وأصوات الشعر . ويسمح استخدام الأشكال البسيطة بتحكم اكبر في المادة ، مقارنة بذلك التحكم الذي نتوصل اليه عندما تستخدم الشعر الحقيقي ومايشتمل عليه من تركيبات كثيرة في المعنى . وقد كانت هذه الدراسات مفعمة بأمل ما ، يقوم في جوهره على فكرة ان المرء يمكنه ان يصل من خلال ذلك الى الخصائص الخالصة أو الأصلية ، للحروف والوحدات الصوتية والمقاطع الصوتية والكلامية ، والتي يفترض أن تقوم على اساسها تلك التحليلات الأكثر شمولا واتساعا . ففي العمل الذي قام به « هفنر Heuner » ، وهو واحد من أكثر البحوث شمولا ، من حيث احتوائه على العدد الأكبر - مقارنة بغيره - من الدراسات الذرية** Atomistic ( وقد تم

* اى تقوم بالتركيز على جزئيات القصائد وليس على اطارها الكلي ومن خلال طرائق بحثية كمية مضبوطة . ( المترجم ) .

** اى التي تقوم بالتركيز على الجزئيات وليس الكليات ( المترجم ) .

تلخيص هذا العمل في كتاب « تشاندلر Chandler » المسمى « الجمال والطبيعة البشرية Beauty and Human nature في هذا العمل ، تحت معالجة الخصائص المختلفة للوزن والحروف المتحركة والساكنة وذلك من خلال استخدام مواد صماء ( غير ذات معنى ) ، ثم قام المبحوثون بعد ذلك بذكر المعاني المختلفة للخصائص السابقة وذلك من خلال قائمة معينة من قوائم الصفات قدمت لهم كي يستعينوا بها في تحديد الصفات التي تسند عليها هذه المقاطع في أذهانهم .

وقد وجد « هفنر » أن الوزن ( أو البحر ) كان هو أكثر المحددات البنائية فعالية في تحديد معنى الفقرات التي قدمت للمبحوثين . « فالتفعيلة Foot المكونة من مقطعين هي تفعيلة رزينة ، جليلة ، وحزينة ، اما التفعيلة المكونة من ثلاثة مقاطع ـ في مقابل ذلك ـ فهي تفعيلة مرحة ، مشرقة ، مفعمة بالحيوية ، مبتهجة ومفعمة بـالسرور »[1] . استخدم « هفنر » في هذه الدراسة أيضا مجموعة قليلة من القصائد الحقيقية ( من قصائد الشاعرين « كيتس » و « براوننج » ) وتمت دراستها بنفس الطريقة ، أى باعتبارها مادة بلا معنى . وقام المبحوثون باختيار المصطلحات الوصفية التي تتفق مع الانفعالات التي أثارتها القصائد بداخلهم . كذلك هناك مثال أكثر معاصرة لهذه المقاربة الاختزالية ، ( التجريبية ) للشعر يمكننا أن نجده في دراسة « لينش Lynch » الذي قام بنشر عمله عام ١٩٥٣م ( بينما نشرت دراسة « هفنر » عام ١٩٣٧ ) . وقد قام « لينش » بجدولة ( أى وضع في جداول ) البنية الصوتية Phonetic structure الخاصة بأصوات مجموعة من القصائد المشهورة ثم قام بربط التوزيع الخاص لهذه الأصوات بالصور والمعاني الخاصة الموجودة في هذه القصائد . وقد وجد أن أنماط الصوت أو تنظيماته تتغير بشكل منتظم مع تغير الصور التي تقوم المقاطع المختلفة بوصفها أو تصويرها .

في محاولة أخرى لاكتشاف الوحدات الأساسية في بناء اللغة والكتابة ، قام « اليوسي وأدامز Alluisi & Adams » ببحث حول استجابات التفضيل والامتاع الخاصة بالحروف ، وقد استخدما تقديرات المحكمين الخاصة حول المظهر العام ( والأصوات ) الخاص بالحروف ( بما فيها من حروف كبيرة وحروف زوجية متماثلة ) التي توجد في بدايات الكلمات أو في نهاياتها .

رغم أن دراسات « اللغويات النفسية Psycholinguistics » لم تعتمد كثيرا على المواد الأدبية ، فإنها استخدمت المقاربة التجزيئية لدراسة مشكلة التخاطب أو الاتصال . وتعالج مراجعة « ويكنز Wickens » ما يتعلق بالمعنى ، أى تلك الدراسات مثلا التي قامت بدراسة البنية الخاصة بوحدات نثرية منفصلة مثل الكلمات ، أو الجمل ، او الفقرات . ويمكننا أن نجد مراجعة عامة للغويات النفسية والدراسات الخاصة بها حول بنية اللغة ،

والتي جاء بها ذكر ما للأدب ، في كتاب « ميللر » « اللغة والتخاطب » Language and Communication . تعتبر دراسة « فيجوتسكى » هي اكثر الدراسات التي حاولت دراسة بنية الأدب طموحا ، وهي دراسة غير مألوفة لأنها لم تعتمد على المقاربة الاختزالية التجزيئية . وقد قام « فيجوتسكى » في هذا الكتاب* بدراسة مسحية للأشكال الأدبية المختلفة ( كالخرافة ، والقصيدة الملحمية ، والقصة القصيرة ، والدراسات أو المسرح ) وذلك من أجل أن يكتشف البنية الأساسية للاستجابة الجمالية . وكما قال « فيجوتسكى » ، فإن الاستجابة الأدبية الجوهرية تكمن في حل القارىء للمتناقضات الموجودة في شكل العمل الادبي . ويعتبر تحليله الذي عرضه في هذا الكتاب تحليلا شاملا ، كما تعتبر تأكيداته مثيرة للعقل والتفكير . فقد قال على سبيل المثال ان مايتولد من متعة ورضا لدى القارىء ، وكذلك ماتتصف به المادة الأدبية من جمال ، ليس من الأمور المناسبة للاستجابة الجمالية ، وذلك لأن الاستجابة الجمالية هي اساسا بمثابة الادراك العقلي لبنية العمل الفني . على كل حال ، فإن نظريته هذه هي نظرية شارحة مفسرة ، ونظرية حدسية ، أكثر من كونها نظرية امبيريقية واقعية . وربما كانت جوانب القصور الموجودة فيها ( والتي تشترك فيها مع معظم التحليلات الأدبية ) هي ماوقفت حائلا امام وجود بحوث تالية على فرضيته السابقة وذلك خلال الخمسين عاما السابقة أو نحو ذلك** . وفي مقابل ذلك ، فان التوجهات الأكثر محدودية ، والأكثر اختزالية وتجزيئية والموجودة لدى « هفنر » و « لينش » مثلا ، قد استمرت .

استمرت البحوث المعاصرة باحثة عن وحدات النثر الاكثر قابلية للقياس . ومن بين كل الأشكال الأدبية المختلفة ، نجد ان عناصر الشعر ، مرة أخرى ، هي التي تلقت أكبر قدر من الاهتمام . فقد قام « سكنر » بتحليل الجناس الاستهلالي alterations ( طرز أو

* الإشارة هنا الى كتاب « فيجوتسكي » « سيكولوجية الفن » وقد سبقت الاشارة اليه في الفصل الاول من هذا الكتاب ( المترجم ) .

** ربما كان ذلك صحيحا حتى صدور هذا الكتاب عام ١٩٧٤م ، اما بعد ذلك وخلال التنامي الهائل لعلم النفس المعرفي ظهرت اتجاهات ونظريات وبحوث عديدة تؤكد اهمية العمليات العقلية المعرفية في الخبرة الجمالية ابداعا واستجابة ، انظر على سبيل المثال كتاب :

Grozier, W.R 9 Chapman, A.J. (eds): Cognitive Processes in the Perception of Art, North-Holland: Elsevier Science Publishers, 1984.

أنماط أو أشكال الصوت ) في « سونيتات » « شكسبير » ، وذلك على أساس قواعد معنية تعاملت مع الشعر باعتباره شكلا من اشكال السلوك اللفظي . وقد أظهر « سكنر » أن بعض الأصوات كانت أكثر فاعلية من غيرها من حيث إسهامها في تكوين أثر معين أو استجابة معينة لدى القارىء . وفي دراسة أخرى حول العناصر الصوتية لدى الشاعر « سوينبرن » ** استخدم « سكنر » طريقة « الجناس الاستهلالي » التي ذكرها ، إضافة الى القياس الخاص للسجع ( تماثل الأصوات في الكلمات ) . وقد قام « تشايلد » بمراجعة الأعمال الحديثة حول الأنماط الصوتية في الشعر ومدى الاسهام الممكن لهذه الأنماط الصوتية في معنى القصيدة ، وكذلك مدى اختلاف هذه الأنماط في الشعر عن مثيلتها في النثر .

استخدم « بيركوف » في إسهامه الكلاسيكي المتميز ، في عملية تحويل المواد الجمالية الى قيم جمالية ، أيضا مقاربة اختزالية تجزيئية للبنية . ورغم أن بحثه عن « الشكل الجيد » ، وعن المعادلة الخاصة بالسرور أو المتعة كان موجها أساسا نحو الفن التشكيلي ، فإنه قد قام بوضع الشعر في اعتباره أيضا . وقد اشتق « بيركوف » معادلة تقوم على أساس نسبة التركيب Complexity إلى النظام Order ، وعرف خلالها هذه المصطلحات في ضوء الايقاع ، وسجع الكلمات ، والسجع الاستهلالي . وقد طبق « ميتكالف Metcalf » معادلة جمالية على الأدب وبطريقة موسعة . وباختصار ، فإن القيمة الجمالية للأدب قد تم تمثيلها من خلال النسبة بين النظام أو التنظيم Sea Shore ـ والذي تم تحديده في ضوء السجع الاستهلالي وسجع الكلمات والقافية ، والأصوات الموسيقية المتحركة ( على سبيل المثال لا الحصر ) ـ وبين التركيب ، والذي تم تمثيله اساسا من خلال العدد الكلي لأصوات الكلام وروابط الكلام Ward Jundons . كذلك قام « سيشور » بوصف الخصائص البنيوية للكلمات في الموسيقى ومايرتبط بها من علاقات أو رموز موسيقية ، بطريقة كمية .

---

* السونيتة Sonnett قصيدة تتالف من ١٤ بيتا . أما السوناتة في الموسيقى فهي لحن موسيقى لآلة مفردة كالبيانو او الآلتين كالبيانو والكمان ( المترجم ) .

** الجرون تشارلز سوينبرن ( ١٨٣٧ ـ ١٩٠٩ ) شاعر وناقد انجليزي ( المترجم ) .

## اللغة المنطوقة :

يمكننا أن نجد اهتماما بالأدب ، ولو بدرجة ثانوية ، لدى هؤلاء الذين قاموا بدراسة الكلام . فقد قام « سكريبتشر Scripture » بالوصف الكمي للشعر الذي يقرأه شعراء أحياء بصوت مرتفع وعلى اساس الأصوات ، واللحن ، والايقاع ، والمقاطع ، والنبرات والتأكيدات والتفعيلة الخاصة بهذا الشعر . واستخدام « شرام Schramm » التوزيع الخاص بتلك الخصائص الموضوعية المميزة السابقة كي يقارن بين قصائد مختلفة . وفي الدراسات التي تمت حول العلاقة بين الكلام والشخصية ، والتي قام « سانفورد Sanford » بمراجعتها ، نجد أن المواد الأدبية قد استخدمت أحيانا لبحث هذه العلاقة .

والأمر الأكثر شيوعا ، على كل حال ، هو أن الدراسات التي أجريت حول النثر الأدبي المنطوق ( وأغلبه من الشعر* ) ، وكان معظمه من الشعر القديم ، قد قامت ـ هذه الدراسات ـ بالتركيز على قياس العناصر الشكلية للنثر ( مثل : الايقاع ، والقافية ، والسجع الاستهلالي ) ، انطلاقا من النظرية القائلة بأن عزل أو فصل وحدات النثر سيساعدنا في تحديد القيمة الجمالية للأعمال الفنية المختلفة ، كما أنه سيساعدنا في تفسير الانفعالات التي تستثيرها هذه الأعمال . وعلى سبيل المثال ، بين « ليبسكى Lipsky » أن الايقاعات المتميزة للكلمات المنطوقة الخاصة بما يربو على عشرين مؤلفا ، والخاصة أيضا بمواد لفظية مأخوذة من « العهد القديم » و « العهد الجديد » ومن الصحف يمكنها ـ هذه الايقاعات ـ أن تميز بثبات بين مادة لفظية من هذه المواد ومادة أخرى ، وقد شعر « ليبسكى » أن الايقاع هو مايمكن أن يكون المفتاح لفهم المعاني والانفعالات التي تستثيرها هذه المواد ( لكنه لم يقم بمتابعة نظريته إلى ماهو أبعد من ذلك ) .

رغم أن أصوات النثر المختلفة قد تم تسجيلها والتمييز بينها بنجاح ومن خلال أساليب محكمة ، منها تلك الأساليب التي قام « جوتشبك وجليزر Gattschalk & Gleser » بتطويرها ، فإن المواد الأدبية ذات الأهمية لم يتم استكشافها بشكل كامل ، هذا رغم أن هذه المواد الأدبية قابلة للوصف الكمي باعتبارها مادة نثرية عادية ( ومثيرة للاهتمام ايضا ) . وتمثل دراسة « جلاسجو Glasgow » استثناء في هذا الشأن ، وقد أجريت على الطرائق أو الأساليب المميزة لكلام الناس ، ومن خلال استخدام مواد نثرية وشعرية لها أهميتها ، وأظهرت هذه الدراسة مدى الخصوبة التي يمكن أن يكون عليها بحث من هذا

* يستخدم مؤلف هذا الكتاب كلمة نثر كي تشير الى كل ماهو لغوي ، نثرا كان او شعرا ، ومن ثم فهو يعتبر الشعر جزءا من النثر ، وهذا ماقد لايوافقه عليه الكثيرون ( المترجم ) .

النوع . فقد عالجت هذه الباحثة التغيرات التي تحدث في كيفية عرض المادة المنطوقة ، وكذلك التغيرات التي تتأثر بها جماعات مختلفة من المستمعين بشكل واضح خلال عملية ادراكهم أو تذوقهم للقطعة الأدبية التي يتعرضون لها . وهكذا ، فإن أساليب الكلام الجيدة قد أدت ، ووفقا لتقديرات المحكمين ، إلى ظهور استجابة أكثر ايجابية ازاء المواد المقروءة .

## قابلية الأدب للقراءة :

قامت دراسات « القابلية للقراءة » بالفحص الكمي للخصائص الطبيعية للغة المكتوبة ، وليس اللغة المنطوقة ، في محاولة لصياغة معادلة كمية يمكن من خلالها وصف السهولة التي يمكن فهم المواد المقروءة من خلالها . وقد اعتمد معظم الباحثين في هذا الموضوع أمثال « دال Dale » و « تشال Chall » و « فليش Flesch » على النثر العادي . وليس على النثر الأدبي . أما « تايلور W.L.Taylor » وخاصة في أسلوبه المسمى « Cloze procedure » فيعتبر استثناء في هذا الشأن ، ويعتمد هذا الاسلوب اساسا على تلك السهولة التي نستطيع من خلالها ان نقوم بإكمال جمل تم حذف بعض الكلمات منها . ومن أجل العرض الأكثر وضوحا لهذا الاسلوب المفيد والصادق ، والذي يقوم باعطاء الدرجات لعدد التخمينات الصحيحة التي يقوم بها الأفراد ، قام « تايلور » بتطبيق أسلوبه هذا على أعمال مجموعة من الأدباء أمثال « بوزويل »* و « هكسلي » ، و « جيمس » و « كالدويل »** ، و « شتاين » و « جويس » .

وقام « كيرل Kearl » بتلخيص جوانب القصور الموجودة في المعادلات والصياغات الخاصة حول دراسات القابلية للقراءة ، سواء كانت هذه الدراسات قائمة على أساس مواد أدبية أو غير أدبية ، وتتمثل الصعوبات الأساسية في هذه المعادلات في فجاجتها : حيث أنها تقيس فقط ماهو قابل للقياس ألا وهو الفهم . وقد تم نتيجة لذلك ، إسقاط جوانب أخرى من جوانب النثر من مركز الاهتمام ، ومن أمثلة هذه الجوانب : الشكل العام له ، الوضوح ، الجاذبية ، وأهداف المؤلف ، وكذلك مدى اسهام هذا النثر في إثارة أو إشباع توقعات القارىء .

## أصل الكتاب « أو مؤلفه الحقيقي » :

من بين كل التحليلات الاحصائية التي أجريت على البنية الأدبية ، تعتبر المحاولات التي بذلت لتحديد المؤلف الحقيقي لمادة أدبية معينة متنازع [illegible] المحاولات صاحبة

---

* جيمس بوزويل ( ١٧٤٠ ـ ١٧٩٥ ) محام وكاتب اسكتلندي ( المترجم ) .

** ارسكين كالدويل ( ١٩٠٣ ـ ) روائي أمريكي تتسم رواياته بالنزعة الحسية ( المترجم ) .

التراث الطويل في هذا المجال . وتتمثل القضية الأساسية هنا في تحديد الوحدة المناسبة التي يجب تدوينها باعتبارها تمثل عمل الكاتب بشكل أفضل . وقد فصل الباحثون المختلفون مجموعة مختلفة من المقاييس : وقد استخدم « يول Yule » الاسم ( بالمعنى النحوي ) كمقياس مناسب هنا ، بينما استخدم « ويليامز Williams » العدد الكلي للكلمات ، وفضل « برنجر Bringer » الاعتماد على طول الكلمة .

وقد انتقد « ليثام Leytham » هذه المقاربات البسيطة والمباشرة لهذه المشكلة ، باعتبارها تهمل المضمون والاسلوب وغيرهما من الخصائص الدقيقة للنثر . وهناك عيب آخر يتعلق بمدى صلاحية هذه المقاربات للتعامل مع الأدب ، وقد طرح هذا النقد « ويليامز » حين قال بأن هذه الدراسات انما تقوم فقط بممارسة الأساليب الاحصائية وإظهار فائدتها وأنها تهتم ـ على سبيل المصادفة فقط ـ بالمواد المدروسة باعتبارها مواد أدبية مركبة ومثيرة للاهتمام[١٣] . وعلى سبيل المثال ، استخدم « اليجارد Ellegard » بعض أعمال « تشوسر »* و « شكسبير » ، والعهد القديم والعهد الجديد ورواية « يوليسيس » « لجوليس » كي يوضح مدى ثبات طريقة معينة في تقدير المعايير الخاصة بالمفردات المرتبطة بكل نمط من أنماط الكتابة السابق ذكرها . وقد ناقش « اليجارد » هذه الطريقة باعتبارها وسيلة من الوسائل التي يمكنها أن تمكن المتحدثين والكتاب من التحديد السريع لما إذا كان مستوى النثر الذي يستخدمونه ملائما للمتلقين لأعمالهم أم لا ، لكنه لم يستكشف صلاحية هذه الطريقة فيما يتعلق بالفروق بين الأعمال ، أو بين المؤلفين ، أو بين الأساليب الأدبية المختلفة .

اقترح « بايسلي Paisley » أنه بدلا من الاعتماد على الوحدات الواضحة والمباشرة من وحدات اللغة كاللغات والأسماء وطول الجملة ، فإن هناك علامات هادية ( أو تلميحات او الماعات ) Cues صغيرة معينة من الممكن الاعتماد عليها واستخدامها[١٤] وتستطيع هذه العلامات الهادية أن تصف بثبات وبكفاءة المؤلف الحقيقي في مجالات جمالية مختلفة ، كالأدب ( حيث يمكن استخدام عدد أدوات التعريف المستخدمة ) وكالفن التشكيلي ( حيث يمكن استخدام الطريقة التي رسمت بها أطراف الأصابع ) وكالموسيقى ( حيث يمكن استخدام النغمات أو العلامات الخمس الأولى من أية مقطوعة موسيقية ) . وقد امتد « بايسلي » بمقارنته هذه إلى فحص البنية الأساسية للغة في ضوء نظرية المعلومات[١٥] . وعلى سبيل المثال ، فإنه قد يمكن استخدام المقياس البسيط الخاص بكثرة حروف معينة أو تكرارها ـ باعتبارها مؤشرا غير مباشر على الطريقة التي سيتم توصيل المعلومات النثرية من

---

* جيفري تشوسر ( ١٣٤٠ ـ ١٤٠٠ ) . شاعر انجليزي ، يعتبر اشهر الشعراء الانجليز قبل شكسبير ، وهو صاحب « حكايات كانتربري » . ( المترجم ) .

خلالها ـ قد يمكن استخدامه لاختبار الأصل الخاص بكتاب معين أو لتحديد مؤلفه الحقيقي ، كما انه امكن استخدام هذا المقياس ايضا بشكل ثابت للتمييز بين الموضوعات الرئيسية ، والبنية ، والتصورات الخاصة حول الزمن ، في تسع مسرحيات اغريقية ٧ وفي « الالياذة » وفي العهد الجديد .

وقد جادل « بايسلي » قائلا أن الاسهاب ( أو الاطناب ) ، والذي تكون الكمية المرتفعة منه عاكسة لعدم التأكد ( أو عدم اليقين ) هو المقياس الأكثر دقة لبنية اللغة اكثر من المقاييس التقليدية الأخرى الخاصة بالمحتوى مثل طول الجملة او المفردات . وأشار باحثون آخرون داخل إطار نظرية المعلومات إلى أن التكرار الذي تحدث من خلاله حروف معينة ، من الممكن أن يكون مفيدا في فهم المحتوى التخاطبي للنثر(١٦) .

وقد تم توضيح القضية السابقة من خلال استعراض التوزيع الخاص للحروف في أعمال « وليم جيمس » ، ولمقالة في إحدى المجلات ، وللكتابات الموجودة في العهد القديم والخاصة بالنبي « أشعيا » .

وتعتبر دراسة « أليوسي » و « آدامز » حول انماط التفضيل للحروف والتي تمت الاشارة اليها سابقا ، هي مثال يقع داخل التراث الخاص بنظرية المعلومات .

## استخدام المواد الأدبية في الدراسات النفسية :

لا ترتبط معظم الموضوعات والدراسات التي ذكرناها في هذا الفصل والفصل السابع ، والتي تدور حول الشخصية والابداع ، وحول مضمون وبنية الأدب ، وحول قارئ الأدب ، بشكل مباشر بعلم النفس العام إلا بدرجة قليلة ، فارتباطها بالمشكلات الجمالية أكثر من ارتباطها بالمشكلات النفسية العامة . على كل حال ، فإن الدراسات النفسية قد استخدمت ايضا المواد الأدبية بطريقة تولي اهتماما ثانويا فقط لخصائصها الأدبية والجمالية . وعلى سبيل المثال ، استخدمت دراسات قليلة ـ حول التعلم والتذكر النثر الأدبي بدلا من المادة المعتادة أو الكلمات غير المترابطة .

هناك منطقة من مناطق البحث السيكولوجي وثيقة الصلة بالاهتمامات الأدبية ، وتتعلق هذه المنطقة بدراسة آثار المكانة Prestige والايحاء Suggestion على عملية التقييم للنثر . وقد قام « آش » و « أوسجود » و « تاننباوم » ببحث الأثر الخاص بالاسم الذي تنسب اليه مادة نثرية تتم معالجتها خلال الدراسة ، وذلك من خلال المصطلحات النظرية الخاصة بالادراك ، وتغير الاتجاه ، والمعنى .

وقد كانت المادة المستخدمة في هذه الدراسات وإلى حد كبير ـ مادة غير قصصية أو نثرا غير أدبي ، مع الاستخدام العابر أحيانا لمواد أدبية . ومهما اختلفت المادة المستخدمة ، فإننا نجد أن الاجراء المستخدم في هذه الدراسات كان هو نفس الاجراء :

حيث كانت تعرض نفس القطعة الأدبية على مجموعات مختلفة من المبحوثين ، وكانت تتم نسبة هذه القطعة لدى كل مجموعة الى مؤلفين ذوي خصائص أو مزايا متعارضة ( وعلى سبيل المثال تمت نسبة قطعة نثرية حول الحرية مرة إلى « هتلر » ، ومرة إلى « روزفلت » ) وحيث أن منزلة المؤلفين لا يكون لها عادة تأثيرما على حكم المبحوثين على القطعة ، فقد كانت القضية الرئيسية هي تفسير هذا التأثير والتنبؤ بكمية التغير التي قد تحدث فيه .

على كل حال ، فإنه في دراسة « لميتشل » وزملائه ، لم تتأثر أحكام الأفراد على فقرات مأخوذة من روايات وأشعار جيدة ، وروايات وأشعار رديئة ، نتيجة نسبة هذه الأعمال لمؤلفين مشهورين . وقد كانت هذه النتائج غير متوقعة ، وقد وجد الباحثون أنفسهم مضطرين لالقاء اللوم بسبب ظهور مثل هذه النتائج على الشخصيات المستقلة للمبحوثين المحددين الذين استخدموا في هذه الدراسة . وبشكل نمطي تقوم المكانة الرفيعة بفعلها حتى في الثقافات المختلفة . وهكذا ، فإن « داس Das » وزملاءه قد وجدوا أن الأفضلية الخاصة بقطع أدبية هندية ( كما حكم بذلك الهنود ) قد تغيرت وفقا للمؤلف الأصلي الذي تمت نسبة هذه القطع الأدبية اليه . ووجد « فيليب » ان تجديد اسم مؤلف العمل له أثره القوي على التقديرات المعطاة للأبيات المفردة من الشعر خاصة عندما تتم مقارنة هذه الأبيات بالقطع الأدبية التي لم يحدد اسم معين من اسماء المؤلفين باعتباره مؤلفا لها .

يعتبر مجال التعلم من مجالات علم النفس البحثية الكبيرة التي أحيانا ماتستخدم فيها المواد النثرية ، رغم أنها لا تكون عادة مواد أدبية ، وذلك لأن الاعتماد الشائع بشكل كبير على الكلمات الصماء ، وعلى قوائم الكلمات الزوجية والمتقطعة التسلسل ، يسمح للمجرب بقدر أكبر من التحكم في مادته . وتعتبر دراسة « وودرو Woodrow » استثناء مبكرا لهذه الاستراتيجية الاختزالية . وقد قام في دراسته هذه بالمقارنة بين الشعر ، والنثر ، والحقائق ، والمفردات ، في ضوء معدلات التعلم لها ، وكذلك في ضوء الخصائص المميزة لعمليات انتقال آثار التعلم الخاص بها ، وايضا في ضوء الطريقة التي تتأثر بها عمليات التعلم ، وعمليات انتقال آثار التعلم ، وفقا لأنماط مختلفة من التعليمات . وعلى كل حال ، فإن استخدام مثل هذه المواد المركبة وذات المعنى في دراسات التعلم والتذكر هو أمر غريب ، أى غير شائع .

ومع ذلك ، فإنه في الثلاثينيات المبكرة من هذا القرن ، اعترض « بارتليت » في دراسته التي تعتبر الآن من كلاسيكيات هذا العلم ، والتي نشرها تحت عنوان « التذكر Rememberings » على الاعتماد واسع الانتشار على مثل هذه المواد غير ذات المعنى ومحدودة القيمة ( والتي مازالت مميزة للاجراءات البحثية الخاصة بنماذج التعلم اللفظي والتعلم الصم Date Learning ) وجادل « بارتليت » قائلا ان النتائج التي تقوم على أساس مثل هذه الدراسات هي نتائج محدودة القيمة ، وضيقة المدى ، وغير مناسبة لمواقف التعلم

الحقيقي . وقام « بارتليت » ، كاستراتيجية بديلة للبحث ، بدراسة التغيرات الكيفية في تذكر المواد المركبة ، كالحكايات الشعبية مثلا . ومن ثم فانه كان قادرا ، من خلال ذلك ، ان يبين تلك الطبيعة النشطة للذاكرة ، وأن يوضح كذلك مايتعلق بعملية التعديل أو التحوير التي تحدث في هذه الذاكرة وفقا للخبرات الماضية لدى القائم بالتعلم ، ووفقا لاتجاهاته الخاصة أيضا . وقد قام عديد من الباحثين الآخرين باجراء دراسات أخرى استخدموا فيها احدى الحكايات الشعبية التي استخدمها « بارتليت » وهي قصة « حرب الأشباح » وحديثا ، قام « كنج King » باخضاع هذه الحكاية لاسلوبين مختلفين في قياس التعلم والاستدعاء ( أو التذكر ) ، وقد قام خلال ذلك بالحصر لعدد الكلمات ( الكلمات هنا متفرقة ) التي يتم تذكرها أو الحصر لسلسلة الكلمات ( أى الكلمات المتصلة المتتابعة ) التي يتم تذكرها ، كي يبين أن الصعوبات التقنية ( أى الفنية أو الخاصة بالأدوات ) التي نجابهها عادة خلال قياسنا لخطاب discourse متصل ( أى مادة لغوية متتابعة ) في دراساتنا المعملية للتعلم والتذكر ، هي صعوبات من الممكن التغلب عليها .

واستخدم « دولنج وليخمان Dooling & Lechman » المنحى العام الذي أجرى « بارتليت » دراساته وفقا له ، من أجل دراسة التغيرات الكيفية في الذاكرة ، لكنهما قاما بأنفسهم بكتابة القصص التي أجريا الدراسة عليها ، وقاما بدراسة بعض المتغيرات مثل تأثير العنوان على الفهم وغير ذلك من المتغيرات .

يستخدم النثر المتصل ذو المعنى ، والذي يحمل الأدب العديد من جوانب التشابه معه ، الآن على نحو متزايد في معمل دراسات التعلم . ويمكننا أن نجد نثرا عاديا ( كالجمل والفقرات ) مستخدما في دراسات تتناول العديد من جوانب التعلم ، مثل آثار الكف الراجع Retroactive Inhilition وآثار الكف اللاحق Proactive Inhilition على التعلم* ، وهناك دراسات أيضا على أثر زيجارنيك Zigarmic effect** على تذكر المادة أو المهام غير المكتملة ( أى التي قوطعت خلال عملية تعلمها ) ، كما توجد دراسات أيضا حول اكتساب وتذكر المواد المتعارضة التي تتفق ، أو لا تتفق ، مع اتجاه المرء ، وتشير مراجعة « رانكويست Ranquist » الحديثة للدراسات التي أجريت حول الجوانب المختلفة للتعلم البصري الى ذلك الميل المتزايد نحو استخدام النثر في الدراسات . وقد اشتملت هذه المراجعة اضافة الى فحصها لأنماط المواد التقليدية المتسلسلة والزوجية ، على قسم خاص يدور حول التنامي المتزايد في استخدام الوحدات المتعددة للغة ( أى النثر ) .

---

* يقصد بآثار الكف الراجع على التعلم ان المادة التي نتعلمها الآن قد ترجع بآثارها الضارة فتعوق المادة التي سبق ان تعلمناها من قبل ، اما الكف اللاحق فيعني به ان المادة التي نتعلمها الآن من الممكن ان تؤثر على مادة سنتعلمها في المستقبل ( المترجم ) .

** نسبة إلى الباحثة « زيجارنيك » وهي من تلامذة « كيرت ليفين » وقد قالت بان العمل غير المكتمل يكون خالد من التوتر الداخلي لدى الفرد مما يدفعه إلى كمال العمل حتى ينخفض التوتر ويستعيد التوازن ( المترجم ) .

يتميز النثر ، سواء كان أدبيا أم لا ، بكونه أكثر اثارة للاهتمام ، وأكثر معنى ، مقارنة بالمواد العادية ، ولكنه ، على كل حال ، يشتمل ايضا على صعوبات فنية ( خاصة بالأدوات ) تتعلق بعمليات التحكم فيه وقياسه ، وهي صعوبات تقف حجر عثرة امام استخدامه بدرجة أكبر . فكي يتمكن المرء من الحصول على بيانات مقبولة حول اكتساب وتذكر النثر ، يحتاج هذا المرء أولا إلى مقياس ثابت وقابل للتكميم ( أى التعبير الكمي ) لبنية ومضمون ومعنى المواد المستخدمة ، كما يحتاج كذلك الى طريقة لتصنيف الاستجابة تكون متسمة بالكفاءة . وقد أشار « رانكويست » الى ان اجراء مماثلا لاجراء « تايلور » المسمى « Cloze Analysis » ـ والذي يشتمل على اسلوب معين من اساليب اكمال الجمل ـ قد يحل بعض المشكلات المتعلقة بقياس وتصحيح ( اعطاء الدرجات ) النثر . ففي هذا الاجراء يقوم المبحوثون بملء الفراغات الموجودة في الجمل التي تنقصها بعض الكلمات والتي ـ هذه الجمل ـ تمثل الاختبار الأساسي ، الذي يعتمد على المادة الأصلية ، التي تم عرضها على الأفراد خلال عملية التعلم . ويتحدد الاكمال الناجح للجمل في ضوء العدد الكلي للبنود ( الأسئلة أو الجمل ) التي تم تذكرها بشكل صحيح . وقد استخدم « ميللر وكولمان G.R.Miller & Coleman » هذا الاسلوب بشكل ناجح في قياس تركيب المنبه Stimulus complexity* الموجود في مجموعة من القطع النثرية غير الأدبية ، ثم قاما بعد ذلك بمقارنة حالات هذا التركيب بالصعوبات التي واجهها الأفراد في فهم هذه القطع .

يعتبر تحديد المنبه والاستجابة الخاصين بتعلم النثر مشكلة حادة خلال عملية اجراء البحوث الخاصة حول تعلم وتذكر المواد المركبة . فبدون التحديد الكمي المتسم بالمعنى لوحدة التحليل ( فهل هي الكلمة ، أو شبه الجملة ، أو العبارة ، أو الفكرة ؟ ) لن يكون القياس أو التحليل المتسم بالثبات للمواد أمرا ممكنا . ويترتب على ذلك ، أن يصبح من الصعب ضمان أن يكون مضمون المواد المختلفة قابلا للمضاهاة أو المقارنة في ضوء مايشتمل عليه من معنى أو انفعالية . وعلاوة على ذلك ، فانه بمجرد تحديد وحدة المنبه التي ستجرى الدراسة عليها ، يصبح من الضروري أيضا قياس الاستجابة بشكل متسم بالثبات .

بينما شارف استخدام النثر الأدبي في مجال السلوك اللفظي على التقبل الآن ، فإننا بالكاد نلمح ظهورا ما للمواد النثرية المركبة ، سواء كانت أدبية أم لا ، وتعتبر دراسة « وايلدنج وفاريل Wieding 9 Farrell » ، استثناء في هذا الشأن ، وقد أوحت هذه الدراسة بالامكانية الخاصة المتضمنة في الاعتماد على مواد مثيرة للاهتمام بطبيعتها ، فقد قام هذان الباحثان بعرض قطعتين أدبيتين مختلفتين مأخوذتين من أعمال الروائي « هاردي » وذلك

---

* اى مدى مانشتمل عليه هذه القطع ( كمنبه ) من تركيب او بساطة ( المترجم ) .

بجعل المبحوثين يستمعون من خلال سماعات للأذن الى احدى المقطوعتين بإحدى الأذنين وإلى المقطوعة الأخرى بالأذن الأخرى ، وقد أوضحت هذه الاجراءات المتداخلة تلك الأدوار المتنافسة التي تلعبها الآثار البصرية والسمعية الكامنة على عملية الانتباه .

## القاريء

ترتبط الدراسات التي أجريت على قاريء الأدب بدرجة وثيقة بتلك الدراسات التي قمنا بمراجعتها سابقا ، سواء كانت دراسات خاصة بالعملية الابداعية أو الشخص المبدع ، او العمل الابداعي ، أو المناخ الاجتماعي للابداع . وتتضمن دراسة القاريء بالضرورة ، مدى واسعا من الموضوعات ، كالخصائص الشخصية والعقلية المميزة له ، وماذا يقرأ ؟ واستجاباته المختلفة للأشكال المختلفة من اساليب الأدب ، وتأثيرات هذه الأساليب عليه ، والأهداف الكلية أو النهائية التي يقرأ من أجلها . ورغم المدى الواسع الذي تغطيه هذه الأسئلة أو القضايا ـ وربما بسبب هذا المدى ـ تعتبر البحوث حول القاريء أقل البحوث شمولا ، داخل المجالات الثلاثة الكبيرة التي تقوم بوصف الدراسة الامبيريقية للأدب . وبينما يعتمد البحث الخاص بالموضوعات الأدبية ، بالضرورة وبطبيعة الحال ، على القاريء ، ـ حيث أن القاريء رغم كل شيء هو مصدر البيانات التي يتم بناء تحليل العمل عليها ـ فإنه يتم النظر الى الخصائص المميزة لهذا القاريء ، وخبراته ، واستجاباته للعمل ، باعتبارها أمورا مفروغا منها . ويبدو أن هناك افتراض ضمني بوجود نوع من القاريء المحايد او العام الذي يستجيب ويقرأ ويتذوق العمل الأدبي بطريقة واحدة أو متماثلة في شكلها .

ورغم أنه قد يبدو أن اهتمامات علماء الاجتماع ، والتي قمنا بمراجعتها في الفصل السادس ، هي الأكثر مناسبة في هذا المجال ، فإن اهتمامات علماء الاجتماع تنحصر في « المتلقين » ، وهي تسمية عامة وأقل اتصالا بالفرد من مصطلح « القاريء » . على كل حال ، فإن مثل هذه التمييزات تصبح غير واضحة خلال المناقشات الخاصة بالمقاربة النفسية الاجتماعية للقاريء .

### تشكيلة المتغيرات التي درست :

رغم وجود العديد من القضايا التي أثيرت والعبارات التي ذكرت حول القاريء ، فإن هناك دراسات امبيريقية قليلة حول الفروق بين القراء ، سواء في استجاباتهم لنفس الأعمال الأدبية أو لأعمال أدبية مختلفة . وهكذا ، فإن « تشايلد » قد أشار بطريقة

مختصرة فقط الى استجابة القراء المختلفين لنفس المجموعة من القصائد الشعرية في مراجعته الحديثة للمجال[١٨] . ويعتبر بحث « ريتشارد » واحدا من أكثر البحوث طموحا في هذا الشأن . ويشتمل كتابه « النقد التطبيقي Applied Criticism على دراسة غير رسمية تتعامل مع الاستجابات للشعر . وقد تم جمع الاستجابات المكتوبة بعد التعرض لقصائد مختلفة وتم فحص هذه الاستجابات في ضوء عمليات التفضيل أو عدم التفضيل لها وفي ضوء الصور الخيالية التي أثارتها في أذهان من تعرضوا لها ، ثم تم ربط هذه المعلومات بعد ذلك بالتكرار الخاص لأشكال الكلمات في القصائد المختلفة ، وأيضا ـ وهو الأكثر طموحا ـ تم ربطها ـ هذه المعلومات ـ بالدوافع النفسية المختلفة التي تم التعبير عنها في هذه القصائد . وفي دراسة أخرى أقل تعقيدا ، لكنها أكثر إحاطة ، وجد « جاكوبوفيتش » ان القراء كانوا قادرين على التسمية الصحيحة للأدب الذي حدد المؤلف خصائصه باعتباره شهوانيا أو فاحشا . وهي نتيجة يعتقد المؤلف ـ الحالي ـ بأنها قد تساعد في تحديد المحكات القانونية للأدب المكشوف ( والأمر المدهش ان الاستجابات الخاصة لهذا النوع من الأدب في علاقتها بأنماط الشخصية المختلفة لم تحظ بنفس قدر الاهتمام الذي وجه نحو ردود الأفعال الخاصة بالفن التشكيلي المكشوف ) .

تعتبر دراسة « ويلز Wells » رغم انها اجريت عام ١٩٠٧ ، دراسة جديرة بالتنويه ، وذلك لأنها حاولت أن تدرس القارىء بطريقة عملية ( امبيريقية ) . وقد قام هذا الباحث بفحص استجابات القراء لمؤلفين مختلفين ، من خلال جعل هؤلاء القراء يرتبون تفضيلاتهم لعشرة من الكتاب الأمريكيين ( منهم ـ على سبيل المثال : « ادجار آلان بو » ، و « هاوثورن » ) وذلك في ضوء أبعاد عديدة تم تكوينها من قبل واعتبرها مجموعة من المحكمين الخبراء مناسبة لهذه المهمة ، ومن بين هذه الأبعاد : الأفضلية أو الجدارة العامة للمؤلف ، ووضوح كتابته ، وقوة هذه الكتابة . واستخدم « ويلز » نفس الاجراءات للمقارنة بين عشرة أعمال لمؤلف واحد ( هو « بو » ) وتستحق مثل هذه المقاربة التي قدمها « ويلز » اهتماما أكبر من ذلك الاهتمام الذي حظيت به ، وخاصة فيما يتعلق بفائدتها للمعلمين الذين يقدمون مقررات في التذوق الأدبي ، وحديثا ، قام « ماكجرانهام » بدراسة استجابات القراء لأشكال مختلفة من اللغة الأدبية ، وقارن بين هذه الاستجابات وبين الاستجابات للغة العلمية .

يوجد سؤال هام يتعلق بما إذا كان الأدب يؤثر على شخصية القارىء . وقد ظهر بعض التأييد غير المباشر لهذا الأثر المفترض في دراسة « بارون » و « روزنبرج » حول أحد الممثلين . فقد قاما بقياس شخصية أحد الممثلين قبل ، وأثناء ، وبعد تمثيله لمسرحية « الملك

لير »* ، ووجدا انه خلال مسار تمثيل الدور الرئيسي في المسرحية ، تتغير شخصية الممثل ( على الاقل بطريقة مؤقتة ) في اتجاه الاتفاق مع طبيعة الشخصية التي يقوم بتمثيلها .

وكشف « دريك Drake » عن وجود بعض التغيرات في تفسيرات القراء لمفهوم معين ( تم قياسه من خلال مقاييس التمييز الدلالي ) . وتنتج هذه التغيرات عن قراءة احدى القصائد . وقد قام « دريك » ايضا بمقارنة اتجاهات المبحوثين الذين يقرأون شعرا خاصا بموضوع معين ، باتجاهات مجموعة ضابطة من المبحوثين الذين يقرأون إما قصائد رديئة مماثلة في مضمونها ، أومعلومات نثرية تدور حول نفس الموضوع . وقام « برلين » بالبدء في مجموعة أخرى من البحوث تسير على نفس الخطوط البحثية المثيرة للاهتمام ، وتشتمل على مقاييس للاستدعاء ( أو التذكر )(٢٠) . وقد أثبتت دراسة قام بها « اركماس Arcamase » و « لندور » نفس الأثر السابق المفترض والذي لم يتم توضيحه امبيريقيا ، والخاص بأثر التدريب التدريبي ، والذي فحواه أن الأفراد يمكنهم ان يتعلموا ان يتعرفوا على الأساليب الأدبية ومؤلفيها من خلال مجرد التعرض لأعمال هؤلاء المؤلفين ، وقد عرض أولا على الأفراد المبحوثين في هذه الدراسة ست من القصائد الحديثة دون تحديد أو ذكر مؤلفيها ، وطلب من هؤلاء الأفراد تحديد أسماء الذين تنتمي اليهم هذه القصائد ، وقد مثلت هذه الخطوة ، والتي قاموا بها بشكل سيىء ، الخط الأساسي الذي تم الاعتماد عليه في المقارنات التالية . ثم قام هؤلاء الأفراد بعد ذلك وبشكل مختصر بقراءة ودراسة نماذج ممثلة عديدة أخرى لهؤلاء الشعراء مع ذكر اسم الشاعر مع كل قصيدة .

وأخيرا ، تم اختبار هؤلاء الأفراد على مجموعة جديدة تشتمل على ست قصائد لنفس المؤلفين دون ذكر اسماء مؤلفيها معها . وقد استطاع هؤلاء المبحوثين تحديد اسماء الشعراء اصحاب هذه القصائد الأخيرة أكثر مما استطاعوا ذلك في بداية الدراسة وبشكل يفوق أيضا مااستطاعته المجموعة الضابطة التي لم تتلق أى تدريب في هذا الشأن . ويفترض هنا انه قد أمكن تحديد العلامات الدقيقة الهادية المثيرة للاهتمام في الاسلوب ، رغم انها لم يتم ذكرها لفظيا أو صراحة ، من خلال عمليات العرض للقصائد والتعلم لها وانتقال آثار التعليم والتذكر الخاصة بها .

قامت الدراسات الخاصة التي أجريت حول بنية المادة المكتوبة بربط بين موضعها الخاص وغيرذلك من الخصائص المميزة لها مثل طول النص الموجودة في صفحة معينة وبين انتباه القارىء . وفي مثل هذه الدراسات والتي قام « نافزيجر Nafziger » بمراجعتها ، كانت المواد غير الأدبية وغير الجمالية ، كالصحف هي المصدر الأساسي للمعلومات حول القارىء . وقد وجد « هاسكنز » من خلال اهتمامات قريبة من الاهتمامات الأدبية أن

* وهي مسرحية « شكسبير » المشهورة . ( المترجم ) .

درجة التجريد في القصص القصيرة كانت مرتبطة ايجابيا بشعور القاريء بالرضا ، ولكن ، وهنا تكمن المفارقة ، لم ترتبط درجة التجريد هذه بنفس الشكل مع عمليات الانتباه الخاصة بهذا القاريء .

هناك دراسات عديدة أخرى حول الخصائص المنبهة للمادة النثرية ، وتأثير هذه الخصائص على عملية القراءة ، وقد نشأت هذه الدراسات عن تلك الاهتمامات العامة في علم النفس التجريبي. ومن النتائج الجديرة بالذكر والتنويه هنا ماوجده « كامان Kamman » من أن تفضيل القراء للشعر ذي الدرجة المتوسطة من التركيب ( أو التعقيد ) يفوق تفضيلهم للشعر المتسم بدرجة عالية اوبدرجة منخفضة من التركيب ، ورغم أنه قد أجرى دراسته على نوع واحد من المادة الأدبية ، وقام بتعريف التركيب على اساس امكانية التنبؤ بالكلمات الموجودة في القصائد فقط* ، فإن نتائجه نتائج هامة وذلك لأنها تتماثل مع نتائج بحوث أخرى أجريت على الفن التشكيلي وعلى مواد غير جمالية ، ومن ذلك مثلا دراسات « برلين » حول الجوانب الادراكية ، والانتباهية والدافعية الخاصة بعمليات التفضيل الجمالي وفي سياق علم النفس التجريبي .

هناك فرضية أخرى شائعة في علم النفس التجريبي تتعلق بالجماليات الأدبية ، ويتمسك اصحابها بأن التفضيل هو دالة ( أو نتيجة مترتبة على ) للألفة ، أى أن مجرد التعرض للمنبهات سيؤدي الى تزايد الحب او التفضيل لها . ومن بين الأمثلة الموضحة لهذه الفرضية ( اضافة للشواهد الارتباطية والتجريبية المقدمة ) ماقدمه « زاجونك Zagonc » من اشارة الى الدور الايجابي للتكرار في النثر عامة ( بما في ذلك الحروف ) وفي الأدب خاصة ( رغم أن الأمثلة من مجال الموسيقى هي التي تستخدم غالبا ) . وهكذا فإن « زاجونك » قد بين أن الكلمات الحاملة للمضمون في قصيدة مبهجة للشاعر « بليك » ، كانت شائعة أو مألوفة أكثر من الكلمات الحاملة للمضمون في واحدة من قصائده الحزينة القابلة للمقارنة بالقصيدة المبهجة . ووجد نمط مماثل فيما يتعلق بالقصائد المتعارضة انفعاليا ( سعادة - حزن ) والخاصة بالشاعرين « براوننج » و « شيللي » . ومن الأمور التي مازالت خلافية حتى الآن ماذا كانت العلاقة الارتباطية بين التفضيل والتعرض ( للأعمال الفنية ) هي علاقة مستقيمة أم علاقة منحنية** ، كما هو الحال فيما يخص

---

* اى ان القصائد التي يتمكن القاريء من توقع الكلمة التالية في أحد ابياتها تكون اقل تركيبا من التي لا يستطيع توقع الكلمة التالية في أحد ابياتها وهكذا . ( المترجم ) .

** الاستقامة والانحناء من المفاهيم الاحصائية التي تصف العلاقة بين المتغيرات ، فإذا كانت العلاقة بين متغير و اخر علاقة مستقيمة فهذا يعني انه كلما تزايد أحدهما تزايد الاخر وكلما نقص احدهما نقص الآخر ، اما العلاقة المنحنية فتعني ، بشكل عام ، مثلا ، أن العلاقة بين عمليات التفضيل او التذوق لقصيدة معينة تتزايد مع تزايد عمليات التعقيد او التركيب التي تشتمل عليها هذه القصيدة وتستمر هذه العلاقة حتى نقطة معينة بعدها لا يرتبط تزايد التركيب مع تزايد التفضيل بل ، قد يرتبط به بطريقة عكسية . ( المترجم ) .

العلاقة بين التفضيل والتركيب ( حيث العلاقة منحنية ) . وقد وجد « جاكوفيتش » فيما يتصل بهذه القضية ، ان شعبية بعض الأغاني الشائعة في المواكب والاحتفالات كانت مرتبطة ـ هذه الشعبية ـ بطريقة منحنية بعدد المرات التي تعزف أو تؤدى فيها هذه الأغاني كل اسبوع ، فمع تزايد تكرار اداء هذه الأغنيات ، ترتفع عمليات التفضيل لها ثم تتضاءل عمليات التفضيل هذه لها بعد ذلك .

هناك مقاربات أخرى لاستجابات القارىء صالحة لكل من علم الاجتماع وعلم النفس أيضا . وقد قامت هذه المقاربات بفحص اتجاهات القارىء ، وفحص سمات وخصائص شخصية وفردية خاصة به ، وكما تنعكس بشكل غير مباشر في سلوك التسوق او الشراء الخاص بأكثر الكتب مبيعا . وعلى سبيل المثال ، قام « أوستين Austin » بتقسيم بعض الكتب الاكثر مبيعا ، ولم تكن من الأعمال الأدبية القصصية والتي بيعت في الفترة من عام ١٩١٢ وحتى عام ١٩٥٠ إلى أربعة عشر نمطا من الكتب . ووجد أن نصف الكتب المباعة تقريبا كان متناسبا مع الفئات التالية ( وهي فئات قد اختلفت بدرجة ما عبر الفترات الزمنية المختلفة التي درسها ) : التراجم ، والسير الذاتية ، والمشكلات الاجتماعية ، ومساعدة الذات Self-Help ، والحرب . وقد أوحت هذه القائمة لهذا الباحث بأن القراء يهتمون بالناس أكثر من اهتمامهم بالأحداث ، وأنهم يهتمون بتحليل الآخرين أكثر من اهتمامهم بتحليل أنفسهم .

كذلك قام « سيوتر Sewter » بحصر المبيعات الأدبية وغير الأدبية عبر فترة من الزمن ولم يكن تحليله واضحا فيما يتضمنه من معلومات كما كان الحال بالنسبة « لأوستن » فقد كانت هناك تغيرات كبيرة جدا ( لكنها غير مفسرة ) فيما يتعلق بشعبية أساليب الكتابة المختلفة وموضوعاتها . وقام « هارفي Harvey » أيضا بدراسة اكثر انتقائية ، وأكثر اتساعا ، على الكتب التي شاعت بين الناس في الفترة من ١٩٣٠ ـ ١٩٤٦ ، وقارن بين ٢٢ كتابا من أكثر الكتب مبيعا وبين عدد مماثل من الكتب الاقل مبيعا ، مركزا في مقارنته على المقابلة أو المضاهاة بين الموضوعات الموجودة في كل مجموعة من هاتين المجموعتين ، وتم تقييم الكتب في ضوء عدة فئات من المتغيرات ، منها ، مثلا ، سلسلة الأحداث التي تشكل الأثر الأدبي ، الانفعال ، خصائص الشخصيات الرئيسية في الحبكة ، الرومانسية ، التبسيط في رسم الشخصيات . وقد وجد هذا الباحث ان هناك ستة عشر بعدا مميزا بين أكثر هذه الأعمال الأدبية مبيعا وبين اقلها مبيعا . ووجد أنه من بين أكثر الأمور حسما بالنسبة لعمليات البيع ، تلك الخصائص الانفعالية المميزة للشخصية الذكرية الرئيسية في العمل ( على سبيل المثال كانت اكثر الكتب شعبية هي الكتب العاطفية والوجدانية ) . وقد وجد أن هناك متغيرات أخرى قد قامت بالتأثير على عمليات البيع منها : طريقة اختيار

الكلمات وكيفية استخدامها وحداثة الأحداث التي يتم ذكرها في العمل ( أى قربها التاريخي ) وكذلك مدى مايتمتع به المؤلف من شهرة أو شعبية واستخدم « كابيل Kappal » عدد أكثر من الكتب مبيعا كي يفحص بشكل عميق تلك العلاقة الموجودة بين الاختيارات الخاصة بأندية الكتب* وبين المعايير الادبية :فهل تحظى الكتب التي تختارها هذه النوادي بتقييم نقدي ايجابي ام بتقييم نقدي سلبي ؟ ووجد هذا الباحث انه رغم ان الجدارة أو الكفاءة الخاصة بعمليات اختيار الكتب ،والتي تقوم بها هذه النوادي ،تختلف من ناد إلى آخر ، فإن اختيارات هذه النوادي بشكل عام كانت متسمة بدرجة عالية من الكفاءة . مما يوحي بأن الاختيارات الخاصة بأندية الكتب لم تكن ( على الأقل بالنسبة للفترة التي درست والتي تمتد من عام ١٩٢٧ الى عام ١٩٤٦ ) ذات تأثير ضار فيما يتعلق بالمحافظة على مستوى عال من المعايير الأدبية .

هناك دراسة تقييمية أخرى تم توجيهها بطريقة أكثر مباشرة الى عادات القراءة ، وقد قام « ستارك Starch » بهذه الدراسة ،وفيها طلب من مجموعة المحكمين ذوي الكفاءة ( من النقاد والمتخصصين في الأدب ) أن يختاروا مايعتبرونه أعظم مائة كتاب . وقد وجد أن معظم المحكمين قد اختاروا العهدين القديم والجديد أولا ،ثم كانت الكتب التسعة التي اعتلت القمة في القائمة التي اختاروها من الأعمال الروائية الأدبية ،كما كان حوالي نصف الكتب التي تم اختيارها من الأعمال الأدبية . وقد توزعت الأعمال الأدبية على نحو مماثل بين الدراما والشعر ، وحصلت أعمال « شكسبير » على معظم الأصوات الرئيسية . لقد كان طلاب الجامعات الذين أوشكوا على التخرج في أربعينيات هذا القرن على ألفة بعدد يقل عن نصف عدد الأعمال التي اختارها المحكمون في هذه القائمة ،كما أنهم قرأوا ماهو أقل من ٢٥٪ فقط منها .

هناك مصدر آخر للمعلومات حول جمهور القراء يتسم بأنه أكثر اتساعا ومباشرة ، ألا وهو التراجم أو السير الذاتية . فقد قام « لوفينثال » بتسجيل نمط وعدد الشخصيات المشهورة من الماضي ومن الحاضر والتي تهتم بها المجلات واسعة الأنتشار ، كي يقيس اتجاهات القراء المتغيرة نحو أبطال المجتمع ونحو المكانة الخاصة بالمهن المختلفة . وقد أشارت البيانات التي قام هذا الباحث بجمعها الى وجود تناقص في الاهتمام بالمؤلفين ( والفنانين ) الجادين عبر الزمن ( من ٧٧٪ إلى ٩٪ من بين التراجم والسير القليلة التي عرضتها هذه المجلات والتي قام هذا الباحث بفحصها ) . وحل مكان الاهتمام بالمؤلفين والفنانين الجادين اهتمام أكبر بالمطربين والممثلين الهزليين ورجال الأعمال والساسة . وعلى نحو مماثل ، قام « فينك Vinicke » بالمقارنة بين أنماط المهن الموجودة في « السير »

يصعب التمييز بين الدراسات التي تناولت المضمون الأدبي وبين الدراسات التي

* او مايسمي بالنوادي الادبية ( المترجم )

تناولت استجابات أو ردود أفعال القاريء تجاه هذا المضمون . فالأمر الواضح هو انه لا يمكن فصل المعنى السيكولوجي للعمل عن استجابة القاريء له ، كما لا يمكن ايضا فصل المعنى السيكولوجي للعمل الأدبي عن شخصية المؤلف وعملياته الابداعية ، وكل هذه العوامل يتم صقلها من خلال السياق الاجتماعي . ورغم تعرفنا واعترافنا بالروابط القوية بين كل هذه الظواهر والعمليات يمكن للمرء ، رغم كل ذلك ، ان يحاول التركيز على احد هذه الجوانب في وقت معين . ويضع هذا الفصل على عاتقه مهمة مراجعة الدراسات التي أجريت حول مضمون وبنية الأدب ، وحول استخدام الأدب في البحوث السيكولوجية ، وكذلك مراجعة البحوث التي أجريت حول استجابة القاريء للأدب .

# المحتوى النفسي للأدب

يشير الأدب إلى مجموعة من الموضوعات ذات الجاذبية السيكولوجية ، وبصفة خاصة تلك الموضوعات المتعلقة بالاتجاهات ، والدوافع ، والانفعالات . كما يشتمل الأدب اضافة الى ماسبق على اشارات معرفية عديدة . وذلك لأن مضمونه وبنيته يستثيران الصور العقلية ، والمعنى والاحساس بالاسلوب لدى القاريء . وقد تم فحص العديد من الأشكال الأدبية ، ومن أجل مضمونها النفسي ، وتشتمل هذه الأشكال الأدبية على الأشكال التقليدية ( وخاصة الشعر ) وعلى المقتطفات والتعبيرات المجازية ، وكذلك كتب القراءة المقررة على الأطفال . وقد استخدمت هذه المواد المختلفة للاجابة على اسئلة كثيرة ، وقد أثير بعضها نتيجة للاهتمام الجمالي ، وبعضها الآخر نتيجة للاهتمام السيكولوجي .

**تعبير الأدب عن الاتجاهات والدوافع والانفعالات :**

تتمثل الخاصية الأكثر عمومية للمضمون الأدبي في أنه يعكس الاتجاهات الشخصية والثقافية ( الاجتماعية ) فقد قام « ماكليلاند » بدراسة عقدة المهرج Harle-quin Complex ( والتي ترمز إلى الموت باعتباره أنثى عاشقة أو محبة ) في الأسطورة وفي أشكال أخرى من الأدب[1] . ورغم أن الدراسة المسحية للأدب التي قام بها كانت دراسة انطباعية الى حد كبير ، فقد وجدت بعض الشواهد على وجود هذه العقدة في مقابلات شخصية ودراسات حالة خاصة بنساء يحتضرن . وتتبع باحث آخر هو « أوجيليفي Ogilvie » أسطورة أخرى ، هي أسطورة « ايكارس » ( التي تدور حول التخيل الخاص بالطيران ) وذلك عبر خمسين جماعة من الجماعات البدائية ، وقام بالربط بين هذه الأسطورة وبين الممارسات الخاصة بتربية الأطفال في كل مجتمع . وقد وجد – من بين ماوجده – أن هذا النوع من التخيل كان مرتبطا ارتباطا سالبا مع وجود سمة السيطرة لدى

التي تهتم بها احدى المجلات واسعة الانتشار وبين انماط الشخصيات التي عرضها التليفزيون في سلسلة من اللقاءات الشخصية . وقد وجد ان الكتاب قد احتلوا المرتبة الثانية من حيث تكرار الظهور في التليفزيون ، بينما جاءت مهن جمالية ذات صلة ما بالكتابة في مراتب اخرى ، فقد احتل الممثلون المرتبة الأولى ، وجاء المغنون في المرتبة الثالثة ، والموسيقيون في المرتبة السابعة ، والفنانون التشكيليون في المرتبة التاسعة ، والراقصون في المرتبة الخامسة عشرة ، وعلى التوالي . ورغم أن المراتب الخاصة بهذه المهن الفنية كانت في التليفزيون أعلى من مثيلاتها في المجلة التي درست ، فإن الفروق العامة بين هذه المراتب في التليفزيون ، وفي المجلة ، لم تكن لها دلالة احصائية ، كما كانت الفترة الزمنية التي قامت هذه الدراسة بتغطيتها فترة أقصر من أن تسمح بالحكم على وجود اتجاهات عامة لهذه التفضيلات . على كل حال ، فإن التعميم من البيانات الخاصة بالتسويق ( بيع وشراء الكتب ) ومن البيانات الخاصة بوسائل الاعلام ، والانتقال بها واعتبارها صحيحة أيضا بالنسبة للخصائص المميزة للقارىء الخاص للأدب قد يكون أمرا مضللا . وقد تجلت هذه المخاطر على نحو واضح في دراسة قام بها « وابلس » ولم يجد فيها أية علاقة ( أى كانت العلاقة قريبة من الصفر ) بين مايقول الأفراد أنهم يقرأونه وبين مايقولون أنهم يحبون أن يقرأوه . وتشير نتيجة كهذه إلى الصعوبات الكامنة في الاعتماد على مايقوله الأفراد حول نشاط القراءة الخاص بهم ، وكذلك تلك الصعوبات الكامنة في الاعتماد على مؤشرات أقل مباشرة ، مثل قوائم اكثر الكتب مبيعا . وتوحي نتائج هذا الباحث أيضا بأن استجابات القراء وعادات القراءة لديهم تميل الى ان تنصاع او تتفق اكثر مع التوقعات الاجتماعية مثلما تميل الى ان تنصاع او تتفق ايضا مع العمليات النفسية النشطة . ويمكننا ان نجد في الكتاب الذي نشره « وابلس » وزملاؤه عام ١٩٤٠ مناقشة عامة حول القارىء ، تتضمن بعض البيانات التي تم جمعها من خلال استفتاءات أجريت على القراء .

**اختبار القارىء :**

تم الحصول على معلومات أكثر مباشرة حول القارىء من خلال استخدام الاختبارات . فاختبار « كارول H.A.Carrol » لتذوق النثر يقيس القدرة على التمييز بين الخصائص الأدبية المختلفة ، ومن خلال الاستخدام لأمثلة من النثر الجيد والنثر الرديء مأخوذة من مصادر أدبية مختلفة ، وقد قامت مجموعة من المحكمين الخبراء بتحديد الخصائص المميزة لهذه الأمثلة النثرية . كذلك أظهر « وايزجربر Weisgerler » أن فهما ما للأدب ( كما قيس من خلال اختبار للفهم ) يعادل من حيث الدقة عمليات التحديد للانفعالات كما تمثلها مجموعة الصور الفوتوغرافية . أما اختبار « جوردون » لتحليل القصة تحليلا مفصلا ، والذي يقوم على اساس القدرة على اعادة تنظيم الأجزاء المتناثرة او المقسمة من المقاطع النثرية ( أى الحكايات غير الأدبية ) ، فيقيس السهولة التي يستطيع الشخص ان يتعامل مع اللغة ، ويقوم بالتعامل مع الأفكار ، من خلالها . ويتم قياس

الخيال والذكاء من خلال اختبار قام « هارجريفز Hargreaves » بتصميمه ، ويتطلب هذا الاختبار إما إكمال إحدى القصص ، وذلك عندما يعطى الفرد الجملة الأولى فيه فقط ، أو أنه يتطلب تكوين قصة ما تدور حول كلمات قليلة يتم اعطاؤها للفرد . كذلك تم استخدام الاستجابة للمواد الأدبية في مجموعة من الاختبارات التي قدمها « لندكويست » و « بيترسون » لقياس القدرات العقلية . وقد قام « دوفي » بتطوير نظام ثابت لاعطاء الدرجات وذلك من اجل تقييم الشعر الذي يكتبه بعض الأطفال ، ويقوم هذا النظام على أساس سبعة مقاييس للتقدير ( منها مثلا : أنماط الموضوعات التي يكتبون عنها ، وجودة تنظيم للقصيدة ، والعمق الانفعالي ، واختيار الكلمات ) . وقد تم تحقيق الصدق الخاص بهذا النظام التقييمي من خلال أحكام الخبراء في هذا المجال .

تشتمل اختبارات عديدة من اختبارات الشخصية على مواد أدبية . وقد ذكر « موراى H.A.Murray » الكثير عن استخدام الباحث « دايفر Diver » للمقاطع الأدبية ، والشعر ، واللوحات التشكيلية ، كجزء من مجموعة اختباراته للشخصية . وقد شعر بأن أنماط الاستجابات لهذه المواد ـ والتي تتضمن مقارنات بين تقييمات الخبراء للكلمات ـ تكشف عن موضوعات دافعية وجوانب رمزية هامة في شخصية الفرد الذي يجرى البحث عنه . كذلك استخدم « جورهام Garham » عملية الاختيار لمعاني الأمثال من بين مجموعة من الاختبارات البديلة كأساس لاختبار المرض العقلي ( وكمقياس أيضا للاستعداد المهني وللذكاء ) واعتمد « باس Bass » على اختيارات الأفراد التي يقومون بها ، من بين البدائل المطروحة كتفسيرات لمجموعة من الأقوال المشهورة ، كاختبار تشخيصي للشخصية .

## تشخيص حالة القاريء :

يمكن استخدام المواد الأدبية بطريقة عيادية ( اكلينيكية ) . فقد قام « لندور » بفحص تحيزات المحللين النفسيين ، من خلال النظر اليهم باعتبارهم نمطا معينا من القراء للأدب ، وفي ضوء معالجتهم الخاصة « لشكسبير » وأعماله فيما يقرب من مائتي دراسة تحليلية نفسية . وقد كشفت التفسيرات الموجهة من خلال الانشغالات التحليلية النفسية الخاصة عن نفسها من خلال طرائق عديدة . فقد ظهر مثلا أن المحللين النفسيين قد اعطوا شخصية « شكسبير » نفسه ـ وبشكل غير متناسب ـ اهتماما اكبر من الاهتمام الذي وجهوه الى الموضوعات النفسية الموجودة في الأنماط المختلفة من مسرحياته ( أى المسرحيات التاريخية ، والمسرحيات الكوميدية ، والمسرحيات التراجيدية ) .

وعلاوة على ذلك ، فإن ماقام هؤلاء المحللون النفسيون بفحصه لا يتجاوز التراجيدية ( المأساوية ) هي التي حظيت بنصيب الأسد في هذه المعالجات ، فقد وجه حوالي ٧٥٪ من كل هذه الدراسات الى مسرحيات « هاملت » و « ماكبث » و « عطيل » و « الملك لير » كما

توجد مؤشرات أخرى على وجود اهتمامات محدودة لدى أصحاب هذه الدراسات : فقد وصلت نسبة الشخصيات المسرحية التي وجه اليها الاهتمام في هذه الدراسات الى ٦٪ فقط ، من بين العدد الكلي لشخصيات مسرحيات « شكسبير » ، والذي يربو عددها على الثلاثمائة شخصية . واتضح ايضا من هذه الدراسة ان حوالي نصف سمات الشخصية التي وجه اليها اهتمام واسع في هذه الدراسات كان متعلقا بالسمات ذات الطابع المرضي الخطير بشكل خاص . ويعكس هذا التجاهل لمسرحيات عديدة من مسرحيات « شكسبير » ولشخصيات عديدة من شخصياته ، وكذلك استبعاد ابعاد الشخصية السوية من دائرة الاهتمام ، ( وهي نزعات بحثية لم تتغير عبر الزمن ) يعكس كل هذا عادات قراءات ضيقة ومحدودة نسبيا لدى المحللين النفسيين . قام « ليدي Leedy » أيضا بجمع كتابات المحللين النفسيين حول فائدة قراءة الشعر في علاج العصاب Neurosis* ، على افتراض ان هذه الفائدة تعادل الأدوار العلاجية للفن التشكيلي ، والموسيقى ، والدراما في المواقف العلاجية ، ففي بعض طرائق العلاج النفسي المتميزة فقط يقوم المرضى بقراءة قصائد الشعراء المعروفين ، وأحيانا مايتم ذلك في مواقف جماعية .

وقرر « هارور Harrower » ان استخدام القصائد الشعرية بواسطة المرضى أنفسهم هو أمر يقل وجوده . وقرر « روكلاند Rockland » أمرا مماثلا خلال دراسته التي تتبع فيها تفضيلات أحد المرضى للأغاني الشعبية ، خلال مسار عملية العلاج الخاصة به . وأيًّا كان الاسلوب المستخدم في العلاج فقد ذكر أن الشعر يقدم تنفيسا مقبولا عن المشاعر ، ويؤدي الى زيادة الثقة في النفس ، وينتج عنه استبصارات تشخيصية مفيدة لدى المعالج . على كل حال ، فإن الدراسات المنظمة هي دراسات نادرة ، والعينات المستخدمة فيها هي عينات صغيرة ، كما انه نادرا ماتستخدم المجموعات الضابطة في هذه الدراسات ، إضافة إلى أن المعالجة الاحصائية للبيانات هي امر قليل الحدوث ( والأمر اللافت للانتباه ان الباحثين لم يناقشوا الفوائد التي يمكن جنيها من استخدام أشكال ادبية أخرى ، كالمسرحيات مثلا ) . وبدون أى إطار عملي ( امبيريقي ) سيكون من الصعب تحديد ما إذا كانت هناك فاعلية ما للشعر ( أو لغيره من الأشكال النثرية ) أم لا ، وسيكون من الصعب أيضا تحديد درجة هذه الفاعلية ، وكذلك الحال بالنسبة لتحديد العوامل المسئولة عن الآثار العلاجية المفترضة بالنسبة له ( وتصف هذه النقائص المنهجية حال تلك الجهود البحثية التي تمت في المواقف العلاجية واستخدمت مواد جمالية ) .

---

* العصاب هو حالة من الاضطراب في الشخصية او التفكير لا ترجع الى اى خلل عصبي ( متعلق بالاعصاب ) او عضوي معروف . ويلاحظ انه رغم هذا الاضطراب ومايصاحبه من أعراض قد تظل علاقة الفرد بالآخرين وبالبيئة في حدودها العادية كما يمكن ان يكون الشخص مستبصرا بحالته ويسعى نحو العلاج بعكس حالات الذهان او المرض العقلي . ومن امثلة العصاب : الوسواس القهري ، والاكتئاب ( الذي لا يرجع لأسباب عضوية ) والهستيريا ( المترجم ) .

ترتبط الدراسات التي أجريت حول توحد القاريء مع مايقرأه ( أو تقمصه له ) بالدراسات التي استخدمت الأدب كوسيلة لتشخيص الحالات النفسية . وقد جادل « أناست Anast » قائلا أن القاريء يتوحد مع أبطال خياليين ومع بطلات خياليات . وقام هذا الباحث بتحليل الشخصيات الشائعة (المشهورة ) في القصص التي تقدمها وسائل الاعلام ، واستنتج أن سمات هذه الشخصية كانت أمرا متمما ( أى مكملا ) لشخصية القاريء . ومن الممكن أن تؤيد دراسة « بارون » الفرض القائل بأن هذه الشخصيات الأدبية الخيالية تقوم بإكمال شخصية القاريء أو أن تؤيد الفرض القائل بأن هذه الشخصيات هي شخصيات مماثلة لشخصيات القراء(٣١) . فقد تم اعطاء الطلاب المبحوثين في هذه الدراسة مجموعة من الاختبارات بالطريقة المعتادة التي يتم اعطاء هذا الاختبار لهم من خلالها .

وفي ضوء تصوراتهم التي كونوها عن سمات الشخصية الخاصة بالأبطال المختلفين في عشرة من الأعمال التي قرأوها . وقد اشارت قدرتهم على القيام بهذا في ظل عدم وجود ضغوط واضحة إلى أن عملية التوحد تحدث فعلا ، لكن النتائج هنا لم تحدد ماإذا كان التوحد يحدث بطريقة أسهل مع الشخصيات المماثلة لشخصيات القراء أم مع الشخصيات المختلفة عن شخصيات القراء .

يستبعد هذا التنوع في الدراسات التي راجعناها في هذا الفصل ، أية محاولة للقيام بأى تأليف معقول أو تقييم كلي لهذه الدراسات . على كل حال ، فإن هناك تعليقات خاصة بهذه البحوث قد تم طرحها في الفصل الختامي من هذا الكتاب . ويشير عدم تجانس هذه الدراسات التي راجعناها إلى براعة الباحثين العمليين ، وإلى تنوع المشكلات السيكولوجية التي قاموا بربطها بالأدب .

# هوامش الفصل الثامن

1. D.C. McClelland, *The roots of consciousness* (Princeton, N. J.: Van Nostrand, 1964), pp. 182-216.

2. C. S.Hall, "Attitude toward life and death in peotry," *Psychoanalytic Review* 52 (1965): 73.

3. Ibid., p. 74.

4. Ibid., pp. 75-76.

5. Ibid., p. 79.

6. Early experimental studies of imagery to peotry, reviewed in the text, were carried out by J. E. Downey, "Literary self-projections," *Psychological Review* 19 (1912): 299-311; Downey, "Literary Syntesthesia," *Journal of Philosophy* 9 (1912): 490-498; Downey, "Emotional poetry and the preference judgment," *Psychological Review* 22 )1915): 259-278; E. A. Peers, "Imagery in imaginative literature," *Journal of Experimental Pedagogy and Training College Record* 11 (1914): 174-187; J. C. Hill, "Peotry and the unconscious," *British Journal of Medical Psychology* (1924): 125-133.
19 (1912)

7. C. W. Valentine, "The function of imagery in the appreciation of peotry," *British Journal of Psychology* 14 (1923): 164-191.

8. L. Dudley, *The study of literature* (Boston: Houghton-Mifflin, 1928).

9. C. S. hall, "Slang and dream symbols," *Psychoanalytic Review* 51 (1964): 42-43.

10. H. Gardner, "The development of sensitivity to artistic styles," *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 29 (1971): 515-527.

11. K. Hevner, "An experimental study of the affective value fof sounds in poetry," *American Journal of Psychology* 49 (1937): 434.

12. I. L. Child, "Aesthetics,"in *The Handbook of Social Psychology* 49 (1937): 434.

13. C. B. Williams, "Statistics as an aid to literary studies," *Science News* 24 (1952): 99-106.

14. W. J. Paisley, "Identifying the unknown communicator in painting, literature and music: The significance of minor encoding habits," *Journal of Communication* 14 (1964): 219-237.

15. Paisley, "The effect of authorship, topic, structure, and time of composition on letter redundancy in English texts," *Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior* 5 (1966): 28-34.

16. F. Mosteller & D. L. Wallace, "Interference in an authorship problem," *Journal of the American Statistics Association* 58 (1963): 275-309; E. B. Newman & L. J. Gerstman, "A new method for analyzing printed English," *Journal of Experimental Psychology* 44 (1952): 114-125; Newman & N. Waugh, "The redundancy of texts in three languages," *Information and Control* (1960): 141-153.

17. A review of the early use of nonliterary but meaningful prose is in M. S Lindauer, "The role of attitude and needs in the learning and retention of relevant meaningful prose." Unpublished paper, State College at Brockport, 1960. A classic example o the use of controversial prose material and how its learning a recall are affected by one's favorable or unfavorable attitudes dis found in J. M. Levine & G. Murphy, "Learning and forgetting of controversial material," *Journal of Abnormal and Social Psychology* 38 (1943): 507-515.

18. Child, in Lindzey & Aronson, 1969. ,

19. I. R. Stuart, "Personality dynamics and objectionable art: Attitudes, and opinions, and experimental evidence," *Journal of Art Education* 4 (1970): 101-116.

20. D. E. Berlyne, "Affective aspects of aesthetic communication," paper read at symposium, "Affect and Communication," ERvindale College, University of Toronto, 1971, pp. 19-22.

21. F. X. Barron, *Artists in the fmaking* (New York: Seminar Press, 1972), chap. 7.

# الفصل التاسع

# موجز واستنتاجات

أجاب المسح الذي قمنا به حول الروابط التصورية والمنهجية بين العلم ، وعلم النفس ، والأدب في الفصلين الرابع والخامس ، على العديد من الاعتراضات التي أثيرت منذ زمن مبكر ضد الدراسات الموجهة « امبيريقيا » نحو الأدب ، وجاءت مثل هذه الاجابات ايضا من مراجعتنا للدراسات الامبيريقية ( العملية ) والاجتماعية والنفسية للأدب وهي المراجعة التي قمنا بها في الفصل السادس والفصل السابع والفصل الثامن من هذا الكتاب . ويقوم الفصل الحالي بتلخيص هذه القضايا ، اضافة الى انه يقدم مبررات اضافية توضح ان تلك المقاومة الخاصة التي توضع أمام المعالجة الموضوعية للمادة الأدبية ، هي مقاومة لا مبرر لها ، كما يقدم هذا الفصل أيضا اقتراحات لتطوير العلاقة الامبيريقية ( العملية ) بين علم النفس والأدب .

## في الرد على الاعتراضات الأدبية :

نشأ عدم تعاطف نقاد الأدب مع المعالجة الامبيريقية للمواد الأدبية ـ إلى حد كبير ـ نتيجة لعملية خاصة من سوء التفسير للأغراض السيكولوجية . فالبحث السيكولوجي يقوم بالتمييز بين وظيفة الأدب كمصدر للمعرفة ، وبين وظيفته الأكثر شخصية وخصوصية والمتعلقة بمنحه استبصارات والهامات لطائفة من خاصة القراء له .

يتركز الاهتمام « الامبيريقي » على الجانب غير الشخصي من الأدب . فالدور الحدسي والخاص والأقل قابلية للتوصل من الأدب لا يمثل هما أوليا لعلم النفس . ومن ثم فلا تكمن نية علم النفس أو قصده في تحدي الأدب كفن ، ولا في اختزال القيمة الشخصية للأدب إلى « غفلية »* «Anonymity» العلم . ان مايحاوله علم النفس هو أن يترجم الفن ( لا أن يحوله ) بما يتناسب مع أغراض هذا العلم الخاصة . وهذه الأغراض الخاصة للعلم هي اغراض لا تتناسب الى حد كبير مع الأهداف الجمالية للفن ، أو مع دوافع المؤلف ، أو اهتمامات القارىء . ان مخاوف رجال الأدب في غير محلها : فالأدوار الخاصة بالأدب كفن ، وكخبرة جمالية ، ليست هي القضايا الأساسية لدى علماء النفس ، القضية الأساسية لديهم هي الأدب كمصدر للمعلومات والبيانات . كما ان البحوث الكمية حول المادة الأدبية لم يقصد بها ان تحل محل الصلاحية الكبيرة للتحليل الأدبي .

لايقوم التحليل الامبيريقي باستخدام أساليب بحثية محددة فقط لكنه يسأل ايضا اسئلة محدودة ايضا . ونتيجة لذلك ، لا تستطيع النتائج الموضوعية في علم النفس ان تكون شديدة التأثير او الجاذبية ، كما هو الحال بالنسبة للمصادر الأدبية التي تم اشتقاق

* الغفلية : كون الشيء غفلا ـ اى خاليا ـ من اسم صاحبه او مؤلفه ( المترجم )

البيانات الموضوعية منها . وباختصار ، فإن الدراسة السيكولوجية للجماليات لا تستطيع ان توفر او تفي بذاتها بالمحك الجمالي : فهي لا تقدم نفس النوع من اللذة او السرور الذي يقدمه الأدب للقارىء ، ولا تقدم نفس النوع من الالهام الذي يقدمه الأدب للناقد . وعلاوة على ذلك ، لا تعد كل انواع الأدب قابلة لتطبيق البحث السيكولوجي عليها ، ان ماهو قابل لهذا التطبيق هو فقط تلك القطاعات او الشرائح الادبية التي تتعامل مع مادة قابلة لأن تطوع ذاتها لعملية الشروع في البحث الامبيريقي . ومن ثم فليس من العدل ان نحكم على قيمة البحوث السيكولوجية للأدب من خلال القواعد غير المناسبة لها والخاصة بالمعايير الأدبية ، او الخاصة بعمليات التذوق الجمالية والشخصية . ان اهداف علم النفس هي اهداف اكثر تواضعا من اهداف الكاتب ، والقارىء ، والناقد .

لا ينبغي أن تقوم الأهداف المتواضعة لعلم النفس ، على كل حال ، بوضع المكانة الخاصة للأدب ، في منظور زائف ، حيث تحدث الآثار الشخصية ، والحدسية ، والالهامية للأدب بشكل نادر فقط ، ولدى عدد قليل جداً من القراء ، وكاستجابة لعدد قليل من الكتب العظيمة التي تظهر في كل جيل . فليس كل الأدب فنا ، بل إن الأدب العظيم هو غالبا أدب قصير الاجل* . وعلاوة على ذلك ، فإن العلم في أحسن حالاته ، هو كالأدب في أحسن حالاته ، يمكنه أيضا ان يقوم بتحويل الحقائق من أجل تكوين منظور جديد لدى الانسان حول ذاته وحول الطبيعة ، وكذلك إثارة حساسيته الخاصة لهذه الذات وهذه الطبيعة . لذلك فإن قضية « ستجنر » الجدالية . المعروضة في الفصل الثالث ، والتي تقيم تعارضات قوية بين المثل العليا للأدب ، والأهداف الأرضية للعلم هي قضية مبالغ فيها . فنادرا مايكون الأدب شديد التفرد ، والخصوصية ، والاثارة ، ومليئا بالاستبصارات بحيث يستبعد التحليل العلمي . ولا يعني الاقرار بخصوصية الأدب الاعتراف التام لحصانة الأدب المنيعة ضد التحليل الموضوعي . فالتأكيد على خصوصية الأدب والترحيب التام بالقول بأنه غير قابل للمس من قبل أصحاب المنحى الامبيريقي ، ليس شيئا ضد كل ماهو علمي فقط ، بل يعد ايضا شيئا ضد كل ماهو عقلي فكري ، شيئا ذا نزعة تشاؤمية في جوهره ، وذلك لأن القيام بهذا يعني وضع قيود على محاولات الانسان لمتابعة المعرفة واقتفاء آثارها .

ان هذا التأكيد على أن الأدب ليس مجالا مفتوحا لعمليات التعبير الكمي ، هو تأكيد غير مناسب ومتطرف أيضا . فالكثير من الجهد الخاص بالتحليل الأدبي يعتمد بشكل غير

---

* قد لا يوافق العديد من القراء والنقاد على هذا القول باعتباره غير متفق مع ماهو شائع عن بعض الاعمال الادبية الخالدة في كل حضارة ( المترجم ) .

مباشر على مفاهيم هي في جوهرها مفاهيم رياضية ، ومن هذه المفاهيم مثلا : الترتيب ، الوضع في فئات ، التصنيف . كذلك فإن الأشكال الشعرية هي وبطريقة ضمنية أشكال رقمية . وقد لاحظ « رانتا » أن العديد من المؤلفين ( منهم مثلا : « بو » ، و « ثورو » ، و « باوند » ) قد ناقش بشكل مفصل الخصائص الرياضية للأدب ، أو اعتمد بشكل غير رسمي وغير مباشر على مفاهيم احصائية . وعلى هذا الأساس ، دافع « رانتا » عن فائدة الاحصاء بالنسبة لنقاد الأدب ؛ حيث تقدم الأساليب الاحصائية وسائل لفهم العلاقات والأنماط المركبة في بنية وفي أشكال الأدب .

« إن المنهج هو ببساطة .. طريقة لمواجهة تلك التعقيدات الموجودة في الخصائص الفيزيقية ، سواء كانت سياقية أو بنائية ، والخاصة بأحد الأعمال ، وطريقة لجمع البيانات المطلوبة لتقديم تعبيرات وصفية حول تلك الخصائص ، والتي قد لا يمكن تقديمها بطريقة أخرى »(١) .

وينظر « رانتا » الى القياس باعتباره اجراء وصفيا وتقريريا يستطيع التفسير الأدبي والرأى الأدبي ان يتبعاه بطريقة أكثر سهولة . ومن اجل توسيع حدود الأنماط التقليدية للتفسير والتحليل الأدبيين ، قام « رانتا » بالحصول على الأعداد الخاصة بالعناصر المختلفة للنثر ( كالصور والأفكار الرئيسية والكلمات الأساسية مثلا ) واستخدم مدى واسعا من الوحدات ( منها مثلا : المقاطع ، والفقرات ، والحروف الكبيرة ، وعلامات الترقيم ) . وقد كان يشعر بأن المقاربة الكمية قد تكون مفيدة بشكل خاص في فهم الأشكال غير التقليدية والفريدة من الشعر الحديث ، وهو ذلك الشعر غير واضح المعنى بطريقة خاصة ( يحد من قيمة قضيته المطروحة هذه أنه أوصى باستخدام المقاربة الاحصائية مع وجود تصور ضعيف لديه أو ـ دون وجود أى تصور خاص ـ حول مايأمل المرء في أن يجده عندما يستخدم المرء مثل هذه المقاربة ، ومن ثم يبدو كثير من التحليل هنا وكأنه مضيعة غير ضرورية للوقت والجهد ) .

هناك جوانب متماثلة ـ غير الجوانب الكمية ـ في العلم والفن ( أنظر الفصل الرابع ) . وتشتمل هذه الجوانب على اشارتهما المشتركة الى الخبرة وإلى الملاحظة ، وأيضا على اعتمادهما المشترك على الأشكال المجازية من التعبير . وعلى الذاتية ، وعلى الابداع .

يكون نقاد الأدب في وضع له مايبرره عندما يتذمرون من ان الانشغال الزائد بالقضايا السيكولوجية ، وبالأساليب الموضوعية قد ادى بالبحوث الامبيريقية إلى تجاهل الحقائق الأدبية والتحليل الأدبي .

فمعظم الدراسات السيكولوجية حول الأدب قد وجهت ، في حقيقة الأمر ، بدرجة أقل نحو قضايا الأدب ومحتوياته مقارنة بتوجيهها الأكبر نحو الموضوعات السيكولوجية التقليدية الخاصة بالشخصية ، والابداع ، وعلم النفس الاجتماعي ، والتفكير . وقد وجه اهتمام قليل نسبيا الى سيكولوجية الكتابة الابداعية ، وإلى المضمون الأدبي ، وإلى استجابات القراء . وترتب على ذلك ، أنه أصبح ماهو موجود هو مجرد بداية فقط في المجال الخاص بدراسة الأسئلة الجمالية الحاسمة مثل : لماذا يقرأ المرء ؟ ماالأدب الجيد ؟ كيف تنشأ العملية الابداعية في الأدب ؟ وهل الحقائق التي يشتمل عليها الأدب حقائق صادقة ؟ . وتتضح هيمنة الاهتمامات السيكولوجية ، لا الجمالية ، في تلك الدراسات المتنوعة التي قمنا بمراجعتها في الفصلين السابع والثامن من هذا الكتاب . على كل حال ، فإن صلاحية الأدب لأن يستخدم في علم النفس ينبغي ان تتزايد في نهاية الأمر مع تزايد النضج في انشغال علم النفس بالأدب . وفي النهاية سيحدث نوع من التبادل المتوازن والمتصل للأفكار والبيانات والاستنتاجات بين الأدب وعلم النفس ، مما سيترتب عليه مزايا واضحة لهذين المجالين .

هناك شكوى أخرى لها مايبررها يطرحها نقاد الأدب وفحواها أن البحوث السيكولوجية في مجال الأدب تتصف بكونها ليست جهودا امبيريقية متواصلة ومنظمة ومركزة حول مشكلة واحدة : فليس هناك ماهو أكبر من مجرد بدايات غير متطورة للنظرية . ان مانجده ، بدلا من ذلك ، هو تلك الجهود البحثية الامبيريقية المؤقتة او غير الحاسمة والتي تتميز بالتجميع لمناهج البحث المناسبة ، والحذر الواضح في طرح الفروض ( ان وجدت هذه الفروض ) .

وكي تحدث عمليات تقدم تقنية ( فنية ) ، ونظرية ، ومتعلقة بالحقائق ينبغي أن يصبح علماء النفس أكثر انهماكا في المادة الأدبية ، ولن يمكن ان يحدث ذلك مالم يظهر علماء النفس تقبلا للموضوعات الواقعية الأقل صرامة والتي تتعامل مع الأحداث أو الوقائع الشعورية . وتتضح هذه المعضلة عندما ننظر الى الحالة القوية للنظرية والبحوث في مجالات سيكولوجية وثيقة الصلة بمجال الأدب ، الا وهي مجالات الفكاهة واللعب والانسان الضاحك* ، والأمر المثير للدهشة أنه قد تم ربط القليل من هذه الموضوعات بالأدب ، رغم وجود العديد من الجوانب المتماثلة بينها وبين الأدب[٢] . ان مايجده المرء هو تلك الوفرة من النظريات القابلة للاختبار ، ومن الفروض ، ومن الدراسات ، لكن هذه الموضوعات تظل - رغم كل شيء - موضوعات مهملة داخل مجال علم النفس التجريبي ، وذلك بسبب الذاتية الخاصة بهذه الموضوعات .

---

* يشير المؤلف هنا الى دراسات العالم الكندي - برلين - الجديرة بالاهتمام في هذه المجالات ( المترجم ) .

هناك مبرر آخر في كون مقاربة علم النفس للمادة الأدبية تظل غالبا مقاربة غير مرتبطة بالأدب إلا بطريقة غير مباشرة ، ويتمثل هذا المبرر في أن مقاربة علم النفس للأدب تبدأ بعلم النفس وتركز عليه ، بدلا من بدايتها من الأدب أو تركيزها عليه . وتنشأ هذه الأولوية في الاهتمامات من ذلك الاعتقاد الذي مفاده ان قضايا الأدب ( أو اى موضوع تطبيقي آخر ) يمكن الاجابة عليها بشكل أفضل من خلال قاعدة سيكولوجية . وقد تم افتراض أن التطبيقات الخاصة لعلم النفس ستحدث بنجاح أكبر إذا كانت قائمة على أساس من المبادىء الجوهرية في هذا العلم . ويعتبر هذا الافتراض الاستراتيجي . وكذلك المزايا المصاحبة للتعامل مع قضايا « خالصة » ( أو محضة ) مرتبطة به ، مفسرا لذلك التوجه الخاص الذي يحاول أن يجعل من الأدب أمرا مناسبا لعلم النفس ، بدلا من أن يجعل من علم النفس شيئا مناسبا للأدب ، ومن ثم يبدأ المرء ـ من خلال هذا التوجه ـ بالقضايا السيكولوجية وليس بالقضايا الأدبية ، وهكذا فإننا نجد أن البحوث السيكولوجية حول الأدب قليلا ماتبدأ بالتحليلات الأدبية ، وكثيرا ماتبدأ بالنظرية السيكولوجية ، وهو هدف يبدو مبررا علمياً ، وأكثر قابلية للتحقيق أيضا .

وهكذا ، فإن الأمر الحقيقي هو أن علم النفس يحتاج إلى أن يعرف الكثير حول التحليل الأدبي ، ويحتاج أيضا ـ على الأقل ـ إلى أن يدرك الكثير من الاحتمالات البحثية الكامنة في الأدب . ومع ذلك ، فإن الأمر الحقيقي أيضا ، هو أن هؤلاء الذين يقيمون في دائرة الأدب يحتاجون إلى معرفة الكثير عن علم النفس أيضا . فالتصورات الأدبية حول علم النفس هي تصورات قديمة الطراز بشكل عام ، وهي محصورة إلى حد كبير في الإطار التحليلي النفسي التقليدي وفي إطار علم النفس الاستبطاني* ، وفي السلوكية القديمة . لقد كتب « نيكسون » و « ريتشاردز » العملين الرئيسيين الذين حاولا بشكل جاد جعل علم النفس العام مناسبا للأدب ، وذلك في العشرينيات المتأخرة من هذا القرن . ولم يظهر أى عمل حديث ، بعد ذلك ، يمكن مقارنته بهذين العملين في سعة مداهما . ولهذا فإن مانجده فيما يتعلق بالمضمون السيكولوجي في معظم الدراسات النقدية هو نكهة الماضي وإشارات الى الجهود التاريخية القديمة وليس الجهود البحثية المعاصرة . ويبدو أن نقاد الأدب ، وإلى حد كبير ، غير واعين بقيمة التحليل الاحصائي والتحليل من خلال الحاسوب ( الكومبيوتر ) لبنية اللغة ومضمونها . فلم يقم هؤلاء النقاد بدراسة التعبير الأدبي بشكل جاد من خلال مناهج بحث محكمة تقوم على اساس طرائق امبيريقية وكمية .

* اشار الى علم النفس لدى « فونت » في القرن التاسع عشر والذي كان يعتمد على طريقة الاستبطان في دراسة العقل الانساني . ( المترجم )

ويعكس الرفض الموجود لدى المشتغلين بالأدب للطرائق الكمية وللبحوث الامبيريقية اتجاها أدى الى نتائج تربوية سلبية عديدة قد ترتب عليه . وتشير المقارنة السطحية بين تعلم الفن وتعلم اللغة والأدب الانجليزي الى غلبة القصد الخاص بالجهود البحثية خلال العملية الخاصة بتبني التربية الفنية والتذوق الفني فقط . ومن ثم أمكن لـ « ماتشوتكا Matchotka » أن يتحدث عن تطبيق مباديء التعلم في مجال التربية الفنية ( التشكيلية ) فقط . فهناك القليل الذي يمكن ذكره في المجال التربوي الخاص بالأدب الانجليزي ، مقارنة بالتوجه التطبيقي والتقني والتاكيدات والانجازات الموجودة في المجال التربوي للفن التشكيلي . وربما ، بسبب هذه الجهود المتنوعة والمركزة ، يمكن للمرء ان يجد مقررات دراسية عديدة حول تعليم الفن او التربية الفنية في الصفوف الدراسية المبكرة مقارنة بالعدد القليل جدا من المقررات التي تقدم حول التربية الادبية ، ومن ثم فإن مايتم هو التاكيد على مهارات النطق والتهجي والمفردات اللفظية والانشاء ، في مقابل الاهمال لقراءة او كتابة قصة او قصيدة . وعلى نحو مماثل ، فإن الهاوي للفن التشكيلي يجد العديد من الفرص للتعبير عن اهتماماته ، سواء من اجل المتعة ، او العلاج ، اكثر مما يجد الهاوي للأدب . كذلك فإن الفرص النسبية غير المهنية المتاحة امام الافراد لقراءة أو كتابة الأدب هي مرحلة قليلة ، وغالبا ماتكون المقررات الدراسية المناسبة مقصورة على أصحاب المستويات المتقدمة أو متاحة فقط لهؤلاء الطلاب الذين كشفوا عن مستوى الحد الأدنى من الموهبة أو المهارة . وهناك نتيجة ممكنة أخرى مترتبة على سذاجة المعرفة التقنية بالأدب ، وتتمثل في ندرة استخدام القراءة والكتابة في الموقف العلاجي ، مقارنة بالاعتماد الشائع على الفن التشكيلي في الأغراض التشخيصية والعلاجية .

**في الرد على اعتراضات علم النفس :**

تعتبر مقاومة علماء النفس للامكانات الموجودة في الأدب مقاومة غير مناسبة ، مثلها في ذلك مثل مقاومة المشتغلين بالأدب لعلم النفس . ويبدو معظم علماء النفس وكانهم غير واعين بالروابط الممتدة الموجودة بين علم النفس والأدب ، سواء كانت هذه الروابط روابط تصورية ، أو كانت ( بدرجة اقل ) روابط امبيريقية ( عملية ) . ويبدو أن علماء النفس يجهلون تلك المزايا التي يمكن ان يجنيها علم النفس من دراسته للأدب ، وخاصة مايتعلق من هذه الفوائد بالموضوعات السيكولوجية الانسانية والخاصة بالخبرة .

لقد فشل علماء النفس ، مثلهم في ذلك مثل نقاد الادب ، في التمييز بين الأدب كأمر شخصي ممتع ( أو مسلي ) وبين الأدب باعتباره مصدرا للبيانات غير الشخصية . فلم يتعرف هؤلاء العلماء على الامكانات الأصيلة الموجودة في مضمون الادب وفي الاستجابة له ، وهي تلك الامكانات التي يمكن أن نأخذ من خلالها العديد من الحقائق والتحليلات

والفروض ، وليس مجرد مواد توضيحية فقط . لم يضع هؤلاء العلماء الأدب في اعتبارهم ، باعتباره نوعا من البيانات التي يمكن بحثها امبيريقيا مثلها في ذلك مثل اى نوع آخر من البيانات . وبدلا من ذلك ، قام هؤلاء العلماء بتاكيد المشكلات الخاصة بالتحليل الأدبي ، دون ان يتعرفوا على أن مثل هذه المشكلات من الممكن ان توجد في العديد من النماذج المقبولة فعلا ، والتي يتم اجراء العديد من البحوث على الحيوان ، وفي المعمل ، من خلالها .

لم يكن علماء النفس مقاومين لاستخدام البيانات المرضية ( الباثولوجية ) القادمة من العيادات النفسية ، وهي تلك البيانات التي تم اعتبارها ( مع بعض التحفظات ) مصدرا مشروعا للدراسة ، رغم انها تمثل ايضا شكلا فريدا من اشكال البيانات . ويمكن اعتبار موضوع دراسة الكتاب والتأثيرات الخاصة لأعمالهم على أحد القراء موضوعا يقع عند الطرف الآخر الخاص بالسواء ، وهو الجانب الايجابي على البعد ـ أو المتصل ـ الكمي الذي يمتد من المرض النفسي ( الجانب السلبي ) الى السواء النفسي . وتخدم النهايات المتطرفة للبعد ، سواء كانت سلبية أو إيجابية . في التوضيح والتمثيل الفعال للعمليات والوقائع التي تقع في المنطقة الوسطى غير الواضحة من المنحنى الاعتدالي* والتي يقع عندها ـ أي هذه المنطقة الوسطى ـ معظمنا .

ويخدم القطبان ( أو الطرفان ) الخاصان بالبعد أو المتصل الكمي باعتبارهما مصدرين غير عاديين ـ ولكنهما مع ذلك مصدرين مناسبين ـ للحصول على المعلومات حول العمليات النفسية العادية . على كل ، فإن النهاية المرضية وليست النهاية الابداعية من هذا البعد الكمي هي التي تلقت معظم الانتباه .

قد تقوم تلك المنزلة الخاصة التي يحتليها الادب كمصدر للبيانات في علم النفس مقارنة بالمصادر الأخرى للبيانات الخاصة بهذا العلم ، بالتعويض عن بعض جوانب القصور الملازمة لجذور الأدب غير المتسمة بالصرامة . حيث يشير الأدب بشكل موسع ، ويعتمد على سمات انسانية مميزة خاصة بالوعي والخبرة . وقد كان اهمال علم النفس المعاصر لهذه الجوانب شديدة الاثارة للاهتمام والاهمية من السلوك الانساني هو القاعدة التي قام من خلالها علماء النفس اصحاب الاتجاهات الانسانية بطرح تقييمهم المتشائم وغير المشجع للمجال : حيث يمكن لدراسة الأدب أن تقدم اضافة سارة ومجددة لذلك

---

* المنحنى الاعتدالي . هو منحنى يصف احتمالية التوزيع المتوقع نظريا عندما يتم سحب العينات من جماهير كبيرة جدا . ويفترض . مثلا . وفقا لهذا المنحنى . والذي لا يصدق في حالات كثيرة . انه اذا اخذنا عددا كبيرا من الافراد وقمنا بتوزيعهم او تقسيمهم وفقا لمستويات ذكائهم وقمنا برسم منحنى لهذه المستويات . فاننا سنجد عددا قليلا من الافراد مرتفعي الذكاء عند احد اطراف المنحنى . وعددا قليلا مماثلا ايضا عند الطرف الآخر الخاص بالمتاخرين او المتخلفين عقليا . بينما نجد ان معظم الافراد يوجدون في منتصف المنحنى او المنطقة الوسطى منه وهي منطقة متوسطي الذكاء ( المترجم ) .

الاعتماد التقليدي على المشكلات والمواد والاستجابات البسيطة . وقد يساعد « علم نفس الأدب » القابل للنمو والتطور في فك قيود تلك القوى التاريخية التي قامت بتقييد ارتقاء علم النفس ، وتشتمل هذه القيود على تلك التصورات المتصلبة والذرية التي نظرت الى الانسان في ضوء المنبهات والاستجابات فقط . لقد كانت تلك القيود القاسية والضيقة ، المفروضة على موضوع البحث مناسبة ، فقط ، في ذلك الوقت الذي كان علم النفس يناضل فيه لاثبات وجوده كعلم . دعنا نأمل أن تحل الآن روح بحثية ومنهجية أكثر استرخاء وتحررا محل ذلك البحث القديم عن المكانة . ان الدراسة الامبيريقية للأدب ستمثل اضافة - وليس انتقاضا - الى مكانة علم النفس كعلم انساني .

قد يظل العديد ممن يعترفون بالاسهام الممكن للأدب في علم النفس يشعرون بأن الصعوبات المنهجية الموجودة في الدراسة الموضوعية له قد تفوق أية مزايا يمكن الحصول عليها من هذه الدراسة . على كل ، فإن القول الذي مفاده أن محاولة ربط الأدب بعلم النفس يتضمن مشكلات خطيرة هو مجرد جانب واحد فقط من هذه القضية ، اما الحجة القائلة ، نتيجة لذلك ، بأنه ينبغي التخلي عن هذه المحاولة فهي مسألة أخرى تماما . حيث يمكن تقييم علم نفس الأدب فقط في ضوء ثماره الخاصة في علم النفس وفي الأدب ، وفي ضوء البيانات ، والفروض ، والنظريات التي ستنشأ عنه في نهاية الامر . ولا يجب أن تكون التحريمات المسبقة ( أو حتى المزايا المسبقة ) هي القاعدة التي يعتمد عليها في تقييم هذا المجال . فرغم هذه الصعوبات ، قامت دراسة الادب من خلال اتجاهات امبيريقية - موضوعية - كمية - ببداية ذات معنى ومليئة بالوعود الكثيرة . ويجب أن يعطى الوقت الكافي الآن للدراسة السيكولوجية للأدب كي تثبت نفسها من خلال انجازات ملموسة . ان عدد المناقشات التي طرحت حول فائدة الادب يفوق عدد البحوث الموضوعية التي اجريت فعلا . ولو كان قد تم البدء والانجاز لمجهودات بحثية ملموسة اكثر ، بدلا من الحجج الجدالية الاضافية المطروحة ، وبدلا من التبريرات والمواعظ ، لكانت عملية خدمة هذين المجالين قد تمت بشكل أفضل .

لا يتعلق المبرر الرئيسي لندرة البحوث السيكولوجية للأدب بدرجة كبيرة بالافتقاد الى الارادة من جانب الباحثين ، بقدر تعلقه بغياب الوسائل المناسبة لتنفيذ مثل هذه البحوث ، فهناك نقص خطير في الأساليب المنهجية المناسبة والمتقنة والتي يستطيع الباحثون من خلالها الفحص الامبيريقي للمواد الأدبية . فتطوير وتهذيب الطرائق البحثية المناسبة هو أمر ضروري تماما اذا كان علينا ان نتعامل مع المضمون المرهف والخصب للأدب بطريقة تتسم بالكفاءة ، وإذا كان علينا ان نترجم هذا المضمون الى تحليل سيكولوجي ذي معنى . ويعتبر الاسلوب الرئيسي في الدراسة الأدبية ، وهو تحليل المضمون ، اسلوبا غير كاف

كأداة بحثية كاملة ، رغم أن هذا الاسلوب قد اظهر فائدته في اثبات ان المادة الأدبية هي مادة قابلة للتحويل إلى شكل كمي . ورغم ان طريقة « المميز الدلالي » لدى « اوسجود » و « تاننباوم » هي طريقة أكثر ثقلا وقوة من الناحية الاحصائية مقارنة بأسلوب تحليل المضمون ، ـ كأداة وصفية ـ فإنها تتضمن مخاطر خاصة تنشأ عن الاستخدام الزائد لها ، والاعتماد المبالغ فيه عليها . حيث تفشل الأوصاف او التوصيفات الأدبية ، والتي تؤكدها الطرائق البحثية السابقة بدرجة كبيرة ، في أن تتشبث ، او تمسك بإحكام ، بتلك القضايا الخاصة بتأثيرات الأدب والنتائج المترتبة عليه ، فبدون التحليل الاضافي ، لن تستطيع هذه الطرائق ان تكشف وظيفيا عن اسباب الكتابة والقراءة والعوامل المتعلقة بهما ، او عن عمليات التذوق للأدب . ومن أجل هذه الأغراض التحليلية ، فإن مناهج بحث وتصميمات بحثية أخرى هي من الأمور المطلوبة .

## توجيهات للبحوث

إذا كان من الواجب تطوير « علم نفس الادب » القابل للتقبل بشكل متبادل من العاملين في مجال الادب وعلم النفس فينبغي تشجيع خبراء الأدب على تقديم اسهامهم الخاص في البحوث النفسية . ويمكننا أن نعتبر الطلاب الدارسين للأدب مجموعة تشكل مادة بحثية واحدة يمكن الاعتماد عليها ، وهي مجموعة كثيرا ماتم الاعتماد عليها في البحوث التي أجريت على الفنون الأخرى . وكما لاحظ « بارون » فإن « المكان الذي ينبغي ان نبدأ منه هو مع البادئين »[3] . وذلك لأن الأفراد المشاركين في هذه الدراسات والذين يمكن ان يتوفر لديهم قدر من المعرفة بموضوعها ، من الممكن ان يساعدوا في تحويل الأدب الى تعبيرات مجردة وفي هذه التعبيرات في فئات معينة أيضا ، كما يمكنهم تقديم التحليل الضروري لمضمون الأدب وبنيته ، والذي يمكن ان تبنى البحوث النفسية عليه . ويمكن أن يقوم خبراء الأدب بتوجيه الانتباه مؤكدين مناسبة الأدب وصلاحيته للموضوعات النفسية الرئيسية وأن يقترحوا أيضا تلك الأبعاد الأدبية التي يمكن ان يوجه اليها الانتباه « الامبريقي » بطريقة مناسبة .

وتشتمل الاسهامات التي يقدمها المشتغلون بالأدب للبحوث النفسية على تحليلات للمؤلفين ( شكسبير مثلا ) وعلى تعليقات على العمليات المعرفية ( الصور العقلية مثلا ) وعلى ملخصات لوجهات النظر حول الدوافع انماط الشخصية الموجودة في الأدب ( كما فعل « نيكسون » و « اشمون » ) . وهناك أبعاد أخرى خاصة بالتحليل الأدبي ، مازالت تحتاج للتطوير ، وهي ابعاد لو أخذ خبراء الأدب على عاتقهم مهمة تطويرها ، لكان من الممكن التأكد منها موضوعيا والامتداد بها الى مجال البحوث السيكولوجية .

وتشتمل الاحتمالات هنا على التعبيرات الدقيقة والمليئة بالمعلومات حول آثار الفترات والأنماط المختلفة من الأدب على القارىء ، وحول المقارنات بين أشكال التعبير الأدبي في البلدان المختلفة ، وحول الاستنتاجات الخاصة بالدوافع والانفعالات التي نجدها بشكل نمطي غالبا في الأدب الخاص بفترات زمنية مختلفة .

هناك أدوار أخرى يمكن ان يقوم بها خبراء الادب في البحوث النفسية ، وذلك لأنه يتوفر لديهم معرفة خاصة بالمواد الادبية ، تتسم بكونها أساسية ومألوفة ، وقابلة للتنشيط . فيمكن الاعتماد عليهم في الدراسات النفسية ، إما كمحكمين للمادة الأدبية أو كمبحوثين مشاركين في البحوث . وقد تقدم لنا عملية الاستفادة من المجموعة الخاصة من خبراء الادب ، كمبحوثين ، اجابات قابلة للقياس وتتسم بالثبات وتتعلق بتلك الأسئلة الجوهرية الخاصة حول عمليات التفضيل وغير ذلك من الخصائص المتعلقة بأعمال وبمؤلفين مختلفين ، وهي اسئلة كانت دائما مايتم النظر اليها باعتبارها امرا مفروغا منه ، أو أن يتم الاجابة عليها بشكل حدسي ، من خلال عدد قليل من الباحثين ذوي المكانة العالية في المجال . وقد تقدم لنا البيانات المأخوذة من مجموعة من المبحوثين المتخصصين ، توصيفات معيارية ، ومعلومات مقننة ، وفئات راسخة حول مضمون ، وبنية ، واسلوب الادب . وقد تكون مثل هذه البيانات مفيدة ايضا في صياغة المشكلات والفروض الخاصة بالبحوث التالية . وعلى سبيل المثال ، فإن مجموعة من البيانات المأخوذة من مجموعة محدودة - لكنها معروفة - ومضبوطة من المبحوثين من الممكن حساب الارتباط بينها لتوضيح العلاقة بين التفضيلات الأدبية ، وبين العمر ، والنوع ( ذكر - انثى ) ، وأنماط الخبرة ، والخلفية الاجتماعية والشخصية . وإضافة إلى ذلك ، فإنه وخلال النماذج التجريبية من البحوث ، من الممكن ان تقدم التعبيرات الوصفية حول الأدب ، والتي تم الاتفاق الجماعي عليها ، متغيرات معروفة وملموسة وإجرائية ، ومن ثم قابلة للمعالجة ، خاصة بالمنبه الأدبي ومفيدة في دراسة التأثيرات الأدبية المفترضة ، ومن ذلك مثلا دراسة تأثيرات انماط المواد الأدبية والتي تؤدي الى احداث اعظم متعة ممكنة ، أو التي ينتج عنها أوضح فهم ممكن ، أو التي تستثير أعلى درجات التوتر . وقد تتزايد قوة الاجراءات التجريبية الى المدى الذي يمكن عنده معرفة الخصائص الأساسية المميزة للمبحوث وتضمينها أيضا في البحث .

أجريت دراسات جمالية عديدة على خبراء في الفن وعلى طلاب يدرسون الفن . فمن الممكن ان تكون نتائج مثل هذه الدراسات قابلة للتطبيق على القضايا الفنية ، مادامت - هذه الدراسات - تستعين بعينة فنية . وتشتمل الدراسات المناسبة هنا على دراسة « جيتزلز » و « شانتجميها » والتي قاما فيها بالمقارنة بين آراء مجموعة من خبراء الفنون

التشكيلية ومجموعة من غير الخبراء بالنسبة لمجموعة اللوحات الفنية . كذلك قام « كلاين » و « سكاجر » باختبار قضية ماإذا كان خبراء الفنون يستطيعون التمييز بين الفن التشكيلي التلقائي والفن التشكيلي المتعمد ، وقام « جيتزلز » و « شانتجميها » في دراسة أخرى بحساب الارتباطات بين سمات الشخصية والقيم الفنية الموجودة لدى طلاب الفنون وبين الخاصية الابداعية لأعمالهم الخاصة . وحصل « ويلسون » على تقديرات خاصة قدمها خبراء الفنون التشكيلية ، وطلاب الفنون التشكيلية وعامة الناس ، للوحة « الجيرنيكا » لـ « بيكاسو » ، وذلك كي يقوم بتوضيح الآثار الناشئة عن التدريب والخبرة . واخيرا ، فإن « بيل Feet » قد قام بالفحص المنظم للفروق الفردية في عمليات التذوق المتعلقة بأنماط مختلفة من الفنون التشكيلية . ان مثل هذه المقارنات الخاصة ، والتي تجرى بين أنماط مختلفة من المبحوثين وفيما يتعلق بأنواع مختلفة من الأعمال الفنية التشكيلية ، يمكن اجراؤها بالنسبة للمواد الأدبية كذلك . وبينما قد تقوم النتائج بتأكيد ماهو موجود عند مستوى الفهم الشائع ، فإنها قد تكشف ايضا عن بعض النتائج المثيرة للاهتمام والدهشة ، كما كان الأمر في حالة الفنون التشكيلية .

هناك ايضا بعض القرارات الضرورية التي ينبغي اتخاذها فيما يتعلق بالأنماط الأدبية الأكثر مناسبة للدراسة . فالأعمال الباقية ذات الجدارة الأدبية هي التي تبدو أكثر مناسبة للبحث السيكولوجي ، وليس تلك الأشكال الأكثر شعبية وسريعة التلاشي والتي قام العلماء الاجتماعيون بالتركيز عليها بشكل اساسي في دراساتهم ( وهي التي تكون غالبا من اكثر الكتب مبيعا ، ومن القصص التي تعرضها وسائل الاعلام ) . فالأعمال الأدبية الكلاسيكية ، والأعمال الادبية المعيارية أو النموذجية ، والأشكال الادبية الأخرى المعترف بها وذات الجدارة الثابتة ، وكما حكم الخبراء عليها بذلك عبر الزمن ، وبشكل متسق ، هي الأكثر احتمالا في أن تزودنا بمعلومات حول العمليات والسمات النفسية العامة والسائدة ، كما أن صدق مثل هذه الأعمال هو أمر قد تم التثبت منه من خلال التقبل المستمر والثابت لها من خلال مجموعة من القرّاء المثقفين . وعلى عكس علماء الاجتماع الذين يهتمون بأكثر الأعمال الأدبية مبيعا ، باعتبارها تعكس مجموعة من القوى الخاصة بجماعات المجتمع ومؤسساته ، فإن علماء النفس يكونون أكثر اهتماما بإشارة الأدب الى العمليات الفردية الموجودة لدى الانسان ( ومن هذه العمليات مثلا : الدافعية ، والانفعال ، والشخصية ، والمعرفة ، والادراك ، والخيال ) . وسواء وجدت هذه العمليات لدى مبدع العمل ، أو لدى شخصياته المتخيلة ، أو لدى قارىء هذا العمل . يقل الاحتمال في الأعمال الادبية الكلاسيكية ، على عكس الأعمال الأدبية الشعبية والقصص التي تعرضها وسائل الاعلام ، في أن تكون مقيدة بالأنماط المتغيرة من الأحداث الاجتماعية .

عندما يتم اختيار النمط الادبي الذي ستجرى عليه الدراسة ، ينبغي تحديد خصائص المنبه الأدبي بطريقة تجعل من الاجراءات الخاصة بالتعامل معه أمرا مناسبا . وهناك استراتيجية مستخدمة في علم النفس بشكل عام ، وتتمثل في تبسيط المنبه . وفي الفن التشكيلي كثيرا ماتم الاعتماد على الأشكال غير ذات المعنى . ويعني هذا بالنسبة للأدب ، وعند الحد المتطرف من هذا الاجراء ، التوليد ( من خلال المعادلات أو الكومبيوتر ) لمقاطع صماء ( غير ذات معنى ) ذات خصائص وصفات معروفة ، ثم يتم التعامل معها بعد ذلك باعتبارها مناظر للغة العادية . وتتمثل الخطورة الكامنة في مثل هذه الطريقة ، المبالغة في التجزيئية الاختزالية ، في ان النتائج التي تقوم على مثل هذه المنبهات المبسطة والمصطنعة ، قد لا تعد مناسبة بالنسبة للجماليات . ويقع أحد الحلول الوسطى لهذه المشكلة في ذلك الحد المحصور بين المتطلبات الواسعة للصلاحية الأدبية ، وبين التحديدات الضيقة لمناهج البحث المضبوطة ، ويقوم هذا الحل على اساس استخدام اشكال ادبية قصيرة كالشعر والمقتطفات الأدبية . فحيث أن مثل هذه الوحدات الأدبية ذات المعنى تكون مختصرة أو موجزة ، فإنه يمكن التعامل معها اجرائيا وكميا بطريقة مناسبة . وقد تفي عملية استخدام مواد صغيرة ، لكنها أدبية رغم ذلك ، بالغرض الأساسي الموجودة في الاستراتيجية الاختزالية التجزيئية ، ألا وهو الضبط ، دون أن يتضمن ذلك تضحية بالخصائص الجمالية والأدبية الأساسية . ووفقا لـ « لندور » فإن مثل هذه الاستراتيجية ، قد تكون وسيلة لتحرير الجماليات التجريبية ، وذلك لأنها ستكون أقل حاجة الى الاعتماد على مواد غير جمالية .

من الممكن ان تتحرك قوة الدفع البحثية النفسية في مجال الأدب في اتجاهين كبيرين . وتتمثل المقاربة الأقل شيوعا في أن نبدأ من خلال موضوعات نفسية رئيسية ، قام الأدب ، أو التحليل الأدبي ، باقتراحها فعلا . وهنا قامت البحوث النفسية بالتضخيم والامتداد والاثبات للقناعات والقضايا والتأكيدات التي أثيرت فعلا في مجالي الجماليات والأدب . وعلى سبيل المثال فإن دراسة « لندور » حول الأفكار أو الصيغ المبتذلة أو الشائعة cliches قد أثيرت لديه أصلا نتيجة مزاعم البلاغيين القائلة بأنه يتم ادراك مثل هذا الشكل من التعبير الأدبي باعتباره بلا معنى ، وان استخدامه يشير الى حالة من فقر التفكير لدى الشخص المستخدم له . اما المقاربة الأكثر نمطية أو شيوعا ، ربما بسبب ندرة ماقدمه خبراء الأدب من تحليل ذي معنى نفسي ، فتتمثل في البدء بمفاهيم نفسية ، ثم الامتداد بهذه المفاهيم الى المواد الأدبية ، ومن الأمثلة الكبيرة على هذه المقاربة مانجده في بحوث « ماكليلاند » حول « دافعية الانجاز » ، وأيضا ذلك الدور التوضيحي الذي يلعبه الأدب بشكل خاص في الدراسات التحليلية النفسية ، وقد أدت اسبقية هذه الاستراتيجية

البحثية الى وجود اهتمام عابر فقط ـ وعن طريق المصادفة ـ بالأهداف الجمالية والأدبية . ونتيجة لذلك أصبح من النادر ان يجد المرء حدوث ربط مناسب بين القوة الدافعة أو المحصلة الخاصة بالبحوث « الامبيريقية » ، من ناحية ، وبين الأدب وعلم النفس من ناحية اخرى ، وربما تتمثل هذه الندرة التي يمكن ان تفي بالغرض هنا ، في دراسات « المكانة » ودراسات « الصور العقلية » . ان الاعتماد المتزايد على خبراء الأدب ، والذين ناقشنا أنفا اسهامهم الممكن في البحوث ، قد يساعد في استعادة التوازن الخاص ، والذي يجمع بين مزايا اهداف هاتين المجموعتين ( من المتخصصين في الأدب ، وفي علم النفس ) .

توجد مشكلة كبيرة أخرى في البحوث النفسية للأدب ، وتتمثل في تبرير ، أو تفسير ، الدور الذي تلعبه العمليات اللا شعورية لدى المؤلف ولدى القارىء . وقد يفيد « علم نفس الفن » هنا مرة اخرى ، كنموذج مفيد في التعامل مع هذه القضايا . لقد تم التجاهل عادة لوجود العوامل اللا شعورية في ابداع الفن ، وفي الاستجابة له . وأصبحت الاجراءات البحثية متمثلة في التركيز على العمليات الواضحة او الصريحة ( في البداية على الأقل ) بدلا من التركيز على العمليات اللا شعورية الأساسية الأكثر صعوبة . وهكذا ، فإنه قد يمكن النظر الى الأحداث الواضحة الجلية باعتبارها تعكس عمليات وبنى كامنة وأساسية .

ويمكن الامتداد بمثل الاجراء السابق للتعامل مع عمليات وسيطة ودقيقة أخرى ، داخل العمليات الجمالية الأساسية . وعلى سبيل المثال ، من الواضح ان العمليات التحتية أو الضمنية هي عامل كبير في الابداع . ومع ذلك ، فإن الأمر الأكثر عمليا قد يكون هو تحويل الاهتمام بعيدا عن الجذور والآليات ، أو العمليات ، والتعبيرات اللا شعورية في الابداع ، والتحول الى الدراسة الأكثر واقعية ( أو الملموسة اكثر ) لاستجابات المتلقي للموضوع الابداعي . وقد يكون من الممكن بعد ذلك ربط البيانات الناتجة من الخطورة السابقة بالجوانب الأكثر واقعية أو ملموسية ـ على نحو مماثل ـ من خصائص المنبه المميزة للموضوع الابداعي . وتتقبل مثل هذه المقاربة الظاهراتية ( أو الفينومينولوجية ) التقارير البيوجرافية ( الخاصة بسيرة الشخص المبدع ) والذاتية حول الابداع ، والتي تتعلق بما يقوله المبدعون فعلا حول الشخصية وحول الابداع اكثر من تعلقها ـ هذه التقارير ـ بما تتضمنه أقوال هؤلاء المبدعين من أشياء حول الشخصية وحول الابداع . فادراكات الناس لذواتهم ، بصرف النظر عن مدى صدق هذه الادراكات وعن ماتتضمنه من مصادر دينامية ( ذاتية داخلية ) ، تقدم لنا فروضا قابلة للاختبار حول قضايا هامة مثل الدور المدرك للطفولة وللوالدين في الانجاز الابداعي ، وايضا حول ماإذا كان المبدعون يشعرون بأن مراحل الابداع هي امر ضروري . إن الاستراتيجية الظاهراتية ، والتي تبدأ

بخصائص الاستجابة الأدبية المميزة الأكثر وضوحا ، قد تكون اقل قطعية واقل إثارة من ذلك التحليل الذي يتجه إلى العمق ، لكن هذه الاستراتيجية تقدم لنا بداية ما في اتجاه القيام باستقصاءات علمية خاصة حول الجوانب النفسية الأكثر داخلية .

هناك أسباب أخرى تبرر عدم التركيز على اللا شعور في البحث . فقد أدى الانشغال باللا شعور الى اهتمام زائد بالجوانب المرضية والغريبة في علم نفس الأدب ، وإلى غلبة بضعة مجالات قليلة من البحث ، كالشخصية ، والخصائص الدافعية والانفعالية المثيرة لها ، كما أدى ذلك إلى إهمال الجوانب الأكثر ايجابية وتفاؤلا من الشخصية . لكن الأدب ، وكما هو معروف ، يمثل ايضا تكيف الانسان الناجح مع الأزمات ، كما يمثل نموه ، وإحساسه بتحقيقه لذاته ، وشعوره بالكفاءة .

ان هناك معالجات ادبية للموضوعات ، فضلا عن المعالجات النفسية الذاتية ( السيكودينامية ) لها . وتعتبر الخصائص الشعورية والمعرفية للانسان ، وكما عبر عنها الأدب ، من الخصائص وثيقة الصلة والمناسبة للدراسة النفسية . وكما هو الحال بالنسبة لأبعاد الشخصية . وتشتمل هذه الخصائص بشكل عام على سعي الانسان للتنبيه والنظام ، وعلى تنظيمه وإحداثه للتكامل ، وتركيبه لخبرته الخاصة ، وعلى قدرته على اكتساب وتخزين المعلومات ، وعلى قدرته على استخدام هذه المعلومات في الخيال وفي حل المشكلات ( والاشارة هنا الى موضوعات الانتباه والادراك والتعلم والتذكر والتفكير ) . ورغم ان بعض الكتاب أمثال « ارنهايم » و « جومبريتش Combrich » قد قاموا بتفسير الفن من خلال مصطلحات معرفية ( أو من خلال الاشارة الى الطرائق التي يتمكن من خلالها الانسان ، بواسطة الفن ، من ادراك الواقع والتعامل معه ) فإن الوظائف المماثلة الخاصة بالأدب قد تم اهمالها الى حد كبير خلال عملية التحليل « الامبيريقي » .

تفتح المقاربة المعرفية للمواد الجمالية اتجاهات بحثية جديدة عديدة ، وقد تم البدء في عديد من هذه الاتجاهات فعلا في مجال دراسة الفن التشكيلي . وعلى سبيل المثال ، قام « تشايلد » بتطبيق نظرية خاصة حول الاسلوب المعرفي Cognitive style ، والذي تعبر به الشخصية عن ذاتها ، في مجال الأحكام الجمالية(٦) . ويشير « الاسلوب المعرفي » وكما تمثله دراسات « جاردنر R. Gardner » ومعاونيه ، وهي دراسات غير جمالية ، إلى تلك السمات التي تميز الاسلوب الادراكي والمعرفي الذي يميز الطريقة النمطية التي يقترب او يتعامل الشخص من خلالها ، من العالم المحيط به ، سواء كان هذا الاسلوب تحليليا أو كليا ، من خلال الاعتماد على المجال المحيط به أو من خلال الاستقلال عنه ، من خلال تحمله للغموض أو عدم تحمله لهذا الغموض ، من خلال اسلوب متسع او من خلال اسلوب

ضيق ، من خلال اسلوب واقعي او اسلوب يجمع بين الواقع والخيال ، من خلال الاستكشاف أو من خلال عدم الاكتراث ، وقد اجتذب ملمح خاص من ملامح الاسلوب المعرفي اهتمام عدد طيب من البحوث في مجال الجماليات ( وفي غيرة من المجالات ) ، ويتعلق هذا الملمح بتفضيل التركيب Preference of Complexity . وقد بين « بارون » أن التعبير عن هذا التفضيل يرتبط باستقلال الأحكام ، وبالاتجاهات الاجتماعية ، و ـ هو الأكثر أهمية ـ بالابداع[٧] . ومن الممكن ايضا الربط بين بعد التركيب الخاص بأحد المنبهات ، وبين الانتباه والدافعية ، فقد قام « برلين » ببحوث عديدة حول الامكانية الاستثارية الخاصة بمنبهات ذات درجات مختلفة من التركيب . على كل حال ، فإنه لم يوجد بعد البحث الجاد لموضوع الاسلوب المعرفي ، ولا لموضوع التركيب في مجال الأدب ، هذا رغم أن تحليلات مماثلة لما تم من تحليلات في مجال الفن التشكيلي هي تحليلات قابلة للانجاز بسهولة على المادة الأدبية ، وعلى سبيل المثال : من الممكن القيام بحساب الارتباطات بين الاسلوب المعرفي ، وتركيب المنبه ، وتفضيلات القراء . وقد قام « ايفانز » و « كامان » ببداية في هذا الشأن ، حيث قاما بتحويل التركيب الخاص الذي تكون عليه المواد النثرية والشعرية العادية الى تعبيرات كمية ، ثم قاما بالربط بين هذه التعبيرات وبين جاذبية هذه المواد الأدبية وكذلك مدى تفضيل المتلقين لها .

إضافة الى التركيب ، تم بحث جوانب أخرى من أبعاد المنبه الخاصة بمواد غير أدبية ، فقد قام « زاجوانك » مثلا ببحوث حول آثار التكرار والتعرض لمواد معينة ( كالفن التشكيلي والموسيقى ) على التفضيل والاهتمام . وقام « اكسلين Exline » وزملاؤه و « ليكارت Leckart » و « فاو Faw » و « ماكورث Mackworth » و « موراندي Morandi » بدراسة العلاقة بين اتجاه واستمرارية سلوك النظر ( بما يشتمل عليه من حركات للعين وفتح لانسان العين ) وبين الأفكار الهامة وغير المالوفة والموجودة في الصفحة أو الفقرة أو السطر ) . ومن الممكن تطبيق مثل هذه المتغيرات بسهولة على المادة الأدبية ، ومن ثم نستطيع تقديم معلومات اساسية حول الاستجابة الأدبية .

هناك موضوعات أخرى قام علم النفس المعرفي التجريبي بدراستها مستخدما خلالها مواد فنية تشكيلية ، ومن الممكن ان تثبت هذه الموضوعات انها قابلة للتطبيق على نحو مماثل في مجال النثر الأدبي . ومن الأمثلة الكبيرة على ذلك هنا نجد دراسة « ووك Wolk » حول التعلم والتعرف وحول انتقال مفهوم الاسلوب الفني ، وكذلك دراسة « جاردنر » الخاصة حول كيفية تغير هذه العمليات عبر العمر[٨] . كما يمكننا أن نجد امكانيات بحثية اخرى في مجالات بحثية اخرى أقل توجها نحو الجماليات . فالبحث الذي أنجزه « البوت » و « برونتج » «Allpott & Brunning» والذي قاما فيه بالقياس الناجح

للمعاني الدلالية والخصائص الشخصية الخاصة بأسماء معينة ، من الممكن تطبيقه على اسماء الشخصيات الأدبية ، وكذلك على اسماء الكتب الأدبية ، وقد تشير مثل هذه الاجراءات الى الدلالات الأدبية الدقيقة التي تتضمنها المسميات والعناوين . وقد قام « دولنج » و « ليخمان » بفحص الأثر الخاص بالعناوين على عمليات الفهم والاحتفاظ الذهني والخاصة مقاطع نثرية غير ادبية . ومن الممكن ان يحل النثر الأدبي أيضا محل المواد النثرية العادية . وتعتبر تلك الدراسات التي قام بها كل من « بلونت Blount » و « جونسون Jonson » و « كروس Crouse » حول التعلم، والتي تم فيها استخدام مقاطع نثرية عالية المعنى ، وكذلك الدراسة التي قام بها « بوث Booth » والتي فحص فيها عمليات الاحتفاظ الذهني بأنباء الأخبار التي تقدمها وسائل الاعلام مختلفة ، تعتبر كل هذه الدراسات دراسات موحية بالطريقة التي يمكن التعامل من خلالها بنجاح مع مادة مركبة مثل الأدب وفي ضوء دراسات التعلم . ومن الممكن ان يقوم الأدب بالامتداد بمقارنة « بارتليت » حول التعلم والتذكر إلى دوائر بحثية كانت تعتمد بشكل شامل على مادة ابسط وأقل معنى ، وأكثر خمولا .

هناك موقع خاص يمكن ان يحتله الأدب ، بدلا من المواد الأدبية ، في تعليم مهارات القراءة وفهمها ( وكذلك مهارات الكلام وفهمه ) وذلك لأن الأدب يتميز بقدرته الخاصة على اثارة الاهتمام . ومن بين الجوانب الأكثر حسما والتي تمت دراستها في عملية القراءة ، نجد ان مايتعلق منها بأنماط حركات العين والتغيرات المتعلقة بتمدد او اتساع انسان العين هو ماقد يثبت ان له فائدته الكبيرة عندما تحل المواد الأدبية محل المواد العادية في دراستنا . وقد تكون المقاييس ـ اضافة الى غيرها ـ التي استخدمها « كارفر » و « ديربورن » «Carver 9 Dearborn» مع مواد عادية ( والتي منها على سبيل المثال : سرعة القراءة ) ، مفيدة في السياق الخاص بقضايا جمالية عديدة . وعلى سبيل المثال ، من الممكن الربط بين استجابات العين من ناحية وبين مستوى النثر الأدبي والفروق بين الأشكال الأدبية والتقابلات بين الأدب وأنماط أخرى من النثر ( كالنثر العلمي مثلا ) والتمييزات بين القطع الأدبية المفضلة وغير المفضلة ، من ناحية اخرى . ومن الممكن ان تصبح المتغيرات الخاصة بالمبحوث ( كالشخصية والابداع مثلا ) جزءا من دراسة خاصة تدور حول الاستجابة لهذه الخصائص المميزة للمنبه النثري الأدبي . وهناك اشارات الى عمليات القراءة الخاصة بسونتيات « شكسبير » في كتاب « ياربو Yarbus » المسمى « حركات العين والابصار » «Eye movements and vision» ، هذا رغم ان اهتمام « ياربو » بالخصائص الأدبية للمواد المقروءة كان يتم بمحض الصدفة فقط .

رغم أن الدراسات الاجتماعية ، وخاصة مادار منها حول الاتجاهات ، قد قامت بالاستفادة الكبيرة من المواد الأدبية ( أنظر الفصل الثامن ) ، فان هناك احتمالات أخرى تتعلق بتطبيقات اضافية . فما تم انجازه بالنسبة للمقارنة بين الفروق في التعبير الادبي بين الأقطار المختلفة يعتبر قليلا حتى الآن . ومن الممكن القيام ببداية في هذا الشأن من خلال اجراء مقابلات مع المترجمين . وقد تقدم هذه المقابلات مادة أولية حول الصعوبات التي يواجهها هؤلاء المترجمون في نقل المواد من لغة إلى أخرى . وتعتبر دراسة « باريك Barik » التي أجراها حول المشكلات المختلفة الخاصة بالترجمة الفورية الشفوية وحول الاستراتيجيات الخاصة بالتغلب على هذه المشكلات ، من الدراسات المناسبة في هذا السياق .

من الممكن استخدام الأدب أيضا داخل السياق العلاجي ، وبما يوازي الاتكاء المتسع على الفن التشكيلي خلال عملية العلاج . وقد نتج عن مثل هذا الاعتماد الكبير على الفن التشكيلي كما يقول « وايسكوجرود Wyschogrod » ، اهمال للأشكال الجمالية الأخرى في العلاج . ورغم ان هناك بداية ما قد حدثت ، وتمثلت في الاستخدام الأكبر للمواد الادبية في العيادات النفسية ، فان هذا الجهد ، على الأقل وفقا لمراجعة « سكولس وجورندي Schools 9 Grundy » ، هو ، وإلى حد كبير ، جهد تحليلي نفسي وغير احصائي ، بدلا من ان يكون جهدا « امبيريقيا » . والفرض العام ( والذي لم يختبر ) هنا هو أن قراءة وكتابة الشعر ، ومن خلال اثارتها للتداعيات المختلفة ، لهما قيمة تطهيرية ، كما انهما يعملان على ازالة عناصر المقاومة المرضية داخل الشخصية . وينبغي أن تقوم الدراسة الأكثر تنظيما بتدعيم مثل هذا الزعم ، بطريقة موضوعية ، كما ينبغي عليها ان تقوم بتحليلات الأعمال الخيالية للمرضى ( ومن ذلك مثلا : يومياتهم ، ومقالاتهم ، وكتاباتهم الخيالية الأخرى ) . بحثا عن الموضوعات الرئيسية الموجودة فيها ، وهي الموضوعات التي يمكن ان تكشف عن جوانب تشخيصية او جوانب تنبؤية مآلية Prognostic* مفيدة في العلاج . وإضافة الى ذلك ، فمن الممكن اعطاء المرضى أنماطا مختلفة من الأدب أو من كتابات مؤلفين مختلفين . وكذلك من مهام الكتابة ، ثم نلاحظ آثار التقدم التي تحدث لديهم بطريقة منتظمة .

رغم ان هذه التوجهات المقترحة للبحوث التي تجرى باستخدام المواد الأدبية تظل الى حد كبير توجهات تأملية ، فإنها توحي في نفس الوقت بعديد من الموضوعات والمقاربات

---

* ان تتنبأ بمسار او مآل المرضى لدى هؤلاء المرضى ( المترجم )

التي قد تثبت انها مفيدة في الدراسات الامبيريقية للأدب . وستعمل الامتدادات والتفصيلات الخاصة للمفاهيم المأخوذة من علم النفس التجريبي العام ، اضافة الى الاقتراحات التي يقدمها خبراء الأدب على تشكيل نقطة البداية الخاصة والتي يتم من خلالها طرح اسئلة بحثية ذات معنى واجراء البحوث وتجميع بيانات قد يمكن بواسطتها الاجابة او الحل للمشكلات السيكولوجية الجوهرية حول الأدب والتي تتعلق بالمؤلف ، وبعمله ، وبالقارئ .. اننا نحتاج الآن الى معلومات ( امبيريقية ) حول الأدب اكثر مما نحتاج الى معلومات تأملية . لقد استفاد المؤلفون والنقاد وغيرهم من علم النفس ، خاصة في الجانب التحليلي النفسي منه ، أكثر مما استفاد علماء النفس من الأدب . ومع ذلك ، فإن الأدب ، مثله في ذلك مثل الفن ، لا يمكن اخضاع كليته للمقاربة الامبيريقية . على كل حال ، فإنه يمكن الاقتراب من الأدب علميا اذا تم التعامل معه موضوعيا ، واذا تم اعتباره شكلا انيقا ومشذبا من اشكال الفهم المشترك . ان له نفس المنزلة المشروعة التي تتبوأها الموضوعات المتنوعة المميزة للاهتمامات البحثية في مجال علم النفس . فالأدب يقدم امثلة للموضوعات النفسية الرئيسية ، كما انه يكمل علم النفس باعتباره - أى الأدب - مصدرا للبيانات ، وللفروض ، وللتحليلات . وإضافة الى ذلك فإن الأدب قد يوحي بإجابات مؤقتة لأسئلة نفسية لم تقم البحوث الامبيريقية بطرحها ، أو لم تجب عليها بعد بطريقة مقنعة ، وربما لم تكن هذه الأسئلة قابلة لأن نشرع في بحثها كميا .

***

# هوامش الفصل التاسع

1. J. Ranta, "Counting and formal analysis," *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 29 (1971): 455.

2. D. E. Berlyne, "Laughter, human and play," in *The Handbook of Social Psychology*, 2nd ed. edited by G. Lindzey & E. Aronson (Reading Mass.: Addison-Wesley, 1969), vol. 3, pp. 795-852.

3. F. X. Barron, *Artists in the makinbg* (New York: Seminar Press, 1972), p. xvii.

4. J. W. Getzels and M. Czikszentmihalyi, "Aesthetic opinion: An empirical study," *Public Opinion Quarterly* 33 (1969): 34-35.

5. Getzels & Csikszentmihalyi, "The value orientations of art studnetsd as determinants of artistic specialization and creative performance," *Studies in Art Education* 10 (1968): 5-16.

6. I. L. Child, "Personality correlates of aesthetic judgment in college students," *Journal of Personality* 33 (1965): 476-511.

7. Barron, "Complexity-simplicity as a personality dimension," *Journal of Abnormal and Social Psychology* 48 (1953): 163-172.

8. H. Gardner, "From mode to symbol: Thoughts on the genesis of the arts," *British Journal of Aesthetics* 10 (1970): 359-375.

# مراجع الكتاب


Abraham, P. "Creations of Balzac." *Psychological Abstracts* 6 (1932) #747.

Abrams, M. H. *The mirror and the lamp: Romantic theory and th critical tradition.* New York: Norton, 1958.

Adams,S. & Powers, F.F. "The psychology of language." *Psychological Bulletin* 26 (1929): 241-260.

Albott, W. L. & Bruning, J. L. "Given names: A neglected social variable." *Psychological Record* 20 (1970):527-533.

Albrecht,M.C. "Psychological motives in the fiction of Julian Green." *Journal of Personality* 15 (1948): 278-303.

—. "The relationship of literature and society." *American Journal of Sociology* 59 (1954): 425-436.

—. "Does literature reflect common values?" *American Sociological Review* 21 (1956): 722-729.

—. Review of *The novel and society*, by D. Spearman, and *The rise of the novel*, by I. Watt. *Transaction* 6 (1969): 54-55.

Alcorn,D. E. "New Testament Psychology." *British Journal of Medical Psychology* 16 (1937): 270-280.

Allport,G. W. "The study of personality by the intuitive method: An experiment in teaching fromn *The locomotive god*" *Journal of Abnormal and Social Psychology* 24 (1929): 14-27. *The use of personal docuemnts in psychological science.* New York: Social Science Research Council, 1942.

Alluisi, E. A. & Adams,"Predicting letter preferences: Aesthetics and filtering in man." *Perceptual and Motor Skills* 14 (1962( 123-131.

Anast,P. "Similarity between self and fictional character choice." *Psychological Record* 16 (1966): 353-539.

—. "Differential movie appeals as correlates of attendance," *Journalism Quarterly* 44 (1967): 86-90.

Anderson,H. H. ed. *Creativity and its cultivation.* New York: Harper, 1959.

Arcamore,A. & Lindauer, M. S. "Concept learning and poetry." Paper presented at the 81st Meeting of the American Psychological Association, MOntreal, 1973.

Arnheim, R. "Psychological notes on the poetical process." In *Poets at work,* by

Rudolf Arnheim, W. H. Auden, K. Shapiro, & D. A. Staufer. New York: Harcourt, Brace, 1948. pp. 125-162.
—. *Art and visual perception: A psychology of the creative eye*. Berkeley, Calif.: University of California, 1966.
—. *Visual thinking*. Berkeley Calif.: Univeristy of California, 1969.
—. *Entropy and art: An essay on disorder and order*. Berkeley, Calif.: University of California, 1971.
**Asch,S. E. "The doctrine of suggestion, prstige, and imitation in social psychology."** *Psychological Review* 55 (1948): 250-276.
—. *Social Psychology*. Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1952. pp. 418-442.
—. "On the use of metaphor in the description of persons," in *On expressive language*, edited by H. Werner. Worcester, mass.: Clark University, 1955. pp. 29-38.
—. "The metaphor: A psychological inquiry." in *Personal perception and interpersonal behavior*, by R. Taguiri & L. Petrulla. Stanford, Calif.: Stanford University, 1958. pp. 86-94.
Asheim,L. "From book to film." *Reader in opinion and communication*, edited by Bemard Berelson & M. Janowitz. Glencoe, Ill.: Free press, 1953. pp. 299-306.
**Ashmun,M. "A study of temperaments as illustrated in literature."** *American Journal of Psychology* 19 (1908): 519-535.
**Auden,W. H. "Psychology and Art."** In *The arts today*, edited by G. Grigson. London: John Lane the Bodley Head, 1935. Pp. 1-21.
—. "Under which lyre." *Nones*. New York: Random House, 1951.
**Auster,D. "A content analysis of Little Orphan Annie."** In *Sociology: The progress of a decade*, edited by S. Lipset & N. Smelser, Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1961.
**Austin,G. R. "Non-fiction best sellers: Types and trends."** *Journal of Social Psychology* 38 (1953): 141-143.
**Bakan,D.** *On Method: Toward a reconstruction of psychological investigation*. San FRancisco: Jossey-Bass, 1967.
—. "Psychology can now kick the science habit." *Psychology Today* 5 (1972): 26-28, 86-88.
**Baldwin,A. L. "Personal structure analysis: A statistical method for investigating the single personality."** *Journal of Abnormal and Social Psychology* 37 (1940): 518-519.
**Barbu,Z.** *Problems of historical psychology*. New York: Grove, 1960.
**Barik,H. C. "Some findings on simultaneous interpretation."** *Proceedings of the 78th Annual APA Convention* 5 (1970): 11-12.
**Barnes,H. E. "Psychology and history."** *American Journal of Psychology* 30 (1919): 337-376.
**Barnett,J. H. "Research in the sociology of art."** *Sociology and Social Research* 42 (1958): 401-405.
—. "The sociology of art." In *Sociology Today*, edited by K. Merton, L. Broom, & L. S. Cottrell, Jr. New York: Basic Boocs, 1959. Pp. 197-214.
**Barron,F. "Complexity-simplicity a a personality dimension."** *Journal of Abnormal and Social Psychology* 48 (1953): 163-172.

—. "The disposition toward originality." *Journal of Abnormal and Social Psychology* 15 (1955): 478-485.

—. "The psychology of creativity." In *New Directions in Psychology II*, edited by T. M. Newcomb. New York: Holt, Rinehart & Winston, 1965. Pp. 1-34.

—. *Artists in the making*. New York: Seminar Press, 1972.

—. Review of *The Creative experience*, edited by S. Rosner & L. E. Abt. *Contemporaty Psychology* 17 (1972): 4-5.

**Barron, F. C.** "King Lear and his fool. A study in the conception and enactment of a dramatic role in relation to self-conception." *Proceedings of the 76th Annual Convention APA* 3 (1968): 369-370.

**Bartlett, F. C.** "Types of imagination." *Philosophical Studies* 3 (1928): 78-85.

—. *Remembering: A study in experimental social and psychology*. Cambridge: Cambridge University Press, 1932.

**Bass, B. M.** "Famous saying test: General Manual." *Psychological Reports, Monograph Supplement 6*, 4 (1958): 479-497.

**Beardsley, M. C.** "Aesthetic Welfare." *Journal of Art Education* 4 (1970): 9-20.

**Belttel, K. R.** "Creativity in the visual arts in higher education. Criteria, predictors, expenmentation, and their interactions." In *Widening Horizons in creativity*, edited by Calvin W. Taylor. New York: Wiley, 1964. Pp. 379-395.

**Berelson, B.** "Communication and public opinion." In *Reader in public opinion and communication*, edited by B. Berelson & M. Janowitz. Glencoe, Ill.: Free Press, 1953. Pp. 448-462.

**Berelson, B. & Janowitz, M., eds.** *Reader in public opinion and communication*. Glencoe, Ill.: Free Press, 1953.

**Berelson, B. & Salter, P. J.** "Majority and minority Americans: An analysis of magazine fiction." *Public Opinion Quarterly* 10(1946): 168-190.

**Berger, B. M.** "Audiences, art, and power." *Transaction* 8 McGraw-Hill, 1971, 26-30.

**Berlyne, D. E.** *Conflict, arousal, and curiosity*. New York: McGraw-Hill, 1960. Chap. 9.

—. "The psychology of aesthetic behavior." Talk given to the Department of Art Education, Pennsylvania State University, 1968. Penn State Papers in Art Education, #5.

—. "Laughter, humor, and play." In *The handbook of social psychology*, edited by G. Lindzey & E. Aronbson. 2nd ed. Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1969. Vol. 3, pp. 795-852.

—. "Affective aspects of aesthetic communication." Paper read at symposium "Affect and Communication," Erindale College, University of Toronto, 1971.

—. *Psychobiology and aesthetics*. New York: Appleton-Century-Crofts, 1971.

**Bertalanffy, L.** *Robots, men, and minds: Psychology in the modern world*. New York: Braziller, 1967.

**Bindman, S. S.** Review of *Challenges of humanistic psychology*, edited by J. F. T. Bugental. *Contemporary Psychology* 16 (1971): 158-159.

**Birkhoff, G. D.** *Aesthetic measure*, Cambridge, Mass.: Harvard Unmiversity, 1933.

**Bleich, D.** "Emotional origins of literary meaning." *College English* 31 (1969): 30-40.

**Bliss, W. D.** "Birth order of creative writers." *Journal of Individual Psychology* 26 (1970): 200-202.

**Block, H. A.** "Toward the development of a sociology of literary and art-forms." *American Sociological Review* 8 (1943): 313-320.

**Blondel,C.** "The psychology of Marcel Proust." *Psychological Abstracts* 6 (1932) #1871.
**Bloom,L.** "Psychology and aesthetics: A Methodological Monroe Doctrine." *Journal of General Psychology* 65 (1961): 305-317.
**Blount,H.P. & Johnson, J. E.** "Syntactic influences in the recall of sentences in prose." *Proceedings of the 79th Annual Convention APA* 6 (1971): 40-41.
**Boder,D. P.** "The adjective-verb quotient: A contribution to the psychology of language." *Psychological Record* 3 (1940): 310-343.
**Booth,A.** "The recall of news items." *Public Opinion Quarterly*, 34 (1970-71): 604-610.
**Boring,E. G.** *A history of experimental psychology*. 2ne ed. New York: Appleton-Centrury-Crofts, 1950.
**Bowles,E., ed.** *Computers in humanistic research: Readings and perspectives*. Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1967.
**Brinegar,C. S.** "Mark Twain and the Quintas Curtius Snodgrass letters: A statistical test of authorship." *Journal of the fAmerican Statistical Association* 58 (1963): 85-96.
**Bringmann, W. G., Krichev, A., & Balence, W.** "Goethe as behavior therapist." *Journal of the History of the Behavioral Sciences* 6 (1970): 151-159.
**Brinton, J. E. & Danielson, W. A.** "A factor analysis of language elements affective readability." *Journalism Quarterly* 35 (1958): 420-426.
**Brook,B. S.** "Style and content analysis in music: The simplofied 'Plaine and easie code.'" In *The analysis of communication content*, edited by G. Gerber et. al. New York: Wiley, 1969.
**Brown,J. L.** *Theory of colours*. by J. W. V. Goethe. *Contemporary Psychology* 16 (1971): 696-697.
**Bruner,J. S. & Taguiri, R.** "The perception of people." *Handbook of social psychology*, edited by G. Lindzey. Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1954. Vol. 2, pp. 634-654.
**Buck,G.** "Figures of speech: A psychological study." In *Contribution to rhetorical theory*, edited by F. N. Scott. Ann Arbor: University of Michigan, 1895. pp. 1-27.
**Buckingham, L. H.** "The development of social attitudes through literature." [*School and Society* 52 (1940): 446-454.] *Psychological Abstracts* 15 (1941) #1489.
**Bugental, J. F. T., ed.** *Challenge of humanistic psychology*. New York: McGraw-Hill, 1967.
**Bühler, C.** "Basic theoretical concepts of humanistic psychology." *American Psychologist* 26 (1971): 378-386.
**Bulrski,P. & Kramer, E.** "Literature as a projection of the author's personality." *Journal of Projective Tests and Personality Assessment* 34 (1970): 27-30.
**Burnshaw,S.** "The body makes the mind." *American Scholar* 38 (1968-69): 25-39.
**Bush,D.** "Science and literature," In *Seventeenth century science and the arts*, edited by H. H. , Rhys. Princeton, N. J.: Princeton University, 1961. pp. 29-58.
**Butler, R. N.** "Age: The life review." *Psychology Today* 5 (1971): 49-51, 89.
**Bychowski, G.** "Marcel Proust as author using psychological analysis." *Psychological Abstracts* 7 (1933) #1450.
**Cantril, H. & Bunstead, C.H.** *Reflections on the human venture*. New York: New York University, 1960.
**Carey, J. T.** "The ideology of autonomy in popular lyrics: A content analysis." *Psychiatry* 32 (1969): 150-164.
**Carmichael, D.** Review of *The dynamics of literary response* by N. N. Holland. *Contemporary Psychology* 15 (1970): 242-244.

**Carroll, H. A.** *Prose appreciation test.* Minneapolis: Educational Test Bureau, 1935.

**Carroll, J. B.** "Vectors of prose style." In *Semantic differential technique*, edited by J. G. Snider & C. E. Osgood. Chicago: Aldine, 1969. Pp. 593-602.

**Carter, H.** "Sociology in the new literature." *Sociological Review* 20 (1928): 250-255.

**Cartwright, D. P.** "Analysis of qualitative material." In *Research methods in the behavioral sciences*, edited by L. Festinger & D. Katz. New York: Dryden, 1953.

**Carver, R. P.** "Pupil dilation and its relationship to information processing during reading and listening." *Journal of Applied Psychology* 55 (1971): 126-134.

**Chandler, A. R.** *Beauty and human nature: Elements of psychological and experimental aesthetics.* New York: Appleton-Century, 1935. Chap. 13, pp. 238-276.

**Chandler, A. R. & Barnhart, E. N.** *A bibliography of psychological and experimental aesthetics 1864-1937.* Berkeley, Calif.: University of California, 1938.

**Charvat. W.** "Literary economics and literary history." *English Institute Essays*, 1949, 73-91.

**Child, I. L.** "Personality correlates of aesthetic judgment in college students." *Journal of Personality* 33 (1965): 476-511.

—. "Aesthetics." In *International encyclopedia of the social sciences*, edited by D. L. Sills. New York: Macmillan & Free Press, 1968. Vol. 1, pp. 116-121.

—. "Esthetics." In *The handbook of social psychology*, by Gardner Lindzey and Aronson. 2nd Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1969. Pp. 853-916.

—. "Esthetics." *Annual Review of Psychology* 23 (1972): 669-694.

**Clark, C.** *Shakespeare and psychology.* [London: Williams & Norgate, 1936.] *psychological Abstracts* 12 (1938) #379.

**Clay, R.** "Literary allusions in selected newspaper editorials." *Journalism Quarterly* 37 (1960): 231-240.

**Cohen, J.** *Humanistic psychology.* New York: Collier, 1962. Chap. 10.

—. *Psychological time in health and disease.* Springfield, Ill.: C. C. Thomas, 1967.

**Colby, B. N.** "The analysis of culture content and the paterning of narrative concerns in tests." *American Anthropologist* 68 (1966): 374-388.

—. "Cultural patterns in narrative." *Science* 151 (1966): 793-798.

**Colby, B. N., Collier, G. A. & Postal, S. K.** "Comparison of themes in foltales by the general inquirer system." *Journal of American Folklore* 76 (1963): 318-323.

**Coser, L. A., ed.** *Sociology through literature.* Englewood Cliffs, N. J. Prentice-Hall, 1963.

**Cousins, N.** "The computer and the poet." In *Perspectives on the computer revolution*, edited by Z. Pylyshyn. Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1970. Pp. 499-500.

**Cox, C. M.** *The early mental traits of three hundred geniuses.* Vol. 2. *Genetic studies of genius.* Stanford, Calif.: Standord University, 1926.

**Creelman, M. B.** Review of *Worlds in consciousness: Methopeitic thought in the novels of Virginia Woolf*, by J. O. Love. *Contemporary Pychology* 16 (1971): 232-233.

**Crews, F. C.** "Literature and psychology." In *Relations of literary study: Essays on interdisciplinary contributions*, edited by J. Thorpe. New York: Modern Language Association, 1967. Pp. 73-87.

—. "Anaesthetic criticism." In *Psychoanalysis and literary process*, edited by F. Crews, Cambridge, Mass.: Winthrop, 1970. Pp. 1-24.

—. ed. *Psychoanalysis and literary process.* Cambridge, Mass.: Winthrop, 1970.

**Crouse, J. H.** "Retroactive interference in reading prose materials." *Journal of Educational Psychology* 62 (1971): 39-41.

Csikszentmihalyi, M. & Getzels, J. W. "Concern for discovery: An attitudinal component of creative production." *Journal of Personality* 38 (1970): 91-105.

Dale, E. & Chall, J. S. "A formula for predicting readability." *Educational Research Bulletin* 27-28 (1948): 11-20, 37-54.

Das, J. P. Rath, R. & Das, R. S. "Understanding versus suggestion in the judgment of literary passages." *Journal of Abnormal and Social Psychology* 51 (1955): 624-628.

David-Schwarz, H. "The psychology and pathology of Gerhardt Hauptmann's character *Crampton*." *Psychological Abstracts* 4 (1930) #3962.

—. "Hesse's *Narziss and Goldenmund* in two different settings." *Psychological Abstracts* 5 (1931) #3828.

Davidson, P. O. & Costello, C. G. *N = 1: Experimental studies of single cases.* New York: Van Nostrand, 1969.

Davies, J. C. "Political fiction." In *International encyclopedia of the social sciences*, edited by D. L. Sills. Vol. 9. New York: Macmillan & Free Press, 1968.

Day, W. F. "Humanistic psychology and contemporary behaviorism." *The Humanist* 31 (1971): 13-16.

Dearborn, W. F. "The psychology of reading." *Archives of Philosophy, psychology, and Scientific Methods, Columbia University Contributions to Philosophy and Psychology*, 14 (1906) #1.

Decharms, R. & Moeller, G. H. "Values expressed in children's readers: 1800-1950." *Journal of Abnormal and Social Psychology* 64 (1962): 136-142.

Deese, J. *Psychology as science and art.* New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1972.

Dellas, M. & Gaier, E. L. "Identification of Creativity." *Psychological Bulletin* 73 (1970): 55-73.

Dennis, W. "Creative productivity between the ages of 20 and 80 years." *Journal of Gerontology* 21 (1966): 1-8.

Deutsch, D. "Music recognition." *Psychological Review* 76 (1969): 300-307.

Dewey, J. *Art as experience.* New York: Minton, Balch, 1934.

Dibble, V. K. "Four types of inference from documents to events." *History and Theory* 3 (1963): 203-221.

Diener, G. "Relation of the delusionary process in Goethe's *Lila* to analytic psychology and to psychodrama." *Group Psychotherapy and Psychodrama* 24 (1971): 5-13.

Dilthey, W. "Experience and poetry." *Psychological Abstracts* 13 (1939) #393.

Dollard, J. & Mowrer, O. H. "A method of measuring tension in written documents." *Journal of Abnormal and Social Psychology* 42 (1947): 3-32.

Dooling, D. J. & Lachman, R. "Effects of comprehension on retention of prose." *Journal of Experimental Psychology* 88 (1971): 216-222.

Dornbusch, S. M. "Content and method in the study of the higher arts." In *The arts in society*, edited by R. N. Wilson. Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1964. Pp. 363-372.

Downey, J. E. "Literary self-projections." *Psychological Review* 19 (1912): 299-311.

—. "Literary synesthesia." *Journal of Philosophy* 9 (1912): 490-498.

—. "Emotional poetry and the preference judgment." *Psychological Review* 22 (1915): 259-278.

—. "A program for a psychology of literature." *Journal of Applied Psychology* 2 (1918): 366-377.

—. "The psychology of figures of speech." *American Journal of Psychology* 30 (1919): 103-115.

Drake, P. F. "Affective reactions to poetry." Paper presented at Fourth International Colloquium in Experimental Aesthetics, Glasgow, Scotland, 1970.

**Dreistadt, R.** "An analysis of the use of analogies and metaphors in science." *Journal of Psychology* 68 (1968): 97-116.

—. "An analysis of how dreams are used in creative behavior." *Psychology* 8 (1971): 24-50.

—. "The prophetic achievements of geniuses and types of extrasensory perception." *Psychology* 8 (1971): 27-40.

**Dudek, S. Z.** "Portrait of the artist a a Rorschach reader." *Psychology Today* 4 (1971): 47-84.

**Dudley, L.** *The study of literature.* Cambridge, Mass.: Riverside, 1928.

**Duffy, G. G.** "The construction and validation of an instrument to measure poetry writing performance." *Educational and Psychological Measurement* 28 (1968): 1233-1236.

**Dufort, R. H.** "A suggested approach for the psychologist to the study of utopian writings." *Journal of Psychology* 60 (1965): 25-30.

**Duncan, H. D.** *Language and literature in society.* Chicago: University of Chicago, 1953.

**Durr, R. A.** *Poetic vision and the psychedelic experience.* Syracuse, N. Y.: Syracuse University, 1970.

**Edel, L.** *The modern psychological novel.* New York: Grove, 1959.

—. "Psychoanalysis and the creative arts." In *Modern psychoanalysis: New directions and perspectives,* edited by J. Marmor. New York: Basic Books, 1968. Pp 626-641.

—. "Literature and biography." In *Relations of literary study: Essays on interdisciplinary contributions,* edited by J. Thorpe. New York: Modern Language Association, 1967. Pp. 57-72.

**Ehrenzweig, A.** *The psychoanalysis of artistic vision and hearing.* 2nd ed. New York; Braziller, 1965.

**Eissler, K. R.** "The relation of explaining and understanding in psychoanalysis: Demonstrated by one aspect of Freud's approach to literature." *Psychoanalytic Study of the Child* 23 (1968): 141-177.

**Ellegard, A.** "Estimating vocabulary size." *Word* 16 (1960): 219-244.

**Erdelyi, M.** "The relation between radio plugs and sheet sales of popular music." *Journal of Applied Psychology* 24 (1940;: 696-702.

**Escarpit, R.** "The sociology of literature." In *International encyclopedia of the social sciences,* edited by D. L. Sills. Vol. 9. New York: Macmillan & Free Press, 1968.

**Evans, D. R.** "Paragraph complexity, arousal and subjective evaluations of attractiveness." *Psychonomic Science* 23 (1971): 303-304.

**Evans, R. I.** *Psychology and Arthur Miller.* New York: Dutton, 1969.

**Exline, R. V., Gotthell, E., Paredes, A., & Winkelmeler, D.** "Gaze direction as a factor in the accurate judgment of nonverbal expressions of affect." *Proceedings of the 76th Annual APA Convention* 3 (1968): 415.

**Eysenck, H. J.** *Sense and nonsense in psychology.* Rev. ed. Baltimore: Pelican. 1958 Pp. 208-339.

**Farnsworth, P. R.** "Psychology of aestheric." In *Encyclopepdia of Psychology*. New York: Philosophical Library, 1946.

**Fearing, F.** "Psychological studies of historical personalities." *Psychological Bulletin* 24 (1927): 521-539.

**Fellner, C. H.** "Paperback psychiatry." *Journal of Medical Education* 44 (1969): 585-588.

**Fernandez, R.** "Dostoyevsky, traditional domination, and cognitive dissonance." *Social Forces* 49 (1970): 299-303.

—. ed. *Social psychology through literature*. New York: Wiley, 1972.

**Fischer, J. L.** "Art styles as cultural cognitive maps." *American Anthropoligist* 63 (1961): 79-93.

**Flesch, R.** "A new readability yardstick." *Journal of Applied Psychology* 32 (1948): 221-233.

**Flora, C. B.** "The passive female: Her comparative image by class and culture in woman's magazine fiction." *Journal of Marriage and the Family* 33 (1971): 435-444.

**Forster, S.** "The *gestalt* configurations of Wallace Stevens." *Modrn Language Quarterly* 28 (1967): 60-76.

**Fraiberg, L** Review of *Hidden pattems: Studies in psychoanalytical literary criticism*, by L. Manheim & E. Manheim. *Contemporaty Prychology* 13(1968); 280-281.

**Freud,S.** "Dostoevski and parricide." Translated by D. F. Taut. In *Collected papers*. London: Hogarth, 1952. Vol. 5, pp. 222-242. Also in *Partisan Review* 14 (1945): 530-544.

—. *A general introduction to psychoanalysis*. New York: Permabooks, 1953, pp. 384-385. (Original 1920).

—. "The relation of the poet to daydreaming." IN *Collected papers*, edited by E. Jones. London: Hogarth Press & Institutef of Psychoanalysis, 1956. Vol. 4, pp. 173-183.

—. *On creativity and the unconscious: Papers on the psychology of art, literature, love, religion*. New York: Harper, 1958. (Original 1975):

**Friedman, S.** "Imagery: From sensation to symbol." *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 12 (1953): 25-37.

**Galton, F.** *Hereditary genius: An inquiry into its laws and consequences*. London: Macmillan, 1869.

**Gardner, H.** "From mode to symbol: Thoughts on the genesis of the arts." *British Journal of Aesthetics* 10 (1970): 359-375.

—. "The development of sensitivity to artistic styles." *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 29 (1971): 517-527.

—. Problem-solving in the arts and sciences." *Journal of Art Education* 5 (1971): 93-113.

**Gardner, H. &Gardner, J.** "Children's literary skills." *Journal of Experimental Education* 39 (1971): 42-46.

**Gardner, L. W.** "A content analysis of Japanese and American televition." *Journal of Broadcasting* 2 (1962): 45-52.

**Gardner, R., Holtzman, P. S., Klein, G. S., Linton, H. & Spence, D. p.** "Cognitive control." *Psychological Issues* 1 (1959) #4.

**Gardner, R. W., Jackson, D. N., & Messick, S. J. "Personality and organization in cognitive controls and intellectual activities."** *Psychological Issues* (1960) #8.

Garatz, J. A. "The interrelations of psychology and biography." *Psychological Bulletin, 51 (1954): 569-582.*

Gerbner, G., Holsti, O. R., Krippendorf, K. Paisley, W. J., & Stone, P. J., eds. *The analysis of communication content.* New York: Wiley, 1969.

Getzels, J. W. & Csikszentmihalyi, M. "The value-orientations of art students as determinants of artistic specialization and creative performance." *Studies in Art Education* 10 (1968): 5-16.

—. "Aesthetic opinion: An empirical study." *Public Opinion Quarterly* 33 (1969): 34-35.

Getzels, J. W. & Jackson, P. W. *Creativity and intelligence: Explorations with gifted children.* New York: Wiley, 1962.

Gizelin, B., ed. *The creative process.* New York: Mentor, 1952.

Gibson, J. J. *The senses considered as perceptual systems.* New York: Houghton Mifflin, 1966. Chap. 11.

Gilman, A. & Brown, R. "Personality and style in Concord." *In Transcendentalism and its legacy,* edited by M. Simon & T. H. Parsons, Ann Arbor: University of Michigan, 1967. pp. 87-122.

Ginglinger, G. "Basic values in *Reader's Digest, Selection and Constellation.*" *Journalism Quarterly* 32 (1955): 56-61.

Giorgi, A. *Psychology as a human science: A phenomenologically based approach.* New York: Harper & Row, 1970.

Glasgow, G. M. "The effects of manner of speech on appreciation of spoken literature." *Journal of Educational Psychology* 52 (1961): 322-329.

Gleser, G. C., Gottschalk, L. A., & Springer, K. J. "An anxiety scale applicable to verbal samples." *Archives of General Psychiatry* 5 (1961): 593-605.

Golann, S. E. "Psychological studies of creativity." *Psychological Bulletin* 60 (1963): 548-565.

Goldstein, M. "Literature and psychology, 1948-1968: A commentary." *Literature and Psychology* 17 (1967): 159-176.

Gombrich, E. H. *Art and illusion.* 2nd ed. Princeton University, 1969.

Gordon, K. "A dissected-story test." *Psychological Bulletin* 14 (1913): 66.

—. "George Meredith as psychologist." *Psychological Bulletin* 35 (1938): 522-523.

Gorham, D. R. "A proverb test for clinical and experimental use." *Psychological Reports, Monograph Supplement* 1, 2 (1956): 1-12.

—. "Verbal abstraction in psychiatric illness." *Journal of Mental Science* 107 #446, (1961): 52-59.

Gossman, N. J. "Political and social themes in the English popular novel—1815-1832." *Public Opinion Quarterly* 20 (1956): 531-541.

Gottschalk, L. A., & Gleser, G. C. *The measurement of psychological states through the content analysis of verbal behavior.* Berkeley, Calif.: University of California Press, 1965.

Greenstein, F. I. *Personality and politics: Problems of evidence, inference, and conceptualization.* Chicago: Markham, 1969.

Greenstein, F. I. & Lerner, M., eds. *A source book for the study of pesonality and politics.* Chicago: Markham, 1971.

Greenwood, E. B. "Literature and philosophy." *Essays in Criticism* 20 (1970): 5-18.

**Gruber, H.E., Terrel, G., & Wetheimer, M., eds.,** *Contemporary approache to creative thinking.* Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1962.

**Guilford, J. P.** "Creative abilities in the arts." *Psychological Review* 44 (1957): 110-118.

—. "Traits of creativity." In *Creativity and its cultivation*, edited by H. H. Anderson. New York: Harper, 1959. Pp. 142-161.

—. "Creativity: Retrospect and prospect." *Journal of Creative Behavior* 4 (1970): 149-168.

**Haimovici, J.**"Amiel, or morbid introspection in literature." *Psychological Abstracts* 3 (1929) #4128.

**Hall, C. S.** "Slang and dream symbols." *Psychoanalytic Review* 51 (1964): 38-48.

—. "Attitudes toward life and death in poetry." *Psychoanalytic Review* 52 (1965): 67-83.

**Hall, C. S. & Lind, R. E.** *Dreams, life, and literature: A study of Franz Kafka.* Chapel Hill, N. C.: University of North Carolina Press, 1970.

**Hall, C. S. & Lindzey, G.** *Theories of personality.* New York: Wiley, 1957.

**Hall, C. S. & Van de Castle, R. L.** *The content analysis of dreams.* New York: Appelton-Century-Crofts, 1966.

**Hall, E.** "Hebb on hocus-pocus: A conversation." *Psychology Today* 3 (1969): 21-28.

**Hall, E. T.** *The Hidden Dimension.* Garden City, N. Y.: Anchor, 1969.

**Hall, M. H.** "A conversation with Henry A. Murray." Psychology Today 2 (1968): 56-63.

**Hannet, F.** "The haunting lyric: The personal and social significance of American popular songs." *Psychoanalytic Quarterly* 33 (1964): 226-269.

**Hargreaves, H. L.** "The 'faculty' of imagination." *British Journal of Psychology Monograph Supplements* 3 (1927): 1-65.

**Harmes, E.** "Psychology: Yesterday, today, and tomorrow." Paper presented at the New York Academy of Sciences Conference on Various Approaches to the Study of Perception, New York City, 1969.

**Harrower, M.** "Poems emerging from the therapeutic experience." *Journal of Nervous and Mental Disease* 149 (1969): 213-233.

**Harvey, J.** "The content characteristics of best-selling novels." *Public Opinion Quarterly* 17 (1953): 91-114.

**Haskins, C. P.** "The humanities and the natural sciences." *American Scientist* 58 (1970): 23-33.

**Haskins, J. B.** "Validation of the abstraction index as a tool for content-effects analysis and content- analysis." *Journal of Applied Psychology* 44 (1960): 102-106.

**Hatch, L. & Hatch, M. A.** "Criteria of social status as derived from marriage announcements in the *New York Times.*" *American Sociological Review* 12 (1947): 396-403.

**Head, S. W.** "Content analysis of television drama programs." *Quarterly of Film, Radio, and Television* 9 (1954): 175-194.

**Heider, F.** "The description of the psychological environment in the work of Marcel Proust." *Character and Personality* 9 (1941): 295-314.

**Helson, R.** "Sex-specific patterns in creative literary fantasy." *Journal of Personality* 38 (1970): 344-363.

**Henderson, A. & Lindauer, M. S.** "Autobiographical statements on creativity by artists, musicians, and writers." Unpublished study, State College at Brockport, 1971.

**Henley, N. M.** "Achievement and affiliation imagery in American fiction, 1901-1961." *Journal of Personality and Social Psychology* 7 (1967): 208-210.

**Herzog, H.** "What do we really know about day-time serial listeners?" In *Reader in public opinion and communication*, edited by B. Berelson & M. Janowitz. Glencoe, Ill. Free Press, 1953.

**Hevner, K.** "An experimental study of the affective value of sounds in poetry." *American Journal of psychology* 49 (1937): 419-434.

**Hilgard, E. R.** "Creativity and problem-solving." In *Creativity and its cultivation*, edited by H. H. Anderson. New York: Harper, 1959. Pp. 162-180.

**Hilgard, E. R. & Atkinson, R. C.** *Introduction to psychology*. 4th ed. New York: Harcourt, Brace & World, 1967.

**Hill, J. C.** "Poetry and the unconscious." *British Journal of Medical Psychology* 4 (1924): 125-133.

**Hirsch, P.** *The structure of popular music industry*. Ann Arbor, Mich.: Institute for Social Research, 1969.

**Hirsch, W.** "Image of the scientist in science fiction: A content analysis." *Americal Journal of Sociology* 63 (1958): 506-512.

**Hoffman, M. J.** "Gertrude Stein in the psychology laboratory." *American Quarterly* 17 (1965): 127-132.

Hoggart, R. *The uses of literacy: Changing patterns in English mass culture* Boston: Beacon, 1957.

—. Humanistic studies and mass culture." *Daedalus* 99 (1970): 451-472.

**Holland, N. N.** *Psychoanalysis and Shakespeare*. New York: mcGraw-Hill, 1966.

—. *The dynamics of literary response*. New York: Oxford, 1968.

**Hollander, E. P.** "Popular literature in the undergraduate social psychology course." *American Psychologist*. 11 (1956): 95-96.

**Holsti, O. R.** *Content analysis for the social sciences and humanities*. Reading Mass.: Addison-Wesley, 1969.

**Honkavaara, S.** "The psychology of expression."*British Journal of Psychology Monograph Supplements*, 1961, #32.

**Horton, D.** "The dialogue of courtship in popular songs." *American Journal of Sociology* 62 (1957): 569-578.

**Hovland, C. I.** "Psychology of the communication process." In *Communication in modern society*, edited by W. Schramm. Urbana, Ill.: University of Illinois, 1948. Pp. 59-65.

—. "Social communication." In *Reader in public opinion and communication*, edited by B. Berelson & M. Janowitz. Glencoe, Ill.: Free Press, 1953. Pp. 181-189.

**Hovland, C. I., Lundsdaine, A. A., & Sheffield, F. D.** "Short-time and long-time effects of an orientation film." In *Reader in public opinion and communication*, edited by B. Berelson & M. Janowitz. Glencoe, Ill.: Free Press, 1953. Pp. 438-447.

**Hudson, L.** *Contrary imaginations*. New York: Schocken, 1966.

—. "The question of creativity." In *Creativity, edited by P. E. Vernon. Baltimore: Penguin, 1970. Pp. 217-234.*

**Hyman, R.** "Creratlvity and the prepared mind: The role of information and induced attitudes." In *Widening horizons in creativity*, edited by C. W. Taylor. New York: Wiley, 1964. Pp. 69-106.

**Hynes, S.** Review of *Joseph Conrad and the fiction of autobiography*, edited by E. W. Said. *Novel* 2 (1969): 179-183.

**Inglis, R. A.** "An objective approach to the relationship between fiction and society." *American Sociological Review* 3 (1938): 526-533.

**Jacob, C. F.** "The psychology of poetic talent." *Journal of Abnormal and Social Psychology 17 (1922): 231-253.*

**Jakobovits, L. A.** "Evaluative reactions to exotic literature." *Psychological Reports* 16 (1965): 985-994.

—. "Studies of fads; I. The 'hit parade'" *Psychological Reports 18 (1966): 443-450.*

**James, W.** *The principles of psychology.* New York: Dover, 1950. Chap. 7.

**Jastrow, J.** "The antecedents of the study of character and temperament." *Popular Science Monthly* 86 (1915): 590-613.

**Jennings, E. M. ed.** *Science and literature: New lenses for criticism.* New York: Anchor, 1970.

**Johns-Heine, P. & Gerth, H. H.** "Values in mass periodical fiction." *Public Opinion Quarterly* 13 (1949): 105-113.

**Johnson, D. M.** "Psychology vs. literature." *Harper books and Authors* 12 (1961): 1-4.

**Johnson, E.** "William James and the art of fiction." *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 30 (1972): 285-296.

**Jones, D. B.** "Quantitative analysis of motion picture content." *Public Opinion quarterly* 6 (1942): 411-428.

**Jones, E.** *Hamlet and Oedipus.* Garden City, N.Y.: Doubleday, 1955.

**Jones, E. S.** "Effect of letters and syllables in publicity." *Journal of Applied Psychology* 6 (1922): 198-204.

**Jung, C. G.** "On the relation of analytic psychology to poetic art." In *Contributions to analytical psychology.* by C. G. Jung. Translated by H. G. Baynes & C. F. Baynes. London: Kegan Paul, Trench, Trubner, 1928. Pp. 225-249.

—. "The spirit in man, art, and literature." In *The collected works.* Vol. 15. New York: Bolingen Series XX, Pantheon Books, 1966.

**Kadushin, C., Lovett, J. & Merriman, J. D.** *Reviews of The general inquireer: A computer approach to content analysis,* by P. J. Stone et al. *Computers and the Humanities* 2 (1968): 177-202.

**Kahn, S. J.** "Psychology in Coleridge's poetry." *Journal of Aesthetics and Art Citicism* 9 (1951): 208-226.

**Kamman, R.** "Verbal complexity and preferences in poetry." *Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior* 5 (1966): 536-540.

**Kappel, J. W.** "Book clubs and the evaluation of books." *Public Opinion Quarterly* 12 (1948): 243-252.

**Kavolis, V.** *Artistic expression: A sociological analysis.* Itthaca, N.Y.: Cornell University, 1968.

**Kearl, B.** "A closer look at readability formulas." *Journalism Quarerly* 25 (1948): 344-348.

**Keeney, B. C.** "The bridge of values." *Science* 169 (1970): 26-28.

**Keith, A. L.** "Vergil as a master of psychology." *Psychoanalytic Review* 9 (1922): 436-439.

**Kelly, G. A.** "Humanistic methodology in psychological research." *Journal of Humanistic Psychologocy* 9 (1969): 53-65.

**Kern, A.** "The sociology of knowledge in the study of literature." *Sewanee Review* 50 (1942): 505-515.

**Kiell, N., ed.** *Psychoanalysis, psychology, and literature: A bibliography.* Madison: University of Wisconsin, 1963.

King, D. J. "Initial observations on the learning of connected discourse to complete mastery." *Psychonomic Science* 20 (1970): 329-330.

Klapp, O. W. "The fool as a social type." *American Journal kof Sociology* 55 (1950): 157-162.

Klein, S. P. & Skager, R. W. "Spontaneity vs. deliberateness as a dimension of esthetic judgment." *Perceptual & Motor Skills* 25 (1967): 161-168.

Klineberg, O. "Emotional expression in Chinese literature." *Journal of Abnormal and Social Psychology* 33 (1938): 517-520.

Knapp, R. H. "A study of the metaphor." *Journal of Projective Techniques* 24 (1960): 389-395.

Knapp, R. H. "Time imagery and the achievement motive." *Journal of Personality* 26 (1958): 426-434.

Kneller, G. F. *The art and science of creativity*. New York: Holt, Rinehart & Winston, 1965.

Koch, S. "Psychological science versus the science-humanism antimony: intimations of a significant science of man." *American Psychologist* 16 (1961): 629-639.

—. "Psychology cannot be a coherent science." *Psychology Today* 3 (1969): 14-68.

—. ed. *Psychology: A study of a science*. 6 vols. New York: McGraw-Hill, 1959-1963.

Koestler, A. *The act of creation*. New York: Macmillan, 1964.

—. "The three domains of creativity." In *Challenges of human psychology*, edited by J. F. t. Bugental. New York: McGraw-Hill, 1967. Pp. 31-40.

Kofka, K. "The art of the actor as a psychological problem." *American Scholar* 11 (1942): 315-326.

Korten, D. C. "The life game: Survival strategies in Ethiopion folktales." *Journal of Cross-Cultural Psychology* 2 (1971): 209-224.

Kracauer, S. "The challenge of qualitative content analysis." *Public Opinion Quarterly* 16(1952): 631-642.

Kris, E.*Psychoanalytic explorations in art*. New York: Schocken, 1964.

Kris, E. & Leites, N. "Trends in twentieth century propaganda." In *Reader in public opinion and communication*, edited by B. Berelson & M. Janowitz. Glencoe, Ill.: Free Press, 1953. Pp. 278-288.

Krutch, J. W. *The modern temper*. New York: Harcourt, Brace, 1929.

—. *The measure of man*. New York: Grosset & Dunlap, 1953.

Lana, R. E. *Assumptions of social psychology*. New York: Appleton-Century-Crofts, 1969.

Langfeld, H. S. "Experimental aesthetics." In *Encyclopedia Britannica*. 14th ed. Pp. 272-273.

Laswell, H. D. "Why be quantitative?" In *Reader in public opinion and communication*, edited by B. Berelson & M. Janowitz. Glencoe, Ill.: Free Press, 1953. Pp. 265-277.

—. "The social setting of creattivity." In *Creativity and its cultivation*, edited by H. H. Anderson. New York: Harper, 1959. Pp. 203-221.

Laswell, H. D., Leites, N., & Associates. *Language of politics*. Cambridge, Mass.: M.I.T. Press, 1965.

Lay, W. "Mental imagery." *Psychological Monographs* 2, no. 7 (1897-99): 1-59.

Lazarsfeld, P. F. "Audience research." In *Reader in public opinion and communication*, edited by B. Berelson & M. Janowitz. Glencoe, Ill.: Free Press. 1953. Pp. 337-346.

—. "The use of panels in social research." In *Reader in public opinion and*

*communication*, edited by B. Berelson & M. Janowitz. Glencoe, Ill.: Free Press, 1953. Pp. 511-519.

Lazarsfeld, P. F. &nStanton, F. N., eds. *Radio research: 1942-1943.* New York: Duell, Sloan, & Pearce, 1944.

Leckart, B. T. & Faw, T. T. "Looking time: A bibliography." *Perceptual and Motor Skills* 27 (1968): 91-95.

Lee, V. "Studies in literary psychology. I. The syntax of De Quincey." *Contemporary Review* 84 (1903): 713-723.

—. "Studies in literary psychology: III. Carlyle and the present tense." *Contemporary Review* 85 (1904): 386-392.

Leedy, J. J., ed. *Poetry therapy: The use of poetry in the treatment of emotional disorders,* Philadelpia: Lippincott, 1969.

Leenhart, H. "The sociology of literature: Some stages in its history." *International Social Science Journal* 19 (1967): 517-533.

Lehman, H. C. "The creative years: Best books." *Scientific Monthly* 85 (1937): 65-76.

—. *Age and achievement.* Princeton, N. J.: Princeton University, 1953.

Lerner, M. & Mims, E. Jr. "Literature." In *Enclopedia of the social sciences,* edited by E. R. A. Seligman. New York: Macmillan, 1935. Vol. 9, pp. 523-543.

Levine, J. M. & Murphy, G. "Learning and forgetting of controversial material." *Journal of Abnormal ans Social Psychology* 38 (1943): 507-515.

Levitas, G. B., ed. *The world of psychology.* 2 vols. New York: Braziller, 1963.

Lewin, H. S. "Hitler Youth and the Boy Scouts of America: A comparison of aims." *Human Relations* 1 (1947): 206-227.

Leytham, G. W. H. "Literary statistics." *British Psychological Society Bulletin* 47 (1959): 14-17.

Librachowa, M. "The fiction from between the two world wars as a source of scientific material for the psychologist." *Psychological Abstracts* 22 (1948): #2808.

Lindauer, M. S. "The role of attitude and need in the learning and retention of relevant meaningful prose." Unpublished manuscript. State College at Brockport. 1960.

—. "The nature and use of the cliche." *Journal of General Psychology* 78 (1968): 133-143.

—. "Pleasant and unpleasant emotions in literature: A comparison with the effective tone of psychology." *Journal of Psychology* 70 (1968): 55-67.

—. "Duration aspects of time related words." *Perceptual and Motor skills* 9 (1969): 100-101.

—. "Historical and contemporary attitudes toward numbers." *Journal of Psychology* 71 (1969): 41-43.

—. "A quantitative analysis of psychoanalytic studies of Shakespeare." *Journal of Psychology* 72 (1969): 3-9.

—. "Psychological aspects of form perception in abstract art. Paper presentted at the Fourth International Colloquium on Experimental Aesthetics, Glasgow, Scotland, 1970. Also in *Science de l'Art* 7 (1970): 19-24.

—. "Toward a liberalization of experimental aesthetics." *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 31 (1973): 459-465.

—. "The sensory attributtes and functions of imagery and imagery evoking stimuli." In *The function and nature of imagery,* edited by P. W. Sheehan. New York: Academic Press, 1972.

Linquist,E. F., ed. & Peterson, J. *Iowa tests of educational development: Examiner manual for test 7 – Ability to interpret literary materials.* Chicago: Science Research Associates, 1951.

Lindzey, g. & Aronson, E., eds. *The handbook of social psychology.* Reading Mass.: Addison-Wesley, 1969.

Lipsky, A. "Rhythm as a distinguishing characteristic of prose style." *Archives of Psychology* 24, no. 4 (1907): 1-44.

Little, L. K. "Psyhology in recent historical thought." *Journal of the History of the behavioral Sciences* 5 (1969): 152-172.

Lomax, A. "Special features of thè sung communication." In *Essays on the verbal and visual arts,* edited by J. Helm. Seattle: University of Washington, 1967. Pp. 109-127.

Louttit, C. M. "an historical note on the application of psychology." *Journal of Applied Psychology* 18 (1934): 304-305.

Lowenthal, L. "The sociology of literature." In *Communication in modern society,* edited by W. Schramm. Urbana, Ill.: University of Illinois, 1948. Pp. 83-100.

—. "Biographies in popular magazines." In *Reader in public opinion and communication,* edited by B. berelson & M. Janowitz. Glencoe, Ill.: Free Press. 1953. Pp. 289-298.

—. *Literature, popular culture, and society.* Englewood Cliffs, N. J.: Spectrum, 1961.

—. "The reception of Dostoevski's work in Germany: 1880-1920." In *the arts in society,* edited by R. N. Wilson. Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1964. Pp. 122-147.

—. "Litrature and sociology." In *Relations of literary study: Essays on interdisciplinary contributions,* edited by J. Thorpe. New York: Modern Language Association, 1967. Pp. 89-110.

Lucas, F. L. *Literature and psychology.* 2nd ed. Ann'ARbor: University of Michigan, 1957.

Lynch, J. J. "The tonality of lyri poetry: An experiment in method." *Word* 9 (1953): 211-224.

McClelland, D. C. *The achieving society.* Princeton, N. J.: van Nostrand, 1961.

—. *The roots of consciousness.* Princeton, N. J.: Van Nostrand, 1964.

McClelland, D. C., Davis, W., Wanner, E. & Kalin, R. "A cross-cultural study of folk-tale content and drinking." *Sociometry* 29 (1966): 308-333.

McClelland, D. C. & Friedman, G. A. "A cross-cultural study of the relationship between child-training practices and achievement motivation appearing in folk tales." In *Readings in social psychology,* edited by G. W. Swanson, T. M. Newcomb, & E. L. Hartley. Rev. ed. New York: Holt, 1952. Pp. 243-249.

Maccoby, N. Review of *The analysis of communication content,* by G. Gerbner et al. *Contemporary Psychology* 15 (1970): 598-599.

McCollom, I. N. "Psychological Thrillers: Psychooogy books students, read when given freedom of choice." *American Psychologist* 26 (1971): 921-937.

MacCormac, E. R. "Metaphor revisited." *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 30 (1971): 239-250.

MacCorquodale, K. "Behaviorism is a humanism." *The Humanist* 31 (1971): 12-13.

McCurdy, H. G. "Literature and personality." *Character and Personality* 7 (1939): 300-308.

—. "Literature and personality: Analysis of the novels of D. H. Lawrence. Part I." *Character and Personality* 8 (1940): 181-203.

—. "Literature and personality: Analysis of the novels of D. H. Lawrence. Part II." *Character and Personality* 8 (1940): 311-32.

—. "La belle dame sans merci." *Character and Personality* 13 (1944): 166-167.
—. "A study of the novels of Charlotte and Emily Brontë as an expression of their personalities." *Journal of Personality* 16 (1947): 109-152.
—. A mathematical aspect of fictional literature pertinent to McDougall's theory of a heirarchy of sentiments." *Journal of Personality* 17 (1948): 75-82.
—. "Literature as a resource in personality study: Theory and methods." *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 8 (1949): 42-46.
—. *The personality of Shakespeare: A venture in psychological method.* New Haven: Yale, 1953.
—. *The personal world.* New York: Hrcourt, Brace & World, 1961.
—. *Personality and science.* Princeton, N. J.: Van Nostrand, 1965.
—. "Shakespeare: King of infinite space." *Psychology Today I (1968): 39-68.*
—. "The psychology of literature. *International encyclopedia of the social sciences,* edited by D. L. Sills. Vol. 9. New York. Macmillan and Free Press, 1968.
—. Review of *The design within: Psychoanalytic approaches to Shakespeare*, edited by M.D. Faber. *Contemporary Psychology* 16 (1971): 115-117.
**MacDougall, R.** "The 'colored words' of art. *Psychological Review* 20 (1913): 505-516.
**Mace, C. A.** "*Psychology and aesthetics.* 2(1962): 3-16.
**McGranahan, D. V.** "The psychology of language. *Psychological Bulletin* 33 (1936): 178-216.
**McGranahan, D. V. & Wayne, I.** "German and American traits reflected in popular drama. *Human Relations* 1 (1948): 429-455.
**McGuigan, F. J.** *Experimental psychology: A methodological approach.* 2nd ed. Englewod Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1968.
**Machotka, P.** "Visual Aesthetics and learning. *Journal of art education* 4 (1970): 117-130.
**McKellar, P.** *Imagination and thinking.* New York: Basic Books, 1957.
**McKenzie, G.** "Critical responsiveness: A study of the psychological current in later eighteenth-century criticism. [Berkeley, calif.: University of california, 1959] *Psychological Abstracts* 24 (1950): #5125.
**McKinney, F.** "Psychology in relation to literature. In *Psychology in action: Basic readings,* edited by f. McKinney by F. McKinney. New York: Mcmillan, 1967. P. 348.
**MacKinnon, D. W.** "The structure of personality. In Personality and the behavior disorders, edited by J. McV. Hunt. Vol. 1. New York: Ronald. 1944.
—. "The nature and nurture of creative talent. *American Psychologist* 17 (1962): 484-495.
—. "The personality correlates of creativity: A study of American architects. In *Creativitty,* edited by P. E. Vernon. Baltimore: Penguin, 1970. Pp. 289-311.
**Mackler, B. & Shontz, F. C.** "Creativity: Theoretical and methodological considerations. *Psychological Record* 15 (1965): 217-238.
**Mackworth, N. H. & Morandi, A. J.** "The gaze selects informative details within pictures. *Perception and Psycho-physics* 2 (1967): 547-552.
**Macleod, R.** Review of *Experience and behavior,* by P. McKellar. *Contmporary Psychology* 15 (1970): 332-333.
**McMorris, M. N.** "Aesthetics elements in scientific theories. *Main Currents in Modern Thought* 26 (1970): 82-91.
**McWhinnie, H. J.** "A review of selected aspects of empirical aesthetics III. *Journal of Aesthetic Education* 5 (1971): 115-126.

**Maier, N. R. & Reninger, H. W.** *a psychological approach to literary criticism.* New York: Appleton, 1933.

**Malmud, R. S.** "Poetry and the emotions (1) A dilemma for critics, (2) Experimental verification. *Journal of Abnormal and Social Psychology* 22 (1928): 443-472.

**Manfredi, J. F.** "The relationship of class-structured pathologies to the contents of popular periodical fiction 1936-1940. Ph.D. dissertation, Harvard University, 1950.

**Manheim, L. & Manheim, E.** *Hidden patterns: Studies in psychoanalytic criticism.* New York: Macmillan, 1966.

**Maranda, R.** "Computers in the bush: Tools for the automatic analysis of myths. In *Essays on the verbal and visual arts,* edited by J. Helm. Seattle: University of Washington Press & American Ethnological Society, 1967.

**Mardershtein, I. G.** "The reflection of psysiological theory of the brain in literary writings. *Psychological Abstrcts* 39 (1965): #75.

**Marett, R. R.** *Psychology and folk-lore* London: Methuen, 1920:

**Martel, M. U. & McCall, G. J.** "Reality-orientation and the pleasure principle: A study of American mass-periodical fiction (1890-1955). In *People, society, adn mass communications,* edited by L. A. Dexter & D, M. White, glencoe, Ill.: Free Press, 1964. Pp. 283-334.

**Martin, F. D.** "The imperatives of stylistic development: Psychological n formal. *Bucknell Review* 11 (1963): 53-70.

**Martindale, C.** "Degeneration, disinhibition, and genius. *Journal of the History of teh Behavioral Sciences* 7 (1971): 177-182.

— "An experimental simulation of literary change. Unpublished manuscript, 1971.

—. "Incongruity, stylistic elaboration, and regressive imagery in two peotic traditons. Unpublished manuscripts, 1971.

—. *The romantic progression: On the psychology of literacy change.* Philadelpia: Temple University, forthcoming.

**Marx, M. H. & Hillix, W. A.** *Systems and theories in psychology.* New York: McGraw-Hill, 1963.

**Maslow, A. H.** "Toward a humanistic biology. *American Psychologist* 24 (1969): 724-735.

**Matson, F. W.** "Humanistic theory: The third revolution in psychology. ⅔the Humanist 31 (1971): 7-11, 18-19.

**Mazlish, B.** "Onward from Freud? *Encounter 29 (1967): 93-94.*

**Mead, M.** "Creativity in crosscultural perspective. In *Creativity and its cultivation,* edited by H. H. Anderson. New York: Harper, 1959, Pp. 222-235.

**Mednick, S. A. & Mednick, M. T.** "An associative interpretation of the creative process. In *Widening horizons in creativity,* edited by C. W. Taylor. New York: Wiley, 1964. Pp. 54-68.

**Meier, N. C.***Art in human affairs* New York: Whittlesey House, 1942.

**Merriam, C. E.** "The significance of psychology for the study of politics. *American Political Science REview* 18 (1924): 469-488.

**Metcalf, J. T.** "Psychological studies of literary form. *Psychological Bulletin* 35 (1938): 337-357.

**Meyerson, I.** "Psychological functions and the works. *Psychological Abstracts* 22 (1948) #2530.

—. "Some aspectsf of the human being in romantic writings. *Psychological Abstracts* 26 (1952) 1.

**Michael, W. b., Rosenthal, b. G. & De Camp, M. A.** "An experimental investigation of prestige-suggestion for two types of literary material. *Journal of Psychology* 28 (1949): 303-323.

**Miller, G. A.** *Language and communication.* New York: McGraw-Hill. 1951.

—. *Psychology: The science of mental life.* New York: Harper & Row, 1962.

**Miller, G. R. & Coleman, E. B.** "A set of thirty-six prose passages calibrated for complexity. *Journal of Vebal Learning and Verbal Behavior* 6 (1967): 851-854.

**Milner, M.** *The hands of the living god.* London: Hogarth, 1969.

**Mindness, H.** Review of *Psycholpgy and Arthur Miller,* by R. I. Evans. *Contemporary Psychology* 15 (1970): 428-429.

**Moles, A.** *Information theory and aesthetic perception.* Translated by J. E. Cohen. Urbanan, Ill.: University of Illinois, 1968.

**Moreno, J. L.** "Comments on Goethe and psychodrama. *Group Psychotherapy and Psychodrama* 24 (1971): 14-16.

**Mosterller, F. & Wallace, D. L.** "Inference in an authorship problem. *Journal of the American Statistics Association* 58 (1963): 257-309.

**Mullen, F. G., Jr.** "Estimation of the universality of Freudian and Jungian sexual symbols. *Perceptual and Motor Skills* 26 (1968): 1041-1042.

**Munro, T.** "Aesthetics as science: its development in America. *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 9 (1951): 161-207.

—. Toward science in aesthetics. New York: Liberal Arts, 1956.

**Munsterberg, E. & Mussen, P. H.** "The personality structures of art students. *Journal of Personality* 21 (1953): 457-466.

**Murphy, G.** "An experimental study of literary vs. scientific types. *American Journal of Psychology* 28 (1917): 238-262.

**Murray, E.** "Some uses and misuses of the term 'aesthetic.' *American Journal of Psychology* 42 (1930): 640-644.

**Murray, H. A.** *Exploration in personality: A clinical and experimental study.* New York: Oxford, 1938.

**Myden, W.** "Interpretation and evaluation of certain personality characteristics involved in creative production. *Perceptual and Motor Skills, Monograph Supplement no. 3 9 (1959): 139-158.*

**Natzlger, R. O.** *"The reading audience,* In *Communication in modern society,* edited by W. Schramm, Urbana, Ill.: University of Illinois, 1948. Pp. 102-115.

**Newman, E. B. & Gerstman, L. J.** "A new method for analyzing printed English. *Journal of Experimental Psychology* 44 (1952): 114-125.

**Newman, E. B. & Waugh, N.** "The redundancy fo texts in three languages. *Information and Control* 3 (1960): 141-153.

**Ogden, C. K. & Richards, I. A.** *The meaning of meaning.* New YOrk: Harcourt, Brace, & World, 1923.

**Ogilvie, D. M.** "Individual and ultural patterns of fantasized flight. In *The analysis of communication content,* edited by G. Gerbner et al. New York: Wiley, 1969. Pp. 243-259.

**Osgood, C. E.** "Psycholinguistics. In *Psychology: A study of a science,* edited by S. Koch. New York: McGraw-Hill, 1963. Vol. 6 pp. 244-316.

**Osgood, C. E., Suci, G. J. & Tannenbaum, P. H.** *The measurement of meaning.* Urbana, Ill.: University of Illinois, 1967. Chap. 7.

**Osgood, C. E. & Tennenbaum. P.H.** "The principle of congruity in the prediction of attitude change. *Psychological Review 62 (1953): 52-55.*

**Paisley, W. J.** "Identifying the unkown communicator in painting, literature, and music. The significance of minor encoding habits: *Journal of Communications* 14 (1964) : 219-237.

—. The effect of authorship, topic, structure, and time 5 (1966) and time of composition on letter redundancy in English texts. *Journal of verbal learning and verbal behaviour.* 5 (1966): 28-34,

**Panda, K. C., Das, J. K. & Kanungo, R. N.** "A cross-cultural study on film preference on an Indian student population. *Journal of Social Psychology* 57 (1962): 93-104.

**Panda, K. C. & Knungo, R. N.** "A study of Indian students' attitudes towards motion pictures." *Journal of Social Psychology* 57 (1962): 23-31.

**Patel, A. S.** "Attitudes of adolescent pupils toward cinema films: A study ." *Journal of Education and Psychology* (Baroda) 9 (1952): 225-230.

**Patrick, C.** "Creative thought in poets." *Archives of Psychology* 26 (1935) #178.

—. "Creative thought in artists." *Journal of Psychology* 4 (1937): 35-73.

**Paul, S.** "Toward a general semantics literary theory." Etc. 4 (1947): 31-37.

**Peckham, M.** *Man's rage for chaos: Biology, behavior, and the arts.* Philadelpia: Chilton, 1965.

**Peel, A.** "On identifying aesthetic types." *British Jourlan of Psychology* 35 (1944): 61-69.

**Peers, E. A.** "Imagery in imaginative literature." *Journal of Experimental Pedagogy an Training College Record* 11 (1914): 174-187.

**Pereboom, A. C.** "Some fundamental problems in expenmental psychology: An overview." *Psychological Reports Monograph, Supplements* 2-V28, 28 (1971): 439-455.

**Peters, R. S., ed.** *Brett's history of psychology.* London: George Allen & Unwin, 1962.

**Philip, .B. R.** "The effect of general and of specific labelling on judgmental scales." *Canadian Journal of Psychology* 5 (1951): 18-28.

**Pierson, G. W. & Others.** *Computers for the huimanities?* New Haven: Yale, 1965.

**Plank, R.** *The emotional significance of imaginary beings: A study of the interaction between psychopathology, literature, and reality in the modern word.* Springfield, Ill.: C. C. Thomas, 1968.

**Platt, J. R.** "Beauty: Pattern and change." In *Functions of varied experience,* edited by D. W. Fiske & S.R. Maddi, Homewood, Ill.; Dorsey, 1961. Pp. 420-430.

**Pratt, C. C.** "Aesthetics." *Annual Review of Psychology* 12 (1961): 71-92.

—. Introuction to *The task of Gestalt psychology,* by W. Kohler. Princeton, N. J.: Princeton University Press, 1969. Pp. 3-29.

**Raben, J.** "Content analysis and the study of poetry." In *The analysis of communication . content,* edited by G. Gerbner et al. New York: Wiley, 1969. Pp. 175-186.

**Rabkin, L. Y., ed.** *Psychopathology and literature.* San Francisco, Calif.: Chandler, 1966.

**Rand, A. C.** "Thomas Brown's theories of associationism and perception as they relate to his theories of peotry." *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 28 (1970): 473-483.

**Ransom, J. C.** "Freud and literature." *Saturday Review of Literature* 1 (1924): 161-162.

**Ranta, J.** "Counting and formal analysis." *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 29 (1971): 453-466.

**Ragaport, D., ed.** *Organization and pathology of thought.* New York: Columbia, 1951.

**RAskin, E.** "Comparison of scientific and literary ability: A biographical study of eminent

scientists and men of letters of the nineteenth century." *Journal of Abnormal and Solal Psychology* 32 (1936): 20-35.

**Razik, T. A.** "Psychometric measurement of creativity." In *Explorations in creativity*, edited by R. L. Mooney, & R. A. Razik. New York: Harper & Row. 1967, Pp. 301-309.

**Read, H.** *Icon and idean: The function of art in the development of human consciousness.* New York: Schocken, 1965.

**Reeves, J. W.** *Thinking about thinking.* New York: Delta, 1965. Pp. 216-265.

**Reichardt, J. ed.** *Cybernetic serendipity: The computer and the arts.* London: Studio International, 1968.

**Rhys, H. H., ed.** *Seventeenth century science and the arts,* Princeton, N. J.: Princeton University Press, 1961.

**Richards, I. A.** *Principles of literary criticism.* New York: Harcourt, Brace, 1925.

—. *Science and poetry.* London: Kegan Paul, Trench, Trubner, 1926.

—. *Practical criticism.* New York: Harcourt, Brace, 1950.

**Roback, A. A.** *A bibliography of character and personality.* Cambridge, Mass.: Sci-Art, 1927.

—. "The psychology of literature." In *Present-day psychology,* edited by A. A. Roback. New York: Greenwood, 1968. Pp. 867-896.

—. *The psychology of character,* 3rd ed. London: Routledge & Kegan Paul, 1952:

**Roback, A. A. & Baskin, W.** "Psychology of post-Freudian literature." In *New outlooka in psychology,* edited by G. P. Powers & W. Baskin. New York: Philosophical Library, 1968. Pp. 405-437.

**Roblee, L. & Washburn, M. F.** "The affective v alues of articulate sounds." *American Journal of Psychology* 23 (1912): 579-583.

**Rockland, L. H.** "'What kind of fool am I?' A study of popular songs in the analysis of a male hysteric." *Psychiatry* 33 (1970): 516-525.

**Roe, A.** "Artists and their work." *Journal of Personality* 15 (1946): 1-40.

**Rogers, C. R.** "Toward a theory of creativity." *Etc. II (1954): 249-260.*

**Rosen, J. C.** "The Barron-Welsh Art Scale as a predictor of originality and level of ability among artists." *Journal of Applied Psychology* 39 (1955): 366-367.

**Rosenberg, S. & Jones, R.** "A method for investigating and representing a person's implicit theory of personality: Theodore Dreiser's view of people." Unpublished manuscript, undated.

**Rosengren, K. E.** *Sociological aspects of the literary system.* Stockholm: Natur och Kultur, 1968.

**Rosenzweig, S.** "The ghost of Henry James: A study of thematic appreciation." *Character and Personality* 12 (1943): 79-100.

**Rosner, S. & Abt, L. E. eds.** *The creative experience. New York: Grossman, 1970.*

**Ross, S. D.** *Literature and philosophy: An analysis of the philosphical novel.* New York: Appleton-Century-Crofts, 1969.

**Tothenber, A. Review of** *The sinsof the fathers: Hawthorne's psychological themes,* by F. Crews, *Transaction* 6 (1969): 674-677.

—. "The iceman changeth: Toward and empirical approach to creativity." *Journal of the American Psychoanalytic Association* 17 (1969): 549-597.

—. "Inspiration, insight, and the creative process in peotry." *College English* 31 (1970): 172-183.

—. "The process of Janusian thinking in creativity." *Archives of General Psychiatry* 24 (1971): 195-205.

**Royce, J. R.** "Metaphoric knowledge and humanistic psychology." In *Challenges of humanisticv psychology*, edited by J. F. T. Bugental. New York: McGraw-Hill, 1967. Pp. 21-28.

**Rubinow, O.** "Journal of Abnormal and Social Psychology 28 (1933): 207-215.

**Rudin, S. A.** "National motives predicts psychogenic death rates 25 years later." *Science* 160 (1968): 901-903.

**Ruesch, J. & Kees, W.** "Function and meaning in the physical environment." In *Environmental psychology: Man and his physical setting*, edited by M. Proschansky, W. H. Ittleson, & L. G. Rivlin. New York: HOlt, Rinehart & Winston, 1969. Pp. 141-153.

**Runquist, W. N.** "Verbal behavior." In *Experimental methods and instrumentation in psychology*, edited by J. B. Sidowski. New YOrk: McGraw-Hill, 1966. Pp. 487-540.

**Russell, D. H.** "Psychology and literature." *College English* 35 (1964): 551-553.

**Russell, F. T.** "A poet's portrayal of emotion." *Psychological Review* 28 (1921): 222-238.

**Sanford, F. H.** "Speech and personality." *Psychological Bulletin* 39 (1942): 811-845.

**Sardello, R. J.** "Toward a reorganization of the psychology curriculum." *American Psychologist* 265 (1971): 1037-1038.

**Sarte, J. P.** *What is literature?* New York: Philosophical library, 1949. Also in *Aesthetic theories*, edited by K. Aschenbrenner & A. Isenberg. Englewood Cliffs, N. J: Prentice-Hall, 1965. Pp. 477-491.

**Schapiro, M.** "Style." In *Anthropology today*, edited by A. L. Kroeber, Chicago: University of Chicago, 1953. Pp. 287-312.

**Schiff, W.** "Perceived and remembered duration of films." *Perceptual and Motor Skills* 30 (1970): 903-906.

**Schloss, G.A. & Grundy, D. E.** Review of *Peotic therapy: The use of poetry in the treatment of emotional disorders*, edited by J. J. Leedy. *Literature and Psychology* 21 (1971): 51-55.

**Schneider, L. & Dornbusch, S. M.** *Popular religion: Inspirational books in America.* Chicago: University of Chicago, 1958.

**Schoeck, R. J.** "Mathematics and the languages of literary criticism." *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 26 (1968): 367-376.

**Schorer, M.** "Fiction and the 'matrix of analogy'." *Kenyon Riview* 11 (1949): 539-560.

**Schramm, W. L.** *Approaches to a science of English verse.* University of Iowa Studies: Series of Aims and Programs of Research, no. 46. Iowa City, Iowa: Uinversity of Iowa, 1935.

—. **ed.** *Communication in modern society.* Urbana, Ill.: University of Illinois, 1948.

**Schutz, W. C.** "Reliability, ambiguity, and content analysis." *Psychological Review* 59 (1952): 119-129.

**Schwadron, A. A.** "On words and music: Toward an aesthetic consideration." *Journal of Aesthetic Education* 5 (1971): 91-108.

**Scripture, E. W.** "The nature of verse."*British Journal of Psychology* 11 (1921): 225-235.

**Seashore, C. E.** *In search of beauty in music.* New York: Ronald, 1947. Chap. 30.

**Sebald, D.** "Studying national character through comparative content analysis." *Social Forces* 40 (1962): 318-322.

**Sebeok, T. A. & Zeps, V. J.** "Computer research in psychololinguistics: Towards an analysis of poetic language." *Behavior Science* 6 (1961): 365-369.

**Sewdelow, S. Y. & Sedelow, W. A. Jr.** "Categories and procedures for content analysis in the humanities." In *The analysis of communication content*, edited by G. Gerbner et al. New York: Wiley, 1969. Pp. 487-499.

**Segall, M. H. Campbell, D. T., & Herskovits, M. J.** *The influence of culture on visual perception*. Indianapolis: Bobbs-Merrill, 1966. Pp. 37-41.

**Seligman, E. R. A., ed.** *Encyclopedia of social sciences*. New York: Macmillan, 1935.

**Severin, F. T., ed.** *Humanistic viewpoints in psychology: A book of readings*. New York: McGraw-Hill, 1965.

**Sewter, A. C.** "The possibilities of a sociology of art." *Sociological Review* (London) 27 (1935): 441-453.

**Shapiro, R. J.** "The criterion problem." In *Creativity*, edited by P. E. Vernon, Baltimore: Penguin. 1970. Pp. 257-269.

**Sherwin, J. S.** "Social and psychological assumptions about human behavior in selected literary works." Ph.D. dissertation, New York University, 1954. Abstracts: *Dissertation Abstracts* 15 (1955): 245-246.

**Shils, E. A. & Janowitz, M.** "Cohesion and disintegration in the Wehrmacht in World War II." In *Reader in opinion and communication*, edited by B. Berelson & M. Janowitz. Glencoe, Ill.: Free Press, 1953. Pp. 407-422.

**Shoben, E. J.** "Psychological theory construction and the psychologist." *Journal of General Psychology* 52 (1955): 181-188.

**Shrodes, C., Gundy, J. V., & Husband, R. W. eds.***Psychology through literature: An anthology*. New York: Oxford, 1964.

**Siegel, C.** "Figures and similes in Schopenhauer; a contribution to the psychology of philosohical and literary form." *Psychological Abstracts* 2 (1928) -2.

**Sills, D. L. ed.** *International encyclopedia of the social sciences*. New York: Macmillan & Free Press, 1968.

**Simonov, P.** "Dotstoevsky as a social scientist." *Psychology Today* 5 (1971): 59-61, 102-106.

**Singer, D. G.Piglet, Pooh, & Piaget."** *Psychology Today* 6 (1972): 71-74, 96.

**Sinnott, E. W.** "The creativeness of life." In *Creativity and its cultivation*, edited by H. H. Anderson. New York: Harper, 1959.

**Skager, R. W., Schultz, C. B. & Klein, S. P.** "Points of view about preference as tools in the analysis of creative products." *perceptual and Motor Skills* 22 (1966): 83-94.

**Skaggs, E. B.** "The limitations of scientificl psychology as an applied or practical science." *Psychological Review* 41 (1934): 572-576.

**Skard, S.** " The use of color in literature: A survey of research." *Proceedings of the American Philosophical Society* 90 (1946): 163-249.

**Skinner, B. F.** "The alliteration in Shakespear's sonnets: A study in literary behavior." *Psychological Record* 3 (1939): 186-192.

—. "A quantitative estimate of certain types of sound patterning in poetry." *American Journal of Psychology* 54 (1941): 64-79.

—. "Has Gertrude Stein a secret?" In *Cumulative record*, by B. F. Skinner. Rev. ed. New York: Appleton-Century-Crofts, 1959. Pp. 261-271.

—. *Walden two*. Macmilan, 1966. (Original 1948).

**Slochwer, H.** "The psychoanalytic aproach to literature: Some pitfalls and promises." *Literature and Psychology* 21 (1971): 107-110.

**Smith, B. H.** "Literature as performance, fiction, and art." *Journal of Philosophy* 67 (1970): 553-563.

**Smith, R. A. ed.** *Aesthetics and criticism in art education. Problems in defining, examining, and evaluating art.* Chicago: Rand McNally, 1966.

**Smith, S. Review of Psychoanalysis and literary process,** edited by F. Crews. *Contemporary Psychology* 16 (1971): 207-210.

**Snow, C. P.** *The two cultures and the scientiic revolution.* New York: Cambridge, 1959.

**Sorensen, R. C. & Sorensen, T. C.** "A proposal for the use of content analysis in literary infringement cases." *Social Forces* 33 (1955): 262-267.

**Sparshott, F. E.** *The structure of aesthetics.* Toronto: University of Toronto, 1963.

**Sperber, M. A.** "Sensory deprivation in autoscopic illusion, and Joseph Conrad's 'The secret sharer.'" *Psychiatric Quarterly* 43 (1969): 711-718.

**Spurgeon, C. F. E.** *Shakespeare's imagery and what it tells us.* LOndon: Cambridge, 1952. (Original 1935).

**Squires, P. C.** "The creative psychology of Cesar Frank." *Character and Personality* 7 (1938): 41-49.

**Starch, D.** "The 100 greatest books selected by 100 qualified persons." *Journal of Applied Psychology* 26 (1942): 257-267.

**Stegner, W.** "One way to spell man." *Saturday Review* 41 (1948): 8-44.

**Stephenson, W.** "Critique of content analysis." *Psychological Record* 13 (1963): 155-162.

**Stoetzer, C.** *Postage stamps as propaganda* Washington, D. C. Public Affairs Press, 1953.

**Stone, A. A. & Stone, S. S., eds.** *The abnormal personality through literature.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1966.

**Stuwart, I. R.** "Personality dynamics and objectionable art: Attitudes, opinions, and experimental evidence." *Journal of Art Education* 4 (1970): 101-116.

**Sutich, A. J. & Vich, M. A., eds.** *Readings in humanistic psychology.* New York: Free Press, 1969.

**Swartz, P.** "Perspectives in psychology. VII. The criteria of validity in observational analysis." *Psychological Record* 8 (1958): 77-85.

—. "Perspectives in psychology. IX. Literature as art and as knowledge." *Psychological Record* 9 (1959): 7-10.

—. A rose for behaviorism." *Psychological Reports* 27 (1970): 364.

**Tavis, I.** "Changes in the form of alienation: The 1900's vs. the 1950's." *American Sociological Review* 34 (1969): 46-57.

**Taylor, C. W., ed.** *Widening horizons in creativity.* New York: Wiley, 1964.

**Taylor, G. O.** *The passages of thought: Psychological representation in the American novel 1870-900.* New York: Oxford, 1969.

**Taylor, R. G. Jr.** "Qualitative vs. quantitative methods in scientific research." *Human Potential* 1 (1968): 85-87.

**Taylor, W. L.** "Close procedure: A new tool for measuring readability." *Journalism Quarterly* 30 (1953): 415-433.

—. "Recent developments in the use of 'Close procedure.'" *Journalism Quarterly* 33 (1956): 42-48.

**Teagarten, F. M.** "Some psychological trends in modern literature." *Kadelpian Review* 9 (1930): 309-322.

**Terman, L. M.** "Psychological approaches to the study of genius." *Papers on Eugenics* 4 (1947): 3-20. Also reprinted in *Creativity*, edited by P. E. Vernon. Baltimore: Penguin, 1972.

**Thompson, S.** "Advances in folklore studies." In *Anthropology today*, edited by A. K. Kroeber. Chicago: University of Chicago, 1953. Pp. 587-596.

**Thurstone, L. L.** "A scale of measuring attitudes toward the movies."*Journal of Educational Research* 22 (1930): 93-94.

**Toffler, A.** "The art of measuring the arts." *Journal of Art Education* 4 (1970): 53-72.

**Toulmin, S.** "Seventeenth century science and the arts." In *Seventeenth century science and the arts*, edited by H. H. Rhys. Princeton, N. J.: Princeton University, 1961. Pp. 3-28.

**Trevor-Roper, P.** *The world through blunted sight: An inquiry into the influence of defective vision on art and character*. Indianapolis: Bobbs-Merrill, 1970.

**Truzzi, M. & Morris, S.** "Sherlock Holmes as a social scientist."; *Psychology Today* 5 (1971): 62-64, 85-87.

**Tsanoff, R. A.** "On the psychology of poetic imagination." *American Journal of Psychology.*" 25 (1914): 528-537.

**Tufte, E. R., ed.** *The quantitative analysis of social problems*. Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1970.

**Tyler, F. B.** "knowledgeable respondents: Private club or public service." *American Psychologist* 27 (1972): 191-196.

**Underwood, B. J.** *Psychological research*. New York: Appleton-Century-Crofts, 1957.

**Valentine, C. W.** "The function of images in the appreciation of poetry." *British Journal of Psychology* 14 (1923): 164-191.

—. *The experimental psychology of beauty*. London: Methuen, 1962.

**Van De Castle, R. L.** *The psychology of dreaming*. New York: General Learning Press, 1971.

**Vernon, P. E., ed.** *Creativity: Selected readings*. Baltimore: Penguin, 1970.

**Vinacke, W. E.** *The psychology of thinking*. New YOrk: McGraw-Hill, 1952.

**Voss, G. A. de & Hippler, A. A.** "Cultural psychology: Comparative studies of human behavior." In *Handbook of Social Psychology*, edited by G. Lindzey & A. Aronson. 2nd ed. Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1969. Vol. 4, pp. 323-359.

**Vygotsky, L. S.** *The psychology of art*. Cambridge, Mass.: M.I.T., 1971, (Original 1925).

**Wakefield, D. F.** "Art historians and art critics - VIII: Proust and the visual arts." *Burlington Magazine* 112 (1970): 291-296.

**Walk, R. D.** "Concept formation and art: Basic experiment and controls."*Psychonomic Science* 9 (1967): 237-238.

**Wallach, M. A.** "Art, science, and representation: Toward an experimental psychology of aesthetics." *Journal of Aesthetics and Art Criticism*. 18 (1969): 159-173.

**Wallach, M. A. & Kogan, N.** *Modes of thinking in young children: A study of creativity-intelligence distinction*. New York: Holt, Rinehart & Winston, 1965. Chap. 8.

**Wallas, G.** "The art of thought." In *Creativity*, edited by P. E. Vernon. Baltimore: Penguin, 1970. Pp. 91-97.

**Waples, D.** "The relation of subject interest to actual reading." In *Reader in opinion and communication*, edityed by B. Berelson & M. Janowitz. Glencoe, Ill.: Free Press, 1953. Pp. 347-351.

**Waples, D., Berelson, B., & Bradwhaw, F. R.** *What reading does to people*. Chicago: University of Chicago, 1940.

Warner, W. L. & Henry, W. E. "The radio day-time serial: A symbolic analysis," In *Reader in opinion and communication.* edited by B. Berelson & M. Janowitz. Glencoe, Ill.: Free Press, 1953. Pp. 423-437.

Washburn, M. F., Hatt, E., & Holt, E. B., "Affective sensitiveness in poets and in scientific students." *American Journal of Psychology* 34 (1923): 105-106.

Watt, I. "Literature and society." In *The arts in society,* edited by R. N. Wilson. Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1964. Pp. 299-314.

—. "Robinson Crusoe as amyth." In *The arts inb society,* edited by R. N. Wilson, Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1964. Pp. 148-174.

Wayne, I. "American and Societ themes and values: A content analysis of pictures in popular magazines." *Public Opinion Quarterly* 20 (1956): 314-320.

Webb, E. & Roberts, K. H. "Unconventional uses of content analysis in social science." In *The analysis of communication content,* edited by G. Gerbner et al. New York: Wiley, 1969. Pp. 319-332.

Webb, E. J., Campbell, D. T. Schwartz, R. D., & Sechrest, L. *Unobtrusive measures: Nonreactive research in the social sciences.* Chicago: Rand McNally, 1966.

Weisgerber, C. A. "Accuracy in judging emotional expressions as related to understanding of literature." *Journal of Social Psychology* 46 (1957): 253-258.

Weiss, W. "Effects of the mass media on communication." In *The handbook of social psychology,* edited by G. Lindzey & E. Aronson. Vol. 5. Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1969.

Weitz, M. *Hamlet and the philosophy of literary criticism.* Chicago: University of Chicago, 1964.

—. ed. *Problems in aesthetics: An introductory book of readings.* New York: Macmillan, 1959.

Welleck, R. & Warren, A. *Theory of literature.* New York: Harcourt, Brace, 1942.

Wells, F. L. "A statistical study of literary merit." *Archives of Psychology* 17 (1907): #7.

Werner, H. "On physiognomic perception." In *The new landscape in art and science.* edited by G. Kepes. Chicago: Paul Theobald, 1956. Pp. 280-282.

—. ed. *On expressive behavior.* Worcester, Mass.: Clark University, 1955.

Wescott, M. R. "Empirical studies of intuition." In *Widening horizons in creativity,* edited by C. W. Taylor, New York: Wiley, 1964. Pp. 34-53.

Whipple, L. "Sat eve Post." *Journalism Quarterly* 5 (1928): 20-30.

White, R. K. "The sersatility of genius." *Journal of Social Psychology* 2 (1931): 460-489.

—. "Black Boy: A value-analysis." *American Psychologist* 2 (1947): 269.

—. "Black Boy: A value-analysis." *Journal of Abnormal and Social Psychology* 42 (1947): 440-461.

—. *Value-analysis: The nature and use fdof the method.* N.p.: Society for the Psychological Study of Social Issues, 1951.

Wickens, D. D. "Encoding categories of words: An empirical approach to meaning." *Psycbological Review* 77 (1970): 1-16.

Wiebe, G. "The effects of radio plugging on students' opinion of popular songs." *Journal of Applied Psychology* 24 (1940): 721-727.

Wilding, J. M. & Ferrell, J. M. "Selective attention: Superior detection of word targets with sound targets in a prose passage while shadowing another passage." *Psychonomic Science* 9 (1970): 123-124.

**Willems, E. P. & Raush, H. L. eds.** *Naturalistic viewpoints in psychological research.* New York: Holt, Rinehart, Winston, 1969.

**Williams, C. B.** "A note on the statistical analysis of sentence-length as a criterion of literary style." *Biometrika* 31 (1940): 356-361.

—. "Statistics as an aid to litterary studies." *Science News* 24 (1952): 99-106.

**Williams, J. H.** "Attitudes of college students toward motion pictures." *School and Society* 38 (1939): 222-224.

**Wilson, B.** "Relationships among art teachers', art critics' and historians', and non-art trained individuals' statements about *Guernica.*" *Studies in Art Education* 12 (1970): 31-39.

**Wilson, E. C.** "The listening audience." In *Communication in modern society,* edited by W. Schramm. Urbana, Ill.: University of Illinois, 1948. Pp. 117-125.

**Wilson, R. N.** "Literature, society, and personality." *Journal of Aesthetics and Art Criticism* 10 (1952): 297-309.

—. "Poetic creativity: process and personality." *Psychiatry* 17 (1954): 163-176.

—. "Literary experience and personality." *Journal of Aesthetics and Art Criticism.* 14 (1956): 47-57.

—. "F. Scott Fitzgerald: Personality and culture." In *The arts in society,* edited by R. N. Wilson. Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1964. Pp. 271-298.

—. "The poet in American society." In *The arts in society,* edited by R. N. Wilson. Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1964. Pp. 1-34.

—. "Samuel Becket: The social psychology of emptiness." *Journal of Social Issues* 20 (1964): 62-70.

—. Review of *Dreams, life, and literature: A study of Franz Kafka,* by C. S. Hall & R. E. Lind. *Contemporary Psuchology 15 (1970): 596-597.*

—. ed. *The arts in society* Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1964.

**Winick, C.** "Trends in the occupations of celebrities: A study opf news-magazine profiles and television interviews." *Journal of Social Psychology* 60 (1963): 301-310.

**Within, P.** "The psychodynamics of literature." *Psychoanalytic Review* 56 (1969/1970): 556-585.

**Witkin, H.A., Lweis, H. B., Hertzman, M., Machover, K., Meissner, P. B. & Warner, S.** *Personality through perception.* New York: Harper, 1954.

**Witte, W.** "The sociological approach to literature." *Modern Language Review* 36 (1941): 86-94.

**Wolfenstein, M. & Leites, N.** *Movies - A psychological study.* Glencoe, Ill.: Free Press, 1950.

**Wolman, B. B.** *Contemporary theories and systems in psychology.* New York: Harper, 1960.

—. "Poetry and psychotherapy." *Voices* 6 (1970): 56-59.

**Wood, A. B.** "Psychodynamics through literature." *American Psychologist* 10 (1955): 32-33.

**Woodrow, H.** "The effects of type of training upon transference." *Journal of Educational Psychology* 18 (1927): 159-172.

**Wyatt, B. N.** "John Updike: The psychological novel in search of structure." *Twntieth Centrury Literature* 13 (1967): 89-96.

Wyatt, F. "A psychologicallook at history." *Journal of Social Issues* 7 (1961): 66-77.
—. "Psychology and the humanities: A casef of no-relationship." *In Challenges of humanistic psychology*, edited by J. F. T. Bugental. New York: McGraw-Hill, 1961. Pp. 291-301.

Wyschogrod, M. "Art and life in art therapy." In *Aesthesis and aesthetics*, edited by E. W. Straus & R. M. Grifith. Pittsburgh: Duquesne, 1970. Pp. 342-348.

Yarbus, A. L. *Eye movements of vision*. New York: Plenum, 1967.

Yule, G. U. *The statistical study of literary vocabulary*. LOndon: Cambridge, 1944.
—. "Brainwash: Familiarity breeds comfort." *Psychology Today* 3 (1970): 33-62.

Zajonc, R. B. "Attitudinal effects of mere exposure." *Journal of Personality and Social Psychology Monograph Supplement* 9, No. 2 part (1968): 1-27.

Zbaracki, R. J. "A curriculum design based on cognitive psychology for teaching narrative and dramatic literature in the secondary school." Ph.D. dissertation, University of Nebraska, 1970. *Dissertation Abstract 31 (1970) #1700-A*.

Zener, K. & Gaffron, M. "Perceptual experience: An analysis of its relations to the external world through internal processing." In *Psychology: A study of a science*, edited by S. Koch. New York: McGraw-Hill, 1962. Vol. 4 Pp.516-618.

Zoellner, R. "Talk-write: A behavioral pedagogy for composition." *College English* 30 .(1969): 267-320.

## *Additional References*

*General discussions of science, art, and methodology (chapter 4).*

Borroff, M. "Creativity, poetic language, and the computer." *Yale Review* 60 (1972): 481-513.

Child, I. L. *Humanities psychology and the research tradition: Their several virtues.* New York: Wiley, 1973.

Jones, W. P. *The rhetoric of science: A study of scientific ideas and imagery in eighteenth-century English Poetry.* Berkeley, Calif.: Univerisity of California, 1966.

Kuhns, R. *Structure and experience: Essays on the affinity between philosophy and literature.* New York: Basic Books, 1971.

Lyons, J. *Experience: An introduction to a personal psychology.* New York: Harper & Row, 1973.

Richardson, J. A. *Modern art and scientific thought.* Urbana, Ill.: University of Illinois, 1971.

Salm, P. *The poem as a plant: A biological view of Goethe's Faust.* Cleveland: Case Western Reserve, 1971.

Walsh, D. "The question of relevance in literature." *Journal of Aesthetics and Education* 10 (1972): 29-38.

*Discussions relating psychology and literature (chapters 3 and 5).*

Brooks, G. P. "The behaviorally abnormal in early Irish folklore." *Papers in Psychology* 5 (1971): 5-11.

Chanover, E. P. "Marcel Proust: A medical and psychoanalytical bibliography." *Psychoanalytic Review* 56 (1969-70): 638-641.

Doerderlein, S. W. "A compendium of wit: The psychological vocabulary of John Dryden's literary criticism." Ph.D. dissertation. Northwestern University, 1970. Abstract: *Dissertation Abstracts International* 31 (1972): 779-783.

Jung, J. "Autobiographies of college students as a teaching and research tool in the study of personality development." *American Psychologist* 27 (1972): 779-783.

Kirchner, J. H. "Psychology of the scientist: XXIX. Consider this: A psycholiterary study of *Walden two*." *Psychological Reports* 26 (1970): 403-412.

McLaughlin, J. J. & Ansbocher, R. R. "Sane Ben Franklin: An Adlerian view fo his autobiography." *Journal of Individual Psychology* 27 (1971): 189-207.

Michael, L. "The genesis of the American psychological novel." Ph.D. dissertation. University of Marylabnd, 1969. Abstract: *Dissertation Abstracts International* 31 (1970): 352.

Nadel, B. S. & Altrocchi, J. "Attribution of hostile ontent in literature." *Psychological Reports* 25 (1969): 747-763.

Stark, S. "Toward a psychology of knowledge: VI. The sublime, the mystical, and inner creative." *Perceptual and Motor Skills* 27 (1968): 767-786.

—. "Suggestion regarding drama, inner creation, and role-taking (empathy): I. Dramatic arts and dramatic dreaming." *Perceptual and motor Skills* 26 (1968): 1319-1346.

Stern, A. "Further consideration on Alfred Adler and Ortega y Gasset." *Journal of Individual Psychology* 27 (1971): 139-143.

Stites, R. S. " Alfred Adler on Leonardo Da Vinci." *Journal of Individual Psychology* 27 (1971): 139-143.

Waldman, R. D. "Convergence of concepts of Adler and Ortega y Gasset." *Journal of Individual Psychology* 27 (1971): Ortega Gasset." *Journal of Individual Psychology* 27 (1971): 135-138.

*Empirical studies:*

*A. Sociological (Chapter 6)*

Goodchilds, J. D. "On being witty: Causes, correlates and consequences." In *The Psychology of humor,* edited by J. D. Goldstein & P. E. McGhee. New York: Academic Press, 1972. Pp. 173-193.

Goodlad, J. S. R. *A sociology of popular drama.* Totowa, N. J.: Rowman & Littlefield. 1971.

Korten, David C. & Korten, Francis F. *Planned change in a traditional society: Psychological problems of modernization in Ethiopia. New York: Praeger, 1972.*

Pollio, H. R., Mers. R. & Lucchesi, W. "Humor laughter, and smiling: Some preliminary obsevation of funny behavior." In *the psychology of humor, edited by J. D. Goldstein & P. E. McGhee. New York: Academic Press, 1972. Pp. 211-239.*

*B. The author (chapter 7)*

Koch, K. *Wishes, lies, and dreams: Teaching children to write poetry.* New York: Chelsea, 1970.

**Maier, N. R. F., Julius, M. & Thurber, J.** "Studies in creativity: Individual differences in the storing and utilization of information." *American Journal of Psychology* 80 (1967):492-519

**Pine, F.** "Thematic drive content and creativity." *Journal of Personality* 27 (1959): 136-151.

**Smith, M.** "The mobility of eminent men." *Sociology and Social Researcg* 22 (1938): 452-461.

*C. The literary work (chapter 8)*

**Agnew, M.** "The auditory imagery of great composers." *Psychological Monographs* 31 (1922): 279-287.

**Beshai, James** "Content analysis of Egyptian stories." *Journal of Social Psychology* 87 (1972): 197-203.

**Kreitler, H. & Kreitler, S.** *Psychology and the arts*. Durham, N. C.: Duke, 1972. Chap. 11.

**Lorge, J.** "Estimating structure in prose." In *Testing problems in perspective*, edited by A. Anastasi. Washington, D. C.: American Council on Education, 1966.

**Stephenson, W.** "Applications of communication theory: Interpretation of Keats' 'Ode on a Grecian urn.'" *Psychological Record* 22 (1972): 177-192.

**Tedford, W. H., Jr & Synnott, C. S.** "Use of the semantic differential with poetic forms." *Psychological Record* 22 (1972): 369-373.

*D. The reader (chapter 8)*

**Ausubel, D. P. & Schwartz, F. G.** "The effects of a generalizing-particularizing dimension of cognitive style on the retention of prose material." *Journal of General Psychology* 87 (1972): 55-58.

**French, J. W.** "Schools of thought in judging excellence of Englishs themes." In *Testing problems in perspective*, edited by A. Anastasi. Washington, D. C.: American Council on Education, 1966.

**Rothkopf, E. Z.** "Incidental memory for location of information in text." *Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior* 10 (1971): 608-613.

**Wheeler, O. A.** "An analysis of literary appreciation." *British Journal of Psychology* 13 (1923): 229-242.

☆☆☆

# محتوى الكتاب

# إشـــارات

## المؤلف : مارتن لينداور

أستاذعلم النفس بجامعة بروكبورت، نيويورك، أمريكا. يعتبر من القلائل الذين كرسوا جهودهم لدراسة العلاقة بين علم النفس والفنون (والأدب بخاصة). من مؤلفاته : الخبرة الجمالية ١٩٨٣، الصور الخيالية والفنون ١٩٨٤، علم النفس والأدب ١٩٨٤، ...

## المترجم : د. شاكر عبد الحميد

مواليد أسيوط١٩٥٢. تخرج فى جامعة القاهرة ١٩٧٤. الماجستير عن (سيكلوچية الإبداع الفنى فى القصة القصيرة) ١٩٨٠. الدكتوراه عن (سيكلوچية الإبداع الفنى فى فن التصوير)١٩٨٤. حصل على جائزة شومان للعلماء العرب الشبان بالأردن١٩٩٠. يشغل الآن منصب عميد معهد النقد الفنى. من مؤلفاته :العملية الإبداعية فى التصوير، دراسات نفسية فى التذوق الفنى، الأسس النفسية للإبداع الفنى (فى القصة)، الأدب والجنون، ... من ترجماته : الأسطورة والمعنى لشتراوس، بدايات علم النفس الحديث لأونيل، العبقرية والإبداع والقيادة لسيمونتون،...

## الفنان : رؤوف رأفت

ولد ١٩٤٨. بكالوريوس تصوير ١٩٧٣ من معهد ليوناردو دافنشى. خطابه التشكيلى يتعامل مع الملهاة والمأساة بوصفهما جذراً واحداً، كما أن تعبيريته الأسطورية المرتكزة على عنصرى الخط واللون تطرح تساؤلات قديمة مازالت قادرة على الحياة داخل المشهد التشكيلى المصرى المعاصر.

# آفاق الترجمة

## (يوليو ٩٥ ـ يونيو ٩٦)

| العنوان | المؤلف / المترجم |
|---|---|
| النظرية الأدبية المعاصرة | تأليف : رامان سلدن<br>ترجمة : د. جابر عصفور |
| مدن الآخرين | أشعار<br>ترجمة : أحمد ع. حجازى |
| صحراء التتار | رواية : دينو بوتزاتى<br>ترجمة : موسى بدوى |
| الحب | رواية : مارجريت دورا<br>ترجمة : د. فوزية العشماوى |
| أساطير | تأليف : رولان بارت<br>ترجمة : سيد عبد الخالق |
| نشيد بحرى | شعر : فرناندو بيسوا<br>ترجمة : المهدى أخريف |
| هبة الطوطم | أساطير الهنود الحمر<br>ترجمة : راوية صادق |
| أزهار الشر | شعر : شارل بودلير<br>ترجمة : محمد أمين حسونة |
| مرآة الحبر | نصوص : بورخيس<br>ترجمة : محمد عيد ابراهيم |
| النظرية الأدبية المعاصرة (ط ٢) | تأليف : رامان سلدن<br>ترجمة : د. جابر عصفور |
| الشعر والتجربة | تأليف : أرشيبالد مكليش<br>ترجمة : سلمى الخضراء الجيوسى |
| رامبو وزمن القتلة | تأليف : هنرى ميللر<br>ترجمة : سعدى يوسف |
| مداخل الشعر | تأليف : باختين . لوتمان . كوندراتوف<br>ترجمة : أمينة رشيد . سيد البحراوى |
| باختين : المبدأ الحوارى | تأليف : تودوروف<br>ترجمة : فخرى صالح |

## آفاق الترجمة

(يوليو ٩٦ ـ يونيو ٩٧)

عـراف الضـوء
شعر للمكفوفين الإسبان
ترجمة : إلهـام عيسـى

التأويل والتأمل المفرط
تأليف : امبرتو إكو
ترجمة : ناصر الحلوانى

عصر البنيوية
تأليف : إديث كريزويل
ترجمة : د. جابر عصفور

الدراسة النفسية للأدب
تأليف : مارتن ليندأور
ترجمة : د. شاكر عبد الحميد

### فى الأعداد القادمة

- هبوط الليل ، أودن
- مذكرات بونويل.
- قصيدة النثر، سوزان برنار.
- الشعر الفارسى المعاصر.
- ساعى البريد، جيمس كين
- الشعر الكورى المعاصر.

رقم الإيداع: ٩٦/١١٦١٨

طبع بالمركز المصرى العربى ت : ٥٨١٥٦٠٧

## الدراسة النفسية للأدب

يشترك علم النفس والأدب فى الاهتمام بالخبرة والسلوك والشخصية الإنسانية. وقد ترتب على هيمنة التحليل النفسى على مجال دراسة الأدب، أن حدث إهمال فى اهتمام علماء النفس بالأدب. لكن الدراسة النفسية للأدب يفحص العلاقة بين علم النفس والأدب من خلال فحصه للمادة الأدبية ذاتها، ومن خلال الدراسات التى ترى من منظور سيكلوچى إلى قارئ الأدب وإلى مبدعه.

لقد كان هناك ميل للنظر إلى كلّ أشكال الفن، بما فيها الأدب، على أنها خارج ميدان العلم، ومثل هذه الدراسة للأدب لم يكن لها من قبل ماض فسيح ولا مستقبل واعد. وتعديل هذا الموقف السكونى هو هدف لينداور، لتشجيع عملية التبادل بين الجهود المختلفة فى مجال علم النفس والأدب : فعلم النفس لن يحل عنوةً محل الأدب، كما أن الفنان لن يوقف نمو علم النفس.

يمكن الاقتراب من الأدب علمياً إذا تم التعامل معه موضوعياً ، فالأدب يقدم أمثلة للموضوعات النفسية الرئيسية، كما أنه يُكمل علم النفس باعتبار أن الأدب مصدر للبيانات والفروض والتحليلات، وقد يوحى بإجابات مؤقتة لأسئلة نفسية لم تقم البحوث بطرحها أو لم تجب عليها بعد بطريقة مقنعة : وذلك لأن مادة الأدب الأساسية هى الخبرة - والكاتب مفكر متخصص فى الفرد - تعكس لغته مشاعر واتجاهات المجتمع ★




**The Psychological Study of Literature**